الدكتور عدنان علي رضا النحوي



منهج المؤمن بين العلم والتطبيق

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

دار النحوي للنشر والتوزيع



الدكتور عدنان علي رضا النحوي

منهج المؤمن

بين

العلم والتطبيق

٢١٣	النحـوي ، عدنـان عـلـي
٢٣٧ ن	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق / عدنان علي رضا النحوي .ـ ط ٣ .ـ الرياض : دار النحوي ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م
	٢٨٠ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم
	ردمك ٤ - ٠٧ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠
	١ . الدعوة الإسلامية أ . العنـوان

رقم الإيداع : ٠٦٠٦ / ١٤

ردمـــك : ٤ - ٠٧ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



دار النحوي للنشر والتوزيع
هاتف وفاكس : ٤٠١٠٢٥٧
ص . ب ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية

الافتتاح ..

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . (الأنعام : ١٥٢)

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

(الأعراف : ١ ـ ٣)

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ . (الأنعام :١٥٥ ـ ١٥٧)

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ .

(الأعراف : ١٧٠)

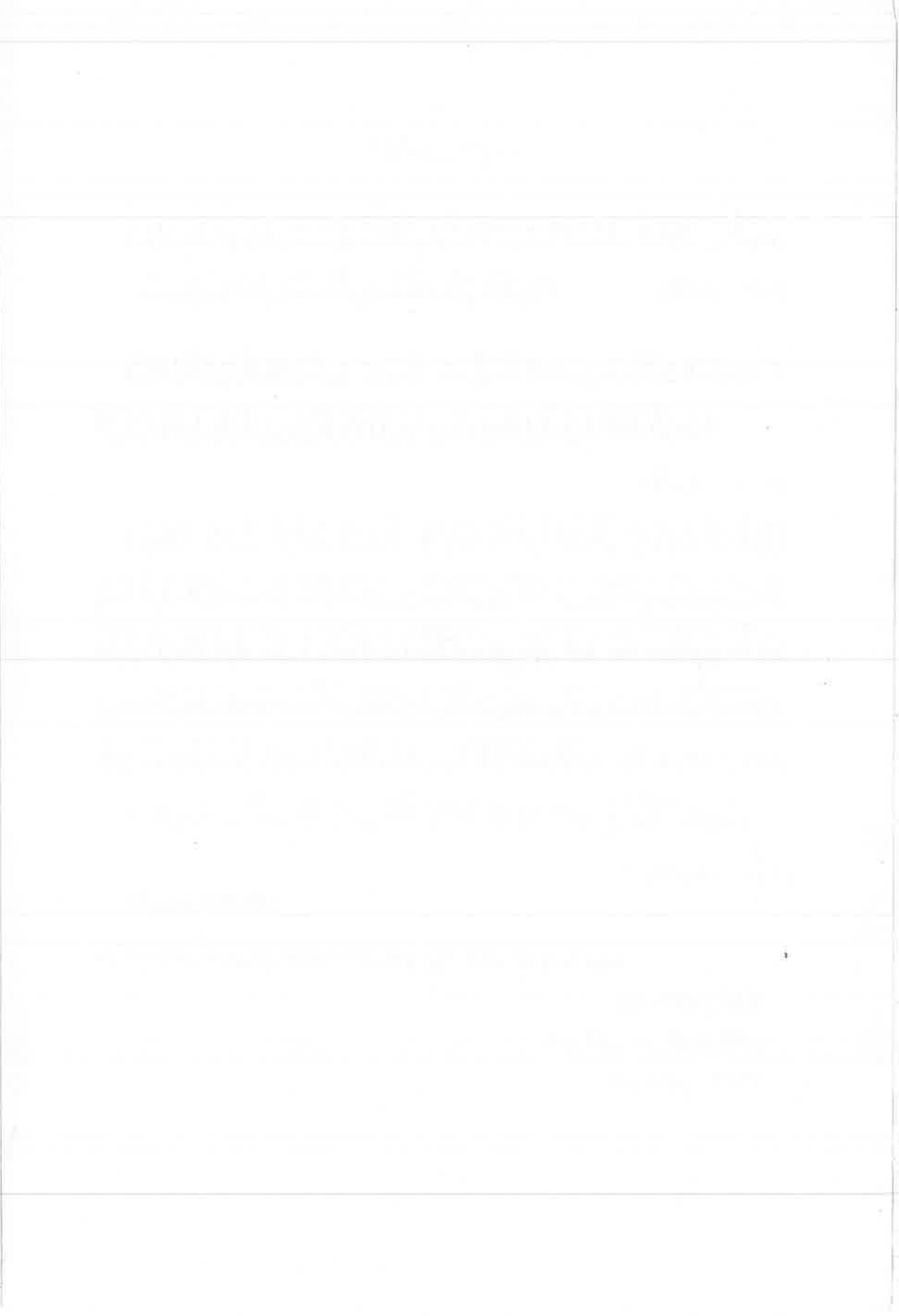
قال رسول الله ﷺ :

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيّه» .

رواه مالك في الموطأ

باب النهي عن القول بالقدر

حديث رقم : ١٦١٩



الإهــداء

إلى أبنائي

الذين تعلّمْت منهم على دربٍ طويل

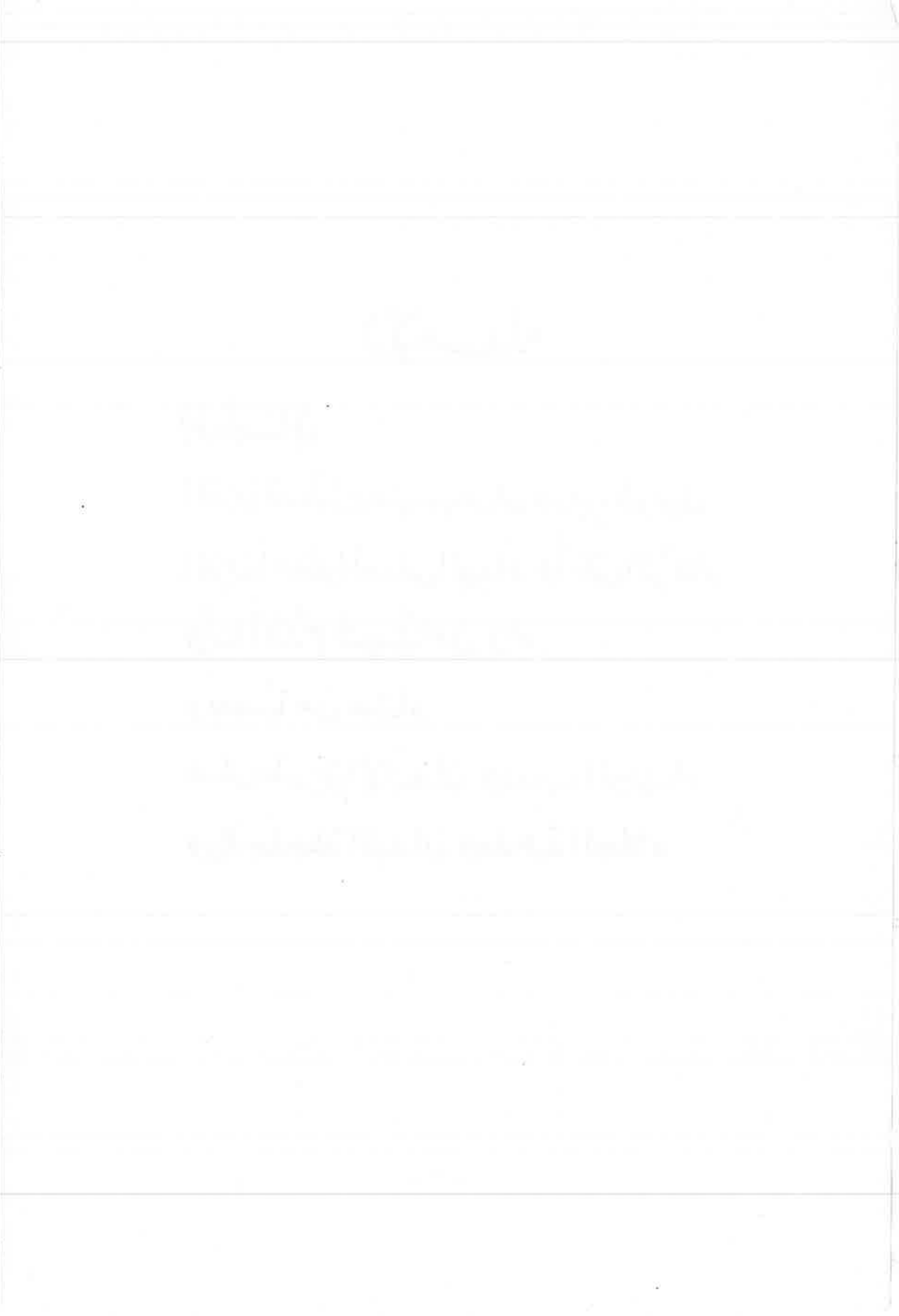
الذين أعطوا أصفى الوِداد وأَنقى الرِّفاد

وأنا أُقدِّم شيئًا من زاد

وبعضًا من عتاد

على طريق الإيمان ودرب الجهاد

وفي جلجلة الميدان وملحمة الجلاد



مقدمــة الطبعــة الأولى

لا تغيب إشراقَةُ الكلمةِ الطيِّبة، ولا تذبل أزاهير الحق، ولا ينقطع دفْقُ الينابيع الطاهرة، ويمضي الشِّـذَا يَمُدُّ الشَّذا، والمَدَدُ يرفد المَدَدَ، والقوّة تُنمّي القوّة، على خير ممتدّ، وبركة واسعة، تشمل الأرض بامتدادها، والزمان بأجياله. إنَّ هذا كله، وأكثر منه، هو بعض عطاء الحق، ونماء الخير، وبركة الزاد، على درب الإيمان، وطريق الجهاد.

ولكنّ هذا كله لا يتيسَّر للقاعد اللاهي، ولا للمتفيهق التائه، ولا للجبان المغرور. إنّ الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده المؤمنين من الأمّ بولدها، ولكن الله سبحانه وتعالى سبقت كلمته، وغلبت حكمته، وجرى عدله، وجعل في الحياة الدنيا سنناً لا تتبدل ولا تتحوّل. وجعل من هذه السنن أنَّ بذل الجهد مطلوب من الإنسان، وأن الإنسان مأمورٌ به، مكلف به. وجعـل من سننـه كذلـك أن الجهد المنهجيّ أقرب للغاية، والسعيَ المنَظَّم أدنى إلى النجاح، والصفّ المرصوص أقوى في الميدان، والنيّة الصادقة تحمل ذلك كله، وتدفعه إلى الغاية والنجاح والنصر، والله يقدِّر ما يشاء ولا رادّ لقضائه.

فمهمة الإنسان إذن بيِّنة واضحة، وواجبه مقرر جلـيّ، وخصائصه مفصلة. فلا مجال للتمنِّـي والظنون، ولا فسحة للهوى والجهل، على طريق الإيمان ودرب الجهاد.

إن الإنسان حين يرغب في وظيفة يريدها، فإنَّه يسعى لها السعي الحثيث، لا يُقعده حَرٌّ ولا قرٌّ، ولا تعبٌ ولا لهو. وإذا أراد أمراً أعلى نهض إليه نهوض الهـمّة والنّشاط، وترك الراحة والاسترخاء. وإذا عرضت له ثروة فزع إليها بلهفة وشهوة، وإلحاح وعناد. ويظلّ الإنسان يجري لاهثاً وراء هذه الرغبة أو تلك، وهو يؤمن بأنَّه لا ينالها قاعد ولا نائم. وربما بذل الإنسان حياته وهو يجري لاهثاً وراء عرض من الدنيا. وهو في سعيه هذا يبذل جهده ليخطط ويرسم، وليضـع نهجا ويرسم درباً. إنّ الإنسان يشقى هذا الشقاء وهو يجري وراء دنيا زائلة، وعَرَضٍ كاذب. فكيف يتصوّر الإنسان إذن أن تكون طريق الجنّة؟ وكيف يكون إذن درب الخلود..؟ وكيف يكون السعي إلى الآخرة....؟!

إن من يطلب الجنّة، إذا كان حقًا يريدها، يجد أنّ دربها واضح مشرق، وسبيلها مستقيم

منير، ولكنه درب جهاد ومعاناة، وابتلاء وتمحيص، وبذل وعطاء، وإيثار وصبر، ونهج وقوة. إنه درب نية وإيمان، وعلم ودراسة وتدبر، ونهج وتخطيط، وجهاد وجلاد.

إذا كان الإنسان يخطط في سعيه لعرض زائل، يُجهد نفسه ليل نهار وهو يقلبُ الأُمور، ويراجع الحساب، وينظر في الخطوة، ليرى أَسلم نهج، وأَصحّ سبيل يُقَرِّبُهُ إلى غايته، فكيف يكون سعي الإنسان للجنّة إذن..؟! أيُعقَل أن يظلَّ السَّعْي متفلّتاً من نهج، مضطرباً على فوضى وارتجال، تائهاً في الحيرة والشَّكّ..؟! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»**. رواه الترمذي وقال حسن غريب[(١)].

إنّ أوّل النَّهج هو اليقين الثابت الذي لا يتيه في حيرة وشكّ، وهو النيّة المشْرِقة بالعزيمة والوضوح، والإرادة والقوة، والجلاء والصدق، حتى تظلَّ الجَنَّة هي الهدف الأول الحقيقي المشرق في حياة المؤمن. وبدون هذه النيّة الواضحة المشرقة، وبدون هذه العزيمة الثابتة في إرادتها الماضية في عزمها......، بدون هذا كله فإن العمل كله سيتيه ويضطرب، ويبطل ويضيع. وبدون هذا كله لا يستقيم نهج ولا تتحدد سبيل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. (فصلت: ٣٠)

حين تصحّ النيّة وتصدق العزيمة، فإننا نحتاج إلى أن نعرف الخطوة الأولى على الدرب، والوثبة الأُولى في الميدان. فإنَّ هذه الخطوة الأُولى هي التي تحدد سائر الخطوات، وإنَّ هذه الوثبة الأُولى هي التي تمدُّ بالقوة، وتوسع الرَّجاء، وتقرِّب إلى الغاية.

ولو كانت العقيدة غير الإسلام لاختلف الناس في الخطوة الأُولى، ولتنوع الاجتهاد، وتضاربت الآراء، ولكنه الإسلام جعل الخطوة الأُولى بعد الإيمان والنيّة، والعزيمة والقوة، علما محدَّداً واضحاً، ومنهاجاً ربّانياً مُيسَّراً، لا حجّة لأحد بالتولّي أو الإدبار عنه، وبدون هذا العلم لا تستقيم سبيل، ولا يشرق نهج، ولا تعرف تكاليف وواجبات، وتختلط الأُمور بين خرافة وحقيقة، أو كذب وصدق، أو ظنون ويقين، أو وهم وحق. إن الأُمور تختلط حتى

---

(١) سنن الترمذي. أبواب صفة القيامة (٣٨). باب (١٨). حديث رقم (٢٤٥٠).

لا تعـود المعـالم محدَّدة، وحتى لا تتمايز الأشياء بخصائصها. لقد اختلطت المعالم وبهتت الخصائص، فكيف يتيسَّـر التمايز؟.

إن العلم هو الخطوة الأُولى على النهج. إنه الخطوة الأُولى بعد النيّة الصادقة والعزيمة الصحيحة. والعلم هو كما تحدده العقيدة ويرسمه الدين، ويقرره الله رب العالمين، ويبلغه للناس رسوله الأمين.

فأسـاس العلم هو منهـاج الله ـ قرآناً وسنّة ـ. إنه المنهاج الربّاني كما أنزله الله سبحانه وتعالى، يحمل الحق المطلق، والدين الكامل، والحجة والنور والبرهان.

فعن جندُب بن عبدالله، قال: «**كنا مع النبيّ ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن. ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً**»[1].

فالإيمان أولاً: «فتعلمنا الإيمان......». وإن المؤمن ليتعلم قواعد الإيمان.

وفي صحيح البخاري: «باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾، فبدأ بالعلم. وإن العلماء ورثة الأنبياء...... وقال جلَّ شأنه: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾.... وقال النبيّ ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم......**»[2].

إن النيّة مقرونة بالإيمان، والإيمان متصل بالعلم، والنيّة والإيمان والعلم تمثل كلها في ترابطها الدرب السليم للتطبيق، والصراط المستقيم للممارسة، ويظلّ الدرب مُشْرِقاً بالنّور على قدر صدق النيّة، وسـلامة الإيمان، وصحة العلم. ويكون الإشراق نهجاً واضحاً، وخطة جليّة، وخطا تتسابق، وأنفساً تتزاحم، على درب طويل إلى الجنّة.

إنَّ واقـع العالم الإسلاميّ اليوم يدعو بإلحاح وقوة إلى دراسة أسباب الضعف وعوامل الانهيار، وإلى البحث عن حلول ووسائل، وأساليب وبدائل، عسى أن يرفع الله بها البلاء، ويقطع الفتنة، ويدفع إلى مسالك العزة والانتصار. إننا أمام وضع مذهل من فتن وهوان، وانحراف وضياع. ولكن النفس المؤمنة تتماسك أمام الأعاصير، وتتجلد أمام المحنة، حتى تفكر بإيمان وعلم ورويّة.

---

(١) سنن ابن ماجة. المقدمة. باب في الإيمان (٩). حديث رقم (٤٩).

(٢) صحيح البخاري. كتاب العلم (٣). باب العلم قبل القول والعمل (١٠).

لو أحصينا عدد الذين يدخلون بيوت الله يصلون . . . . . في العالم الإسلامي ، لوجدنا أن العدد كبير جداً ، يكفي ليقدم للأمة أعظم الجيوش عدداً ، وأوسعها مدداً . ومع ضخامة العدد والمدد نجد الهزيمة والضياع . فهنالك إذن مرضٌ ما . . . . ، أو وهنٌ ما . . . . ، أو سوءٌ ما . . . . . لا نكاد نلحظه بسهولة أمام الصلاة القائمة والشعائر المؤداة . فلو كانت الصلاة تؤدَّى بحقّ حتى تؤتيَ ثمارها ، ولو كانت الشعائر تقام على صفائها ، لدفعت هذه أفواجاً من الجنود ، وأمواجاً من شهداء الحق ، يرسمون طريق العزة لا الذلة ، والنصر لا الهزيمة .

ففي حديث رسول الله ﷺ عن ثوبان قال ، **قال رسول الله ﷺ : «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل : يارسول الله وما الوهن؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت» .**

رواه الإمام أحمد وأبو داود[1]

ولو رجعنا إلى تاريخنا لرأينا أن المرض ليس وليد ساعة ، ولا هو قضية سنوات . ولكنها قرون طويلة طرقت العالم الإسلاميّ بالفواجع ، ومدّت فيه المجازر ، وسكبت الدِّماء . فالمرض إذن أقرب لأن يعرف من شواهد التاريخ إن طُوِيَ الحاضر ، أو من أناتِ الحاضر إن غاب التاريخ ، أو منهما معاً .

وأول درس نتعلمه من تلك الأحداث هو أن يبدأ المسلم بنفسه ، وأن يرى أن المرض فيه كما هو بغيره . فلا يكثرنّ اللوم والعتاب ، وليأخذنّ نفسه بالبناء والعلاج أولاً حتى يكون مثلاً وقدوة ، وحتى يكون لكلامه آذان تسمعه ، ولعمله عيون تراه .

والدرس الثاني هو أنه لابدّ من أن يكون لكل فرد في الأُمّة مسئولية وأمانة ، وأنه عليه أن ينهض لمسئوليته وأمانته بهمة وجد ، وعزم وحزم ، وقوة وعزيمة .

والدرس الثالث هو أن هذه المسئولية والأمانة في حدودها العامّة ، لا يُحَدِّدُها بشر ، ولا يقرِّرُها إنسان . ولكنها واجبات ومسئوليات حدَّدها رب العالمين ، خالق الإنسان ورب الإنسان ، خالق السموات والأرض وما بينهما ، حدَّدها الله في منهاجه الربّانيّ . فمن هناك

(١) سنن أبي داود : كتاب الملاحم (٣١) . باب في تداعي الأمم على الإسلام (٥) حديث رقم (٤٢٩٧) .

فقط تعرف الأمانة وحدودها، والواجبات وبنودها، والمسئولية ومـداها. ولا يتعارض ذلك مع ضرورة وضع تفاصيل وإقرار جزئيات تقوم على أساس من منهاج الله والواقع الذي يعيشه المسلم. وتظلّ هذه التفاصيل تمثّل جزءاً من مهمة الإنسان في ممارسته لمنهاج الله في واقعه البشريّ.

من هذه القضايا الثلاث ينطلق تصورنا للخطوة الأولى على الدرب، والوثبة الأولى في الميدان. وإن البحث الـذي نسوقه يقوم على نفس القاعدتين الثابتتين اللتين ندعو لهما: المنهاج الربانيّ - قرآنا وسنّة - والواقع البشريّ.

أما بالنسبة لواقعنا اليوم، فيمكن أن ندرسه ونتفهمه من خلال عمليّة إحصائية، تقدم لنـا أكـبر عدد من النـماذج البشريّة من واقع المجتمع الإسلاميّ الحاليّ. ومن دراسة هذه النماذج: وسعاً وطاقة، إيماناً وعلماً، بذلاً وجهداً، وعياً والتزاماً، تجربة وخبرة، من دراسة هذه النماذج نستطيع أن نصل إلى ما هو أصحُ من الظنّ، وأقرب للأمانة، وأوسع فائدة في رسم نهج ومعالجة موقف. ولكن الدراسة يجب أن تخضع لميزان الإسلام الدقيق، للميزان الحقّ، لا يعصف به الهوىٰ. ومن مثل هذه الدراسة تجدنا نصل إلى نتائج واضحة بيّنة، لم يكن يخفيها عن البصيرة إلا غشاوة من هوىٰ، حالت دون رد الأمور إلى منهاج الله. ولا نريد هنا أن نسوق أرقاماً وأمثلة وتفاصيل دراسة، ولكننا نطرق أهم النتائج التي تعنينا هنا.

إن أول ما نلمسه في واقع المسلمين من دراسة هذه الشرائح والنماذج هو ضعف الزاد من العلم الحق، والله أعلم بحال الإيمان. إن ضعف الزّاد من العلم في مساحة واسعة جداً من الأمة، واضطرابه لدى فئة أخرى، جعل الميزان لدى الرأي العام يضطرب، والصورَ تختلط، وسهّل على الأعداء وأهل النفاق أن يندَسُّوا بين الصفوف، وأن يقتحموا الأسوار، وأن يعلوا الثغور.

ولو قارنا هذه الصورة مع الصورة التي نراها في الأمة في حياة الرسول ﷺ، لرأينا عظيم الفرق، وهول الخطر الذي يتهددنا.

من هذه النقطة، من هذه الزاوية، من هنا نرى أن الخطوة الأولى يجب أن تبدأ. إنها الخطوة الأولى التي لا تعطل الخطوات التالية، ولكنها تدفعها دفعاً واعياً قويّاً، وتوجهها وجهة مطمئنة رضيّة.

وإننا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل نقيّا طاهراً، خالصاً لوجهه الكريم.

ونسأله تعالى أن يَمُنّ علينا بلطفه فيجنّبنا الزلل وهو الوليّ الحفيظ .

فإن أصبنا خيراً فذلك من فضله ورحمته ، وأما الزلل فمن الشيطان ومما كسبت أيدينا .

نلجأ إلى الله ، إلى عفوه ، إلى رحمته التي وسعت كل شيء .

والحمد لله رب العالمين

د. عدنان علي رضا النحوي

الرياض :

الجمعة

١ محرم ١٤٠٧

٥ سبتمبر ١٩٨٦

مقدمة الطبعة الثانية

وأنا أدفع هذا الكتاب إلى الطبعة الثانية، نجد أن العالم الإسلامي مازال يموج في بحر ممتد من الفواجع والنكبات. ومازال الناس يتلفتون يسألون أين المخرج؟ أين الملجأ:

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ . (التوبة : ١١٧ ــ ١١٩)

نعم ! لا ملجأ من الله إلا إليه. ولن تجد أمتنا سبيلا للخروج من الليل المدلهم إلا إذا أنابت إلى الله، وعادت إليه، ولجأت إليه لجوء إيمان ثابت ويقين راسخ، وعلم في كتاب الله وسنّة نبيه، وممارسة إيمانية صادقة واعية أمينة، ومن أجل ذلك، وفي سعي يرجو رضاء الله، كان هذا الكتاب.

لقد عرض القرآن الكريم نموذجين من الناس الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك. نموذج المنافقين الذين كذبوا الله ورسوله فاعتذروا عن تخلّفهم بما هو كذب ونفاق. وهؤلاء لم ينزل فيهم عقاب دنيوي، وظنوا أنهم نجوا، ولكن حسابهم الشديد بين يدي الله. ونموذج آخر هم الثلاثة المؤمنون الذين اعترفوا بخطئهم وذنبهم اعتراف صدق ووضوح، فنزل بهم العقاب الدنيوي. ثم يكون ختام هذه القصة كلها: «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**».

نعم ! فَلْنكُنْ مع الصادقين، فهذا هو باب النجاة، وهذا هو المخرج، ولا نجاة بدونه أبدا، حتى ولو كان سبيل الصادقين سبيل محنة وابتلاء!.

الصدق مع الله! الصدق مع أنفسنا! الصدق مع الناس! الصدق في البيت والشارع والتجارة والوظيفة. الصدق الذي يقوم على الإيمان الثابت الراسخ، والعلم القويّ المتين. ولا بدّ من أن يقوم العلم على قاعدتين أساسيتين هما: المنهاج الرباني والواقع.

فحين تقوم الأمة المسلمة الواحدة على هاتين القاعدتين، وتزيح من حياتها الجهل والهوى، فعسى أن يفتح الله أبواب رحمته، وينزل من لدنه نصراً وعزة ونجاة، على منهج مشرق للمؤمن، منهج في العلم، ومنهج في التطبيق.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾. (النور ٥٥)

والحمد لله رب العالمين

د. عدنان علي رضا النحوي

الرياض : ١٤٠٨/٦/١هـ
١٩٨٨/١/٢ م



محور هذا الكتاب هو «**المنهاج الذاتيّ**» أو «**المنهاج الفردي**». ويهدف هذا المنهاجُ إلى أن يمثل منهاج المؤمن لدراسة أمرين وتدبرهما: المنهاج الربّاني، والواقع. وهو يمثل كذلك ركائز التدريب والإعداد حتى تتحول الدراسة والتدبّر إلى ممارسة إيمانيّة واعية، ممارسة تحمل خصائص العمل الصالح من شمول لميادين الحياة، والتزام بمنهاج الله، ونموٍّ وتطور، يدفع حياة المؤمنين لتنتقل من هدف إلى هدف، ومن مَعْلَمٍ إلى مَعْلَمٍ، في طريقهم المستقيم إلى الجنّة.

إن هذا المنهاج يمثل منهاج المؤمن، في حياته ليكون صحبة عمر ورفقة حياة، دون تعطيل دور أي مؤسسات أخرى تساهم في تحقيق هذه الغاية. إن هذا المنهاج هو منهاج ذاتيّ، يقوم به الفرد المؤمن، مستعيناً بأي طاقة تدفعه في هذا السبيل. منهاج ذاتيّ، أو منهاج فرديّ، ينهض المؤمن ذاته إلى مسئولية التزامه وتنفيذه. هذا هو محور الكتاب.

إن الفصل الأول من الباب الأول هو «**لماذا المنهاج الربّاني؟**». وبالإجابة على هذا السؤال، نوضح حقيقة ونهجاً. نوضح أن دور القرآن والسنّة هو دور أكبر من شعار، وأن دوره يجب أن يتمثل بنهج مدروس، بنهج إيماني، يحمل من المرونة واليسر ما يساعد كلّ مؤمن على ملازمة منهاج الله إيماناً وتدبُّراً وممارسة. لا ننكر أن هنالك كتباً تساعد على فهم منهاج الله، ولكن الذي ننكره هو أن تأخذ هذه الكتب دور منهاج الله في نفوس بعضهم، أو في ممارسة آخرين، مع المحافظة على إعلان شعار المنهاج الربّاني، ليكون دوره العملي هو دور الشعار، أكثر مما هو دور بناء وتكوين كما كان في مدرسة النبوّة.

لم يكن في مدرسة النبوة كتاب مستقلّ يعلّم الصحابة باباً من أبواب الدين مستقلاً عن سائر الأبواب، ولم يكن الصحابة يدرسون أحكاماً مستقلة معزولة عن العقيدة، أو يدرسون «الفكر الإسلاميّ» من عديد من المصادر. لقد كان منهاج مدرسة النبوة هو القرآن والسنّة، والقدوة والتدريب، والمراقبة والنصيحة. لقد كانوا يتعلمون عقيدة متكاملة متناسقة، تحمل قواعد الإيمان والتوحيد، والأحكام والفقه، والتاريخ والقصّة، ونبأ الغيب والآخرة، والعبرة والموعظة، والسنن الربانيّة في الكون، وآيات الله في السماء والأرض وما بينهما، والسياسة

والدولة، والتربية والاجتماع، وعلم النفس والتدريب، والإدارة والقانون، والاقتصاد والمال، ذلك كله، كانوا يأخذونه من مصدر واحد هو منهاج الله - قرآناً وسنّة - على صورة مترابطة متناسقة متكاملة. وكانوا يأخذون ذلك مع الممارسة والتطبيق، والالتزام والتدريب، والبذل والمعاناة، ومع دراسة الواقع ووعيه.

فإذا منّ الله علينا اليوم بكتب تحمل خيراً وبركة، فلابد من أن تأخذ هذه الكتب مكانها الأمين العادل، ليبقى للمنهاج الربانيّ الدور الأول، والدور الرئيسي، والدور التطبيقي العملي، بالإضافة إلى الشعار الكريم، والراية الجامعة. من أجل ذلك وضعنا هذا الفصل الأول ليوجز ما عرضناه في كتاب دور المنهاج الربّاني في نقاط محددة واضحة، تساعد على تكامل الفكرة، وسهولة تمثلها، ويسر مناقشتها، ورويّة ردّها إلى منهاج الله.

ويجيء الفصل الثاني ليشرح نظرية المنهاج الذاتيّ الفرديّ، جزءاً جزءاً.

وأما الفصل الثالث فيقدم نماذج من المنهاج الفرديّ، تتناسب والوسع والطاقة، أو العمر، أو الثقافة والعلم. وهذه النماذج تزيد نظريّة المنهاج الفرديّ وضوحاً وعمقاً، وتزيدها مرونة وليناً، لتبيّن مدى ما يستطيعه المؤمن في أن يوائم بين هذا الواجب وبين واقعه. وقدرة المؤمن على هذه المواءمة تساعده على المضيّ والنمو، والمداومة والاستمرار. إنها مراحل المنهاج الذاتيّ.

لقد قلنا إن هدف الدراسة والتدبر هو الانتقال بها إلى الممارسة والتطبيق. وهذه حقيقة أساسية في نظرية البناء والتكوين في التربية الإسلامية. ودون وعي هذه الحقيقة نفقد الكثير الكثير من بركة دراسة منهاج الله. إن الممارسة الإيمانية هي الهدف الحقيقيّ للدراسة والتدبر، حتى تكون الممارسة الإيمانية عملاً صالحاً يقوم على إيمان، وعلم، وخبرة. وبذلك تستطيع الممارسة الإيمانيّة أن تنمو، والعمل الصالح أن يمتدّ امتداداً واعياً إلى شتى الميادين.

وجاء الباب الثاني «**التربية والبناء**» في فصلين متمّمًا لما ورد في كتاب «**دور المنهاج الربّاني**» عن هذا الموضوع، وليربط هذا البابُ دورَ المنهاج الذاتي في تحقيق أهداف التربية والبناء في الإسلام، وكذلك ليربط مراحل التربية والبناء، ليربط ذلك كله بأهداف ومراحل الدعوة الإسلامية. فكان الفصل الأول هو: «**أهداف المنهاج الذاتيّ والتربية الإيمانية**».

وجاء الفصل الثاني: «**مراحل التربية والبناء من خلال الدعوة**».

إن الجهد كله ينصب على تيسير ممارسة منهاج الله في الواقع، ممارسة تقوم على الإيمان

والعلم والتدريب. وقد لا تكون الصعوبة في الفهم أو التدبر بقدر ما هي في الممارسة والتطبيق. وتنشأ الصعوبات في الممارسة والتطبيق من مصدرين أساسيين: أولهما هو الواقع الذي يكون على حال تخالف منهاج الله. وثانيهما هو الطبيعة البشرية بما تحمل من رغبات وشهوات وأهواء.

لقد كان من الضروري أن نشير إلى هذه الحقيقة الهامة، حتى لا يحسب المسلم أن الصعوبة التي يلقاها هي من منهاج الله. فمنهاج الله ميسَّرٌ بإذن الله على المؤمنين:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾. (القمر: ١٧).

فإذا وجد المسلم صعوبة أو حرجاً في تدبّر منهاج الله، فإن مردّ ذلك لأسباب يقيمها الواقع، وأسباب يحملها الضعف الذي يمكن معالجته. فقد يكون ضعف اللغة سبباً، وعلاج هذا السبب بيد الإنسان، وقد تكون الشهوة العارمة سبباً آخر، وعلاجها في نفس الإنسان. ومهما تنوعت الأسباب فإنها تظل نابعة من الواقع البشريّ، أو من الإنسان نفسه، وهي مسئولية الإنسان نفسه أن ينهض لمعالجة هذا السبب أو ذاك. ولذلك كان من الضروريّ أيضاً أن نضرب مثلاً نأخذه من طبيعة الإنسان، مما قد يسبب صعوبة أو حرجاً في طريق الممارسة والتطبيق. ليكون هذا المثل عوناً للمؤمن على معالجة هذه العقبات.

إن أول صعوبة تواجه المؤمن وهو يمارس نشاطه الإيمانيّ تبرز حين لا يعرف حدوده وقدرته، ووسعه ومكانته، وحقوقه وواجباته. فعندئذ تضطرب الممارسة في أعاصير الهوى والرغبات. ولكن المؤمن الذي يعرف منزلته ومنازل الآخرين، وحقوقه وواجباته، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب الآخرين، ويردُّ أموره كلها إلى منهاج الله، ليحدِّد منهاجُ الله له منزلته وحقوقه وواجباته، إن هذا المؤمن هو أقدر على صدق الممارسة، وطهارة العمل، والنجاة من فتنة بعدها فتنة. ومن غرّته نفسه عرَّضها للهلاك وأهلك غيره.

لذلك جاء الفصل الأول من الباب الثالث «**منازل المؤمنين بين الحقوق والواجبات**» ليقدِّم نموذجاً لما يواجهه المؤمن في ممارسته، ليقدِّم الصورة التطبيقية لهذه القضية قضية منازل الناس. وليقدّم كذلك مثلاً عملياً على أهمية وخطورة دراسة منهاج الله. فمنهاج الله هو الذي يعلِّم المؤمن معالجة هذه القضية، وهو الذي يدربه عليها. يضاف إلى ذلك أن هذه القضيّة كانت سبباً رئيسيّاً في معاناة طويلة مريرة عاناها العمل الإسلاميّ، حين يضطرب الميزان في تقويم الرجال، فتختلط المنازل، وتضيع المسئوليات، ويطالب الجميع عندئذ بالحقوق،

وينسى الكثيرون الواجبات، وتضطرب القواعد وتختلط. ومن اضطراب هذه القواعد تضطرب ممارسات أُخرى ترتبط بها. فإن تقديم الرأي في هذا الموقف أو ذاك، أو أداء عمل إداريّ في هذا المرفق أو ذاك، أو تنظيم مشروع، أو وضع خطة، كل ذلك وكثير غيره، تعتمد سلامة تنفيذه على صحة هذه القضيّة، ووضوح قواعدها وأُسسها. ولا أَدلّ على ذلك من أَن علم مصطلح الحديث يعتمد، في جملة ما يعتمده، علم الرجال ومعرفة أَخبارهم ومنازلهم.

لهذا جاء الفصل الأول من الباب الثالث: «**منازل المؤمنين بين الحقوق والواجبات**». مثلاً قويّاً على أهمية مصاحبة منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ـ مصاحبة إيمان وعلم وتدبّر، وممارسة نامية غنيّة بالخير والبركة.

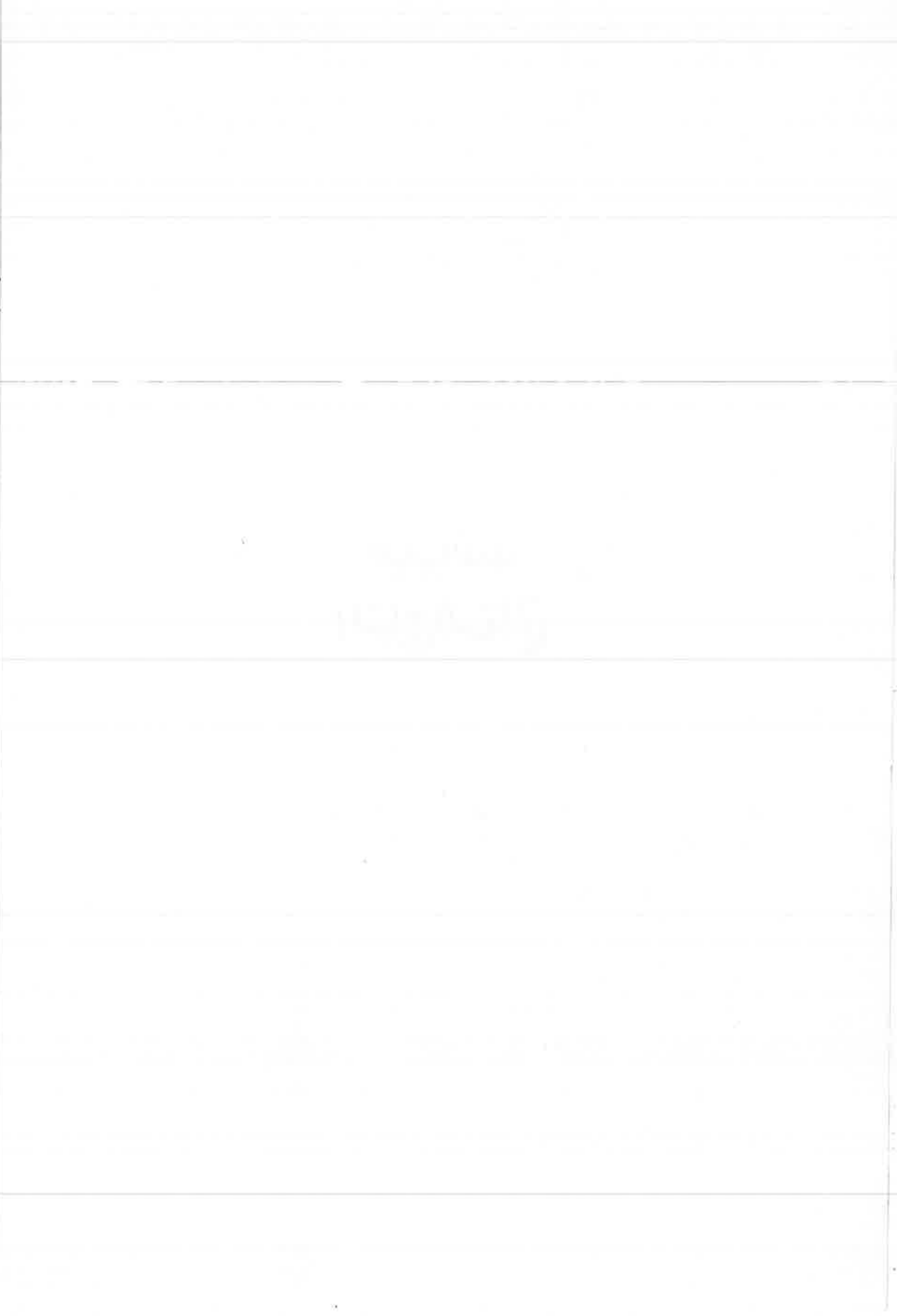
وقضيّة أُخرى لا تقل أَهمية عن الأُولى. قضيّة أُخرى نعرضها في الفصل الثاني من الباب الثالث وهي «**الموازنة بين مسئولية الفرد ومسئولية الأمة**». إن هذه الموازنة ضرورية لحفظ سلامة الممارسة الإيمانية في عمل صالح، دون أَن ينجرف الفرد إلى هوى الأَنانيّة الفردية، ولا إلى ذوبان شخصيته حتى تزول. وبدون هذه الموازنة تختلُّ ممارسات كثيرة في حياة المؤمن: في العمل الإداري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وغير ذلك. لا شيء كمنهاج الله يعلم المؤمن هذه الموازنة. ولا يصدق التعليم إلا إذا كانت صحبة منهاج الله هي صحبة منهجيّة، صحبة عمر وحياة. فإن وضوح هذه القضيّة لا تأتي من مجرَّد سماع محاضرة أَو قراءة كتاب. ولكنها تتضح وتزداد وضوحاً مع المصاحبة الواعية لمنهاج الله، ومع التدريب والتوجيه في واقع الحياة.

ومن هذا المنطلق جاء الفصل الثالث من الباب الثالث ليعرض نماذج من قضايا أُخرى تتعلق بالممارسة الإيمانية وتوضح بعض ملامحها. يعرض الفصل مقارنة بين الأَمس واليوم، نتلمس من خلالها بعض المسئوليات، ونتلمس بعض المنافذ التي دلف منها الأَعداء. ثم يعرض الفصل «تناسق سلوك المؤمن وتكامله» حتى تكون ممارسته الإيمانية في واقع الحياة صورة مشرقة متكاملة، ولتكون تجارته وسياسته وغير ذلك من ممارساته في الحياة امتداد صلاة، وإشراقة صيام، ونشاط حج. ويعرض الفصل كذلك تكامل فقه الدعوة حتى تتكامل الممارسة. ويلي ذلك قضية من أَخطر قضايا الممارسة الإيمانيّة، أَلا وهي: «ردُّ الأُمور إلى منهاج الله». فنبين أَهمية الموضوع وأَهم خطواته العملية. ثم نعرض «استمرار الممارسة الإيمانيّة وامتدادها»، ثم النظرة الإيمانيّة لبذل الجهد، وما قد تطمح إليه النفس من جني الثمار.

ويجيء الباب الرابع ليقدِّم قائمة موسعة من المراجع، تشمل صورة أوسع من القائمة المبسطة للمراحل الأربع الأولى. ونهدف من هذه القائمة كما شرحنا في مقدمتها إلى أن تكون مرشـداً ومعينـاً لا يقف المسلم عندها، ولا يحصر جهده فيها. فالواقع متجدد مع الزمن بأحداثه ورجاله وكتبه. فمن الخطأ أن يظل المسلم عالة على قائمة واحدة مهما كانت هذه القائمة.



الباب الأول
المنهاج الذاتي



الفصل الأول
لماذا "المنهاج الرباني" ؟

لابُدَّ من الإجابة على هذا السؤال في نقاط محدَّدة واضحة يسهل بيانها وعرضها. ولقد سبق بحث الموضوع الذي نهدف إليه هنا في كتاب مستقلّ هو «دور المنهاج الربّانيّ في الدعوة الإسلامية»، صدر في طبعته الأولى سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م). والسؤال الذي قد يثيره بعضهم هو: لماذا المنهاج الرّبانيّ؟. فهم يرون أن دراسة المنهاج الربّانيّ ـ قرآنا وسنّة ـ تحتاج إلى جهد لا يملكه الإنسان العاديّ وإلى وسع لا يبلغه إلّا المتميّزون. ومن هذا التصوُّر نشأ بُعْدٌ كبيرٌ عن كتاب الله وسنّة نبيِّه، ونشأ اضطراب في فهم الواجبات والمسئوليات، ونشأ كذلك اختلاط في المنازل والدرجات. واضطرب الميزان كله في يد الفرد، وفي الرأي العام، حتى انقلبت الموازين، وتفلّت كثير من الناس من عهدهم مع الله. ولذلك جاء الفصل الأول من الباب الثالث يعالج الارتباط بالإيمان، وبفهم منهاج الله وتدبُّره، وبفهم الواقع الذي يعيشه المؤمن. وكان البحث الثاني هو الموازنة بين الفرد والجماعة أو الأُمَّة في المسئولية والواجبات. وخرجنا من البحث كذلك بأن هذه الموازنة لا تقوم إلا بمنهاج الله الذي يخضع له الفرد والأُمة، والذي يتدبَّره المؤمن تدبر إيمان وعلم، ليعيَ حدوده وواجباته.

المنهاج الربّانّي هو المنهاج الذي أنزله الله سبحانه وتعالى وحياً على رسوله محمد ﷺ ليبلغه للناس أجمعين، وليبيّنه لهم، ولتُخْتَم به الرسالات السماوية. وهو القرآن الكريم وما صحّ من حديث رسول الله ﷺ. وهو منهاج ربّانّي متميّز من كل ما يمكن أن يضعه البشر. فهو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهو منهاج تامّ، كامل مفصَّل، بيِّن، محكم، متناسق. وهو هدى، ونور، وشفاء، ورحمة، وموعظة، وبشرى، وذكرى. وهو منهاج معجز كل الأعجاز، تعهد الله بحفظه. وهو للناس كافّة، أنزله الله على رسوله ﷺ ليبلغه للناس وليبيّنه لهم. وجعله ميسَّراً للذكر. وجعل لغته هي اللغة العربية.

إن القضيَّة التي نريد أن نبرزها ونؤكدها ونكررها هي أن مهمّة الإنسان لا تنحصر في أداء الشعائر فحسب، ولا تتحدَّد بتلاوة كتاب الله تلاوةَ تبرّكٍ، لا يصحبها تدبّرٌ عن إيمان وعلم.

فمهمّة الإنسان ـ كلِّ إنسان ـ هي أن يمارس منهاج الله في واقع حياته. إنَّ مهمّة الإنسان هي أن يمارس حقيقة إيمانه في جميع أوجه حياته، وجميع ميادين نشاطه، وجميع أوقاته، وفي جميع أماكن عمله وحركته وسكونه. إنها ممارسة حياة كاملة، ممارسة متكاملة لمنهاج ربّاني متكامل. إنها ليست ممارسة مؤقّتة، ولا هي مرحليّة تُترك بعد حين، ويفرغ منها بعد زمن. وهي ليست ممارسة محصورة بحالة محدودة، أو مكان محدود، أو زمن محدود. إنها ممارسة حياة كاملة في كل لحظة، وفي كل حركة، ومع كل سكون:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾. (آل عمران: ١٩١).

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ». رواه مسلم[1]

إن القضيّة هي ممارسة منهاج الله في واقع الحياة ممارسة حياة، ممارسة إيمانية، لا تنخنق في زاوية ضيّقة، ولا تتحجرً على شكل محدود، وإنما تمتدّ مع الحياة امتداد زمان ومكان، وامتداد نماء وقوة. وتتم هذه الممارسة الإيمانية من خلال الجهد البشريّ المؤمن، الجهد الذي يخطىء فيقوّم خطأه، ويضعف فيُقوّي عزمه، ويمسُّه طائف من الشيطان فيتذكر ويبصر.

إنّ الممارسة الإيمانية لمنهاج الله تتمّ من خلال طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها، وألهمها فجورها وتقواها، تفلح بالإيمان والتزكية، وتخيب لمن دسّاها.

إن الممارسة الإيمانية لمنهاج الله تحمل خصائصها وشروطها في منهاج الله ذاته. فهو الذي يوجه الممارسة في كل ميدان، وهو الذي يرسم النهج ويحدد الأهداف.

إن مهمة الإنسان هذه ودوره هذا مُحدَّدان في منهاج الله. فقد أُنزل هذا المنهاج ليؤمن به الناس، ويتبعوه من دون أيّ منهاج آخر. وأُنزل ليحكم بين الناس، وليرسم لهم النهج، ويحدد لهم الأهداف. وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بدراسة هذا المنهاج وتدبره، وتلاوته والتفكر فيه، وعدم هجره أو الإعراض عنه. وقد أمر الله عباده أن يأخذوا هذا المنهاج

(١) صحيح مسلم: كتاب الأقضية (٣٠). باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٨) حديث رقم (١٧١٨).

متكاملاً، فلا يؤخذ منه جزء ويترك جزء. , ويؤخذ بعزيمة وقوة. ومع هذا الأخذ يظل هناك قاعدتان أمام المؤمن تميّزان طبيعة الأخذ، وتجنِّبان المؤمن مواطن الضعف والزلل، والحيرة والتردد. وهاتان القاعدتان هما: تميز المنهاج الرباني تميّزاً معجزاً عن أي منهاج يضعه البشر، ووسع الإنسان الذي وهبه الله له وطاقته، ليستوعب هذا الوسعُ منهاج الله وتدبُّرَه والعملَ به.

ويصبح منهاج الله هو الذي يرسم للدعوة الإسلامية طريقها ووسائلها ومراحلها، لتمضي الدعوة إلى الله ورسوله إلى يوم القيامة. ويرسم للداعية نهجه وخصائصه وصفاته، ويربط الداعية بالناس وواقعهم، والمجتمع وأحواله، حتى يكون أقدر على المتابعة وأنجح في العلاج.

ويصبح منهاج الله كذلك مصدر القواعد والأُسس في البناء والتكوين، ومصدر النهج والتخطيط، ومصدر التدريب والإعداد، ومصدر فهم الواقع البشري. ليكون هذا الفهم للواقع قاعدة ضرورية في حسن ممارسة منهاج الله فيه.

وهو مصدر التدريب الحركيّ الإيماني الذي يقوم على القاعدتين الأساسيتين: فهم منهاج الله وفهم الواقع الذي يعمل فيه. ومن خلال ذلك كله تنمو المواهب الإيمانية، وتتسع الخبرة، ويمتدّ الزاد، وتصان الروابط الإيمانية كلها، وتتحدَّد الوسائل والطاقات.

هذه القضايا والخصائص سبقت دراستها مفصلة في كتاب «دور المنهاج الربّاني في الدعوة الإسلامية». وأوردنا هنا موجزاً للتذكير والتمهيد. ومن خلال هذا كلّه نجد أنه لابدّ من الإجابة عن السؤال الذي يتردد كثيراً على ألسنة الناس: لماذا نطلب دراسة منهاج الله من الناس كلهم فهذا أمر خاص بالعلماء فقط؟ هكذا يعرض القضية بعض الناس، حتى وهنت عزائم الكثيرين، وتدنت جهود المسلمين، ونأى العدد العديد عن منهاج الله، وأخذ بعضهم عن منهاج الله أخذاً متفلتا غير منهجيّ، لا يقدِّمُ تصوّرا ولا يصحّح سلوكاً، والتزم آخرون بمصادر بشريّة يأخذون عنها الفكر والتصور والسلوك ـ ولا نقول النهج حيث لم يكن هنالك نهج. وأصبح هذا الأخذ بعيداً عن أجواء النصيحة والمراقبة والتدريب، فتعذر بعد ذلك ردّ الأمور إلى منهاج الله كما يأمر الله سبحانه وتعالى. وأصبح الرَّدُّ يتمّ إلى ما يحمل الإنسان من علم مجزوء متفلّت، وتصور مختلط مضطرب، أو هوى غالب، أو جهل فاضح.

ولقد زاد البلاءَ والمحنةَ جهلُ الناس بواقعهم جهلاً جعلهم لا يُدركـون ما يكاد لهم، ولا يحيطون بالمكر الذي يدور حولهم. ولقد دفع الشيطان نفوساً كثيرة في مجتمعنا دفعاً أبعدها عن الدين، وأوقعها في حبائل الفتنة، ومصائد الشّر البعيد.

لهذه الأسباب كلها كان لابدّ من الإلحاح على هذه القضيّة حتى تأخذ صورتها الربّانيّة في النفوس، ودورها الحقيقيّ في الميدان، ونهجها الأمين في الممارسة والتطبيق. ولهذه الأسباب كلها نحاول هنا أن نعيد ونؤكد الإجابة على السؤال السابق: لماذا المنهاج الربّاني؟

أولاً: إنه أمر الله سبحانه وتعالى:

إن تلاوة منهاج الله وتدبُّره، ودراسته دراسة منهجية، دراسة تدبُّر، دراسة إيمان وتصديق، هي تكليف من عندالله، وليس تكليفاً من رجل أو سلطة. إنه أمرٌ من عند الله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾. (الأعراف: ٣).

كيف يكون الاتباع إذا لم تكن هنالك دراسة وتدبر، وإيمان وعلم.؟

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾. (الأنعام: ١٥٥).

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾. (الأنعام: ٩٢).

فهو كتاب أُنزل من عند الله ليتبعه الناس كلهم وحده من دون أي منهاج آخر، من دون أي أولياء. والاتبـاع يجب أن تصحبـه التقـوى، ويصحبـه البيان والتبليغ، والإيمان والتصديق، وإقامة الشعائر وأولها الصلاة.

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾. (ص: ٢٩).

فهذا تأكيد لما سبق وتثبيت للتدبّر والتذكُر، حتى تكون التلاوة تلاوة إيمان ويقين، وتدبّر وتذكر.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾. (النساء: ٨٢).

وكذلك يؤكد الله سبحانه وتعالى لعباده أنه أنزل القرآن للذكر، ولذلك يسَّره لهم، ليأخذ كل إنسان منه قدر وسعه الذي سيحاسب عليه:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾. (القمر: ١٧).

فهو كلُّه ميسر للذكر لا جزءٌ منه، ميسَّرٌ كله لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقول: ﴿**ولقد يسرنا القرآن. . .**﴾ وهو ميسَّر للناس كلهم، للمكلفين شرعا، كل حسب وسعه، ذلـك لأنه ميسَّر للذكر، من الناس كلِّهم لا من جنس معينّ، ولا طائفة معيّنة، ولا فئة محدودة. إنه ميسّر للذكر: تلاوة وقراءة وفهما وتدّبرا، ذلك لمن أراد الله له الهداية والإيمان. وجاءت هذه الآية الكريمة مكررة أربع مرات في نفس السورة. ولا يكون هذا التكرار إلا للأهميّة والتأكيد والتثبيت. والله سبحانه وتعالى أمر رسوله ونبيّه محمداً ﷺ أن يذكر الناس بالقرآن، بمنهاج الله:

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾. (ق: ٣٥).

ولنعشْ مع الآيات من سورة الأنعام لنرى المعاني والظلال، والتوجيه الربّانّي الممتد مع العصور كلها، والأنبياء والمرسلين:

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾. (الأنعام: ١٥٤ ـ ١٥٧).

إن القضية واحدة مع جميع الأجيال والعصور. إنها كتاب الله المنزل من عنده. لقد آتى الله موسى الكتـاب ليتـدبَّره الناس من بني إسرائيل، كل بني إسرائيل لعلهم بلقاء ربهم

يوقنـون. فالكتـاب كان إذن باب الإيمان، ومدخل اليقين. وتظلّ القضيّة المطروحة هي نفسهـا في مقبـل الأجيال، هي دراسـة كتـاب الله: ﴿. . . . **وإن كنا عن دراستهم لغـافلين. . .**﴾. والإدبار عن دراسة كتاب الله وتدبره، تصوره الآيات الكريمة لنا كأنه عزوف عن آيات الله وتكذيب بها.

وتأتي الآيات الكريمة في سورة الأعراف لتصور لنا حالة أُخرى من التعامل المتفلّت مع كتاب الله، تعاملاً لا يرضـي الله، ولا يقود إلى بركة وخير. تعاملاً يأخذ فيه العَرَض، عَرَض هذا الأدنى. ولكنّ الله سبحانه كان قد أمرهم أمراً لا لبس فيه، بأن لا يقولوا على الله إلا الحق وذلك بالتمسك بكتاب الله، دراسة وإيمانا وممارسة.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ. وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾.

(الأعراف: ١٦٩، ١٧٠).

إنهم يأخذون جزءاً ويدعون جزءاً. إنهم يأخذون عَرَض هذا الأدنى، وإنهم يأخذون عرضاً مثله حين يأتيهم، فخالفوا بذلك ما أُخِذ عليهم في ميثاق الكتاب، والميثاق يقضـي بأن يُمسِّكـوا بالكتـاب، ويقيمـوا الصـلاة. والأمر الأول، «يمسّكون»، تعني كُلَّ أنواع التمسّك المبارك بالكتاب: تلاوة، وتدبرا، ودراسة، وحفظا، وقبل ذلك كله إيماناً وتصديقاً. والأمر الثاني هو العمل به كله، وأشار إلى ذلك بأهم العمل وهو الصلاة.

فالقضية إذن واحـدة. هي دراسة منهاج الله وتدبره كاملاً، كله لا جزءاً منه، دراسته وتدبره والإيمان والتصديق به، ثمّ ممارسته في واقع الحياة. هذه هي القضيّة التي كان يتفلّت منها أتباع الرسل، وهي القضيّة التي يتفلّت منها كثير من المسلمين اليوم. وقبل أن تستقر هذه القضية، فكثير من الجهود في ميادين أُخرى ستضيع هباء.

فدراسة منهاجِ الله، دراسة متكاملة هو توجيه ربّاني، وليس تصوراً بشرياً يبتدعه أَحد من الناس. إننا نذكر فالذكرى تنفع المؤمنين.

ثانياً : عبرة التاريخ والأحداث :

لقد رأينا كيف ضرب الله لنا مثلاً ببني إسرائيل عندما بدأ تفلُّتهم بعدم التمسك الأمين بكتاب الله. ونسمع في سورة الفرقان نداء الرسول ﷺ يدوي :

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ . (الفرقان : ٣٠).

وإذا استعرضنا أحداث التاريخ نجد أن عدداً غير قليل من النكبات والفتن كان يدفعه الجهل بالمنهاج الربّاني، يفتح الهوى، ويغلق باب التربية والبناء، ويسدّ مسالك الخير ومنافذ النور. فلو رجعنا إلى الفتنة التي وقعت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والتي استشهد فيها الخليفة في ١٨ ذي الحجة عام ٣٥هـ، لو رجعنا إلى هذه الفتنة نجد أن هنالك أمراً يقينياً لا يختلف فيه أحد. ذلك الأمر هو أن أهل الفتنة كانوا من العوام، لم تتعهدْهم مدرسة الإيمان علماً وتدريباً، كما كانت تتعهد مدرسة النبوّة صحابة رسول الله. لقد كانوا من العوام الذين دانوا للإسلام، ولكن لم ينالوا حظّاً من بركة العلم ونوره، ولاحظا من نعيم التربية والإعداد. فكانوا صيداً سهلاً إما للفتنة المباشرة تطويهم في خضمّها، وإما أداة لعناصر تختفي في ظلمات النفاق والكفر. وسواء أكان الأمر هذا أم ذاك، فإنهم في كلتا الحالتين كانوا ضحية الجهل بمنهاج الله جهلاً فتح أمواج الهوى وعواصف الرغبات. ذلك أنه لا يمكن لمسلم عرف حلاوة الإيمان، وجمال القرآن الكريم، وحكمة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، لا يمكن لمسلم هذا شأنه أن تمتدّ يده إلى جريمة فظيعة بالاعتداء بالقتل على مؤمن بشرّه الرسول ﷺ بالجنة، مؤمن تستحي منه الملائكة. لو عرف مالك بن الحارث الأشقر النخعي، وثابت بن قيس النخعي، والغافقي بن حرب العكي، وقتيبة بن حمران، وغيرهم، من أهل الجهل والهوى، لو عرفوا منزلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعرفوا أبسط قواعد فقه الإسلام، لو عرفوا هول الجريمة التي يرتكبونها في نظر الإسلام، لما امتدت يد إلى عثمان رضي الله عنه، ولا لوّح أحد بالسيف أمامه مهدداً. ولكن لو صدقوا الإيمان والعلم لاستَحُوا منه كما تستحي الملائكة منه. لو كانوا يعيشون مع آيات الله تلاوة وتدبراً لردتهم الآيات وردتهم الأحاديث عن سوء ما عملوا، لردّهم الإيمان والعلم. وكيف تغيب عن مؤمن يعيش مع كتاب الله آية النساء وغيرها في كتاب الله عن حرمة النفس المؤمنة :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ . (النساء : ٩٣)

وعثمان رضي الله عنه ليس الرجل العاديّ الذي يجهله الناس ويجهلون منزلته التي شهد له بها رسول الله ﷺ :

عن عبد الرحمن بن حباب قال: «**شهدت النبيّ ﷺ وهو يحث على جيش العسرة. فقام عثمان بن عفان فقال: يارسول الله عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يارسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثمّ حضّ على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يارسول الله عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه. ما على عثمان ما عمل بعد هذه**».

رواه الترمذي[1].

وفي صحيح مسلم كذلك :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه. (قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد). فدخل فتحدث. فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له، ولم تباله. ثم دخل عمر فلم تهتشَّ له ولم تباله. ثم دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك! فقال: «ألا أستحِي من رجل تستحي منه الملائكة**».

رواه مسلم[2].

كيف ينسى مسلم هذه الآيات والأحاديث، ثم تمتدُّ يده لترتكب أفظع جريمة في حياة الإنسان ـ ألا وهي جريمة القتل، ألا وهي جريمة قتل النفس المؤمنة، ألا وهي جريمة قتل رجل شهد الرسول ﷺ له بالجنة، وبالإيمان، وبالأجر الواسع.

ومن تلك الفتنة نتعلم هذا الدرس على الأقل، لنعلم أهمية منهاج الله، وأهمية بناء الأجيال على صدق الصحبة لمنهاج الله حتى نبني أمة، وندرأ الفتن والشرور. في معظم الأحيان يظل التاريخ لدينا سرداً للأحداث، ومناقشة لصحتها أو بطلانها، وقليلاً ما يعمد الناس لأخذ العبرة، وبناء الموعظة، على أساس المنهاج الربّاني. وربما عمد بعضهم إلى تجنّب

(١) سنن الترمذي. كتاب المناقب (٥٠). باب مناقب عثمان بن عفان (١٩). حديث رقم (٣٧٠٠).

(٢) صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة (٤٤). باب فضائل عثمان بن عفان (٣). حديث رقم (٢٤٠١).

الحديث عن هذه الفتنة أو تلك خشية البلبلة، فيأتي آخرون يتولون هم الحديث فيثيرون بلبلة أشد ويوقعون الناس في فتنة أوسع. لذلك نرى أن تاريخ المسلمين يجب أن يدرسه المؤمنون الصادقون، ويردّوه إلى منهاج الله، لتتعلم الأجيال عبرة بعد عبرة، وحكمة بعد أخرى.

وسقوط الخلافة! قد يضع رجال التاريخ أسباباً عديدة لسقوطها. ولكننا سنعرض سبباً واحداً نراه يجمع هو نفسه سائر الأسباب. لقد كان المسلمون في أحسن حالاتهم في تلك الفترة من الخلافة الإسلامية، يحملون عاطفة الإيمان بعيدة عن قوة العلم بمنهاج الله. ولو فتشت حالة العالم الإسلاميّ آنذاك لهالك الأمر. الملايين من المسلمين من مختلف الشعوب الممتدة في أرض واسعة لا يحملون عمق العلم ولا حتى مظاهره. جهل بالقرآن وجهل بالسنة. والناس تقرأ القرآن ـ هذا لمن كان يقرأ القرآن ـ تبركاً لا وعياً ولا تدبّرا ولا علمًا. ولم يكن هذا هو حال الجمهور من الناس، أو حال العوام وحدهم، ولكنه كان حال الكثيرين في المستويات كلها. ولم يكن هذا هو حال فئة دون أخرى. لقد كانت هذه هي حالة الأمة. فلم يعد لدى الفرد المسلم، ولا لدى من هو أعلى من الفرد، رصيدٌ من علم يدفع به الفتنة، وينجو به من مكر يحيط بالأمّة كلها، إلا قدراً من العاطفة قد تجدي في موقف ولا تجدي وحدها في موقف آخر. فانتشرت البدع بين الناس وأقبلوا عليها يحسبونها من الدين، ويظنونها قربى إلى الله، وكثير منها في واقع الأمر معصية وإثم. وانتشرت كذلك حركات عديدة تحت أسماء وشعارات متعدِّدة، تحت أسماء جديدة ذات بريق، تحمل للناس خدراً وغيبوبة وغياباً. وامتدّ أثر هذه الحركات إلى كافة المستويات في الأمة.

وعاد الشباب المسلمون من الغرب والشرق يحملون شهادات جامعية في علوم دنيوية مختلفة وقد جفّتْ عاطفتهم للإسلام، كما كان قبل ذلك قد جفّ علمهم. فوجد الأعداء مناخاً مناسباً لهم، قلوباً مفتحة لفتنهم، وآذاناً مفتحة لضلالهم، فحركوا منهم أدوات وآلات، يحاربون الإسلام بأبنائه، ويحاربون الأمة بجنودها ويحاربون الأوطان باسم الوطنية. وانتشرت مبادىء وأفكار ما كان يعرفها التاريخ الإسلامي، على شكل حركات تُدَار وتُدير. ولم يجد هذا الشباب في صدورهم من آيات القرآن الكريم، أو من أحاديث السنّة الشريفة، ما يعينهم على مقاومة الفتنة. ولكنها قلوب مالت، ونفوس رغبت، وشباب هَوَوا. والله غالب على أمره، ومشيئته عادلة حكيمة عليمة خبيرة. إن الله سبحانه وتعالى حق عليم خبير حكيم فمشيئته عادلة، سواء أعرفنا نحن وجه الحكمة أم لم نعلم، ولكننا

نستطيع دائماً أن نستخلص العبرة، ونأخذ الدرس والموعظة.

وأقبل أعداء الأمة من صليبيين ويهود وكفار، ليجدوا لهم من أبناء المسلمين أعواناً، وليجدوا لهم في بعض النفوس ولاءً. ولو كانوا يحملون في صدورهم شيئاً من كتاب الله لعصمتهم إن كان الله يريد بهم خيراً. ودارت الفتنة بين المسلمين هوى طاغياً ودماً جارياً، لا يستفيد من ذلك إلا عدو ماكر. ودخلت جيوش الأعداء يمهّد بعض المسلمين لهم الدروب، وغاب عنهم قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾. (المائدة: ٥١، ٥٢).

نعم... ! في قلوبهم مرض. ولكنه مرض لم يكن علاجه إلا في منهاج الله. علاج للمؤمن حتى يعود إلى إيمانه:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾. (الإسراء: ٨٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. (يونس: ٥٧).

من هذه الأحداث - وفي تاريخنا كثير غيرها - نخرج بعبرة بيّنة وموعظة جليّة، وهي أن صحبة منهاج الله صحبة عمر وحياة، صحبة إيمان وعلم وممارسة، هي كما وصفها سبحانه وتعالى: نور وهدى وموعظة وشفاء ورحمة وبشرى وتذكرة. فمن تركه فقد هوى في أمواج من الفتن وتصدّى لمحنٍ لا يعلم مداها إلا الله، وقد يكون فيها هلاكه.

ثالثاً: واجب يفرضه الإيمان:

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى ربّاً واحداً لا إله إلا هو، وبمحمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وبالبعث والساعة والحساب، والجنّة والنار، والكتاب والملائكة والنبيين، إذ

الإيمان بأركانه كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، قد جعله الله في فطرة بني آدم كلهم، حين يولد الإنسان على الفطرة. ولابدّ للمؤمن من أن يرعى هذه الفطرة لتنشأ سليمة سويّة، بعيدة عن الانحراف. ومن أجلّ ما يساعد على حماية الفطرة هو صحبة منهاج الله صحبة عمر وحياة، حتى يقدم الريّ والغذاء، وحماية النفس. ولاشك أن الشعائر كلها، والذكر كله، يساهم في صون الإيمان، وحماية النفوس، وتجنب الزلل. ولو أردنا أن ننصح أنفسنا وننصح للمؤمنين بما يساعد على حماية النفوس وتجنب الزلل على أساس من منهاج الله، فإننا نرى أن نرتب الأمور على النحو التالي: صحبة منهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ صحبة عمر وحياة، إقامة الشعائر فرائض ونوافل على أحسن ما يستطيعه المسلم خشوعاً في النفس والجوارح وإنابة، المحافظة على الوضوء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، التوبة والاستغفار على نحو مستمر، والدعاء الذي لا يفتر، والدعاء المأثور ييسر للمؤمن أدعية لكل حال. ثم يمضي المؤمن في حياته ليتابع ممارسة إيمانه، وممارسة منهاج الله في واقع الحياة ممارسة متكاملة، في أمة تنتظم صفاً مرصوصاً.

وممارسة الإيمان وممارسة منهاج الله لا تنحصر في إقامة الشعائر، وفي الأدعية. إن الممارسة هي في كل أمر في حياة المسلم دقّ أو جلّ. ولكنّ هذه الممارسة الممتدة تتطلب من المسلم علمًا، علمًا بمنهاج الله أولاً حتى يستطيع المسلم أن يمارس إيمانه بصدق، وحتى يستطيع أن يردّ قضاياه إلى منهاج الله. إن المسلم مسئول ومحاسب على مسئوليته، التي يرعاها، وفي حديث رسول الله ﷺ **عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما يؤكد ذلك**

«ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم. والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه. ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته». رواه مسلم[1]

إن هذه المسئولية ممتدة في حياة كل مسلم مهما كان مستواه في الأمة، ومهما كانت منزلته. ولا يوجد مسلم يخلو من مسئولية وأمانة إلا أن يكون ممن أعفاهم الله من ذلك. وهذه الممارسة والمسئولية توجب على المسلم في مواقف كثيرة أن يفتي هو بنفسه لحالة خاصة فيه وفي حياته، حين يكون مدار الفتوى قلبه الذي غسله الإيمان وصاغه العلم، كما جاء في حديث رسول

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإمارة (٣٣). باب فضل الإمام العامل. . . . (٥). حديث رقم (١٨٢٩).

الله ﷺ عن البر والإثم :

وعن وابصة بن معبد الأسدي قال: أتيت رسولَ الله ﷺ وأنا لا أُريد أن أدع شيئاً من البّر والإثم إلا سألته عنه وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه . فجعلت أتخطاهم ، فقالوا إليك ياوابصة عن رسول الله ﷺ . فقلت دعوني فأدنو منه فإنه أحبّ الناس إليّ أن أدنو منه ، فقال دعوا وابصة ، ادن ياوابصة ، مرتين أو ثلاثا . قال فدنوت منه حتى قعدت بين يديه . فقال ياوابصة أُخبرك أو تسألني؟ قلت لا بل أخبرني . فقال جئت تسألني عن البر والإثم . فقلت نعم ، فجمع أنامله فجعل ينكت بهنّ في صدري ويقول ياوابصة : «استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرات ، البّر ما اطمـأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن إفتاك الناس وأفتوك» . رواه أحمد[1]

استفت قلبك واستفت نفسك! قاعدة عظيمة في الإسلام . ولكنها قاعدة تفرض أولاً أن يكون القلب قد غسله الإيمان ، وأن تكون النفس قد أخلصت النيّة إلى بارئها ، وأن يكون القلب قد ملأه العلم الذي ينير السبيل ويزيح الظلمات . والمسلم لا يفتي فيما يجهل ، ولكنه يقول لا أدري لما لا يدريه . وهو كذلك لا يظلّ جاهلاً إذا أعطاه الله الوسع والطاقة ليطلب بها العلم . وهو لا يبدد هذه الطاقة في علوم لا تفيد إلا إذا قامت على منهاج الله . ولكنه يضع وسعـه وطـاقتـه فيها أمره الله ، وفاء بأمانة ، وقياماً باستخلاف . فهو ينهض إلى منهاج الله ليستوعب منه على قدر وسعه وطاقته ، ومسئوليته وأمانته . ينهض إلى مهمة تمتد امتداد العمر والحياة .

ينهض إلى هذه المهمة وهو يشعر بأنها نداء من عند الله ، يدوّي في قلبه وصدره ، ونفسه وأحنائه ، وهو يشعر بجمال الطاعة ، ومتعة العبادة .

ومن هذا الشعور والتصور، يدرك المؤمن حدود مسئوليته ، ودائرة أمانته . إنه يدركها إيماناً وعلماً، لا وهماً وظناً . فآيات الله في كتابه العزيز، وأحاديث رسول الله ، تظل تشرق في نفسه يقيناً وعلماً .

ومن هذا الشعور والتصور، يدرك حقيقة علاقاته مع الناس عامة : رحماً وقربى ، صداقة وجواراً ، عملاً وتعاوناً ، إيماناً وموالاة وهو يعلم كذلك ـ كما سنرى في فصل مقبل إن شاء الله ـ منازل الناس فينزلهم منازلهم كذلك .

---

(١) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد . ج (١٩) كتاب البر والصلة (٥٩) . ص ٣٣ .

لذلك لا يفتي المسلم في ما هو خارج اختصاصه وعلمه، إذا كانت الفتوى تحتاج إلى تخصص علمي لا يملكه هو، ويعود إلى غيره يستعين به نصحاً وشورى إذا عرف من هو أوسع منه علمًا في هذه القضية أو تلك:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. (النحل: ٤٣).

ولكن المسلم يظلّ في حياته كلها يجابه قضايا مجابهة مباشرة تفرض عليه أن يحدد سلوكاً وموقفاً ورأياً. ويظلّ هو المسئول بين يدي الله عن هذا الأمر أو ذاك، وقد جعله الله في أمانته، ويسّر له الوسع والطاقة، وجعل التكاليف على قدر الوسع هذا. ولا يستطيع المسلم أن يهرب من هذه القضايا التي تجابهه في بيته، ووظيفته، والسوق، والشارع، ومع سائر الناس هنا وهناك. وقد لا يستطيع أن يحيلها كلها إلى هذا العالم أو ذاك، هذا إذا استطاع أن يحيل قسمًا منها على حسب ما أوردنا سابقاً. فالممارسة الإيمانية التي هي واجب على المسلم تفرض عليه إذن أن ينهض إلى منهاج الله ليأخذ منه قدر وسعه وطاقته، حتى يستطيع أن يوفي بأمانته، ويقوم بمسئوليته، وحتى تنتظم شئون الناس، وتتناسق المسئوليات، فلا تضطرب ولا تختلط. وبدون ذلك تتجمع في الأمة طبقة من الجاهلين اللاهين عالة على غيرهم، يضيعون وسعهم في لهو ومتاع. وتكون هذه الطبقة ميداناً واسعاً لكل غاز، ولكل صاحب فتنة إلا من عصم الله.

إن الحياة الزوجيّة يجب أن تقوم على أساس من الإيمان، وأنّى لأحد أن ينهض بذلك إذا أقعده الجهل. إن الزوجين لا يستطيعان أن يحيلا إلى عالم كل أمور حياتهما ليفتيهما في هذه وتلك. إن العلاقات بين الزوجين، وتربية الأبناء، ورعاية الجوار، وحقوق الأمة، إن هذا يفرض على الزوجين أن يستوعباه من منهاج الله قدر وسعهما، وأن يظلّ منهاج الله صحبة حياة لهما. وبدون ذلك قد تضطرب الحياة الزوجيّة، وتضطرب تربية الأبناء، وتضطرب أجيال وأجيال.

إنّ الأخوة في الله، لا يستطيع المسلم ممارستها ممارسة إيمانيّة ترضي الله إلا إذا عرف حقوقها ومسئوليتها من منهاج الله آيات وأحاديث، يتدرّب على ممارستها. وبدون ذلك تظلّ الأخوة بالله عاطفة لا تحمل جدّية المسئولية، وصفاء الممارسة، ومعرفة الحقوق والواجبات، وتطغى عليها عصبيات وجاهلية.

إن المدرس في معهده يرعى أجيال الأمة. فكيف يقوم على تربيتها وإعدادها إذا لم

يصاحب منهاج الله صحبة عمر وحياة، يستوعب فيها من منهاج الله قدر وسعه وطاقته. ؟ كيف تقوم التربية إذن؟ وكيف ينهض البناء؟ وكيف تكون الأجيال الناشئة؟

والمسلمون معرضون لغزو فكري وثقافي، يُقبل به أعداؤنا علينا بكل زخارف الشياطين. فما الذي نحمي به أنفسنا إذا لم تكن صحبة منهاج الله تقدم لنا النور والهدى، والموعظة والشفاء والرحمة والبشرى بإذن الله؟

فالممارسة الإيمانية إذن هي نفسها تفرض علينا صدق الصحبة لمنهاج الله. قرآناً وسنة، صحبة عمر وحياة، نلقى الله عليها، لا يصدنا عنها تجارة ولا لهو. وإن أول ما يفرضه الإيمان على المؤمن هو العلم الذي نزل به الوحي الكريم على محمد ﷺ. إنّ الإيمان الصادق سيجعل هذا العلم في المكانة التي وضعه الله فيها، رأس العلم كله، وقاعدته وأساسه. وبدون هذه النظرة كيف يستقيم إيمان؟ كيف يستقيم إذا هجر الإنسان تدبّر القرآن والسنّة وأقبل على علوم الدنيا من طب وهندسة وغير ذلك، ظانّاً أنّ هذه العلوم تكفيه، وأما القرآن والسنّة فلغيره. ثم تراه يخوض ميادين الإسلام بشهادة دنيوية، وزخارف وعرض زائل، دون أن يحمل الزاد الذي يحتاج إليه من منهاج الله؟ كيف يستقيم معه الإيمان إذن، وأمر الله وأمر رسوله بيّن واضح في وجوب دراسة منهاج الله حسب ما أسلفنا؟

ومن ناحية أخرى فإن الإيمان الصادق يجعل المؤمن حذراً خائفاً من يوم الحساب، من يوم البعث والنشور. ويدرك المؤمن أن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه على عمله كله، دقّه وجلّه، يوم القيامة. وهو يعلم أن العمل مقبول عند الله إذا توافر فيه شرطان: صدق النيّة، ومطابقته لما جاء به محمد ﷺ. فإذا استطاع أن يصدق النيّة فأنّى له أن يضمن مطابقة عمله لأحكام منهاج الله وهو جاهل بمنهاج الله؟. فالإيمان إذن يفرض على المؤمن أن يدرس منهاج الله ليعلم ما أمر به الله وما نهى عنه، وليجعل عمله مطابقاً لدين الله في أمره كله، عسى أن ينال رحمة الله يوم القيامة.

لا يستطيع جاهل بمنهاج الله أن يطمئن إلى سلامة عمله. فلابدّ من العلم بمنهاج الله لينال شيئاً من الاطمئنان، وحسن الرجاء، وقوة الأمل.

والإيمان يفرض أن يكون الولاء خالصاً لله، لا نتخذ من دونه أولياء أبداً. فمن كان الله ورسوله وليّه بادر إلى دين الله، إلى منهاج الله، طاعة لله ولرسوله.

ولو أن رئيساً في «إدارة من الإدارات» أصدر تعليمات للموظفين، يترتّب على مخالفتها

فصلهم أو عقاب شديد، لبادر كل موظف إلى هذه التعليمات يقرأها ليل نهار، وبجهد نفسه في التزامها حتى لا يفصل ولا يناله العقاب. فما بال الناس لا يخشون حساب الله وعقابه، إلا أن يكون سبب ذلك هو من ضعف الإيمان. ؟

رابعاً: نهج تقوم عليه مدرسة النبوّة :

ومـدرسة النبوة قدوة للأجيال كلها.. وهي مدرسة ممتدة امتداد الحياة الدنيا، برجالها وجنودها، ومنهاجها ونهجها. وكان منهاج الله هو منهاج مدرسة النبوة. وقد ألحّ رسول الله ﷺ إلحاحاً شديداً على التزام القرآن وسنّة النبوة، ونهى عن قراءة كتب اليهود أو النصارى، أو الاشتغال بأيّ علم يلهي عن دراسة منهاج الله، وسمّاه رسول الله ﷺ: **«فضل»**. وقال رسول الله ﷺ:

«... وكفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيّهم».

أخرجه ابن عبدالبر في جامع العلم.

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«العلم ثلاثة، فما وراء ذلك فهو فضل. آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة».

أخرجه ابن ماجة.[1]

وتـوالت أحاديث الرسول ﷺ تبرز أهمية التزام منهاج الله تلاوة وقراءة ودراسة، وتدبرا وممارسة، وما جعل قيداً على ذلك إلا الوسع والطاقة، الوسع الذي وهبه الله لعبده، والطاقة التي أمدّه بها، دون أن يضيع الوسع في طيات الأعذار والوهن.

وامتدت مدرسة النبوة في حياته ﷺ لا يدرس فيها المؤمنون إلا منهاج الله ـ قرآنا وسنّة ـ ومـا تجدّ حاجتهم إليه، كما درس زيد بن ثابت السريانيّة بنـاء على أمر رسول الله ﷺ: **«يازيد... تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي»**. فتعلمها في سبعة عشر يوماً.   أخرجه أبو يعلى وابن عساكر

وامتدت مدرسة النبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وظلّ منهاج الله في المدينة المنورة، ومكة، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، ظلّ منهاج الله هو منهاج مدرسة النبوّة، لا يتخلى عنه

---

(١) سنن ابن ماجة ـ المقدمة ـ باب ٨ ـ حديث رقم (٤٢).

أحد. وعلى أساس هذا المنهاج تقوم أي علوم أُخرى. ومنذ بدأ الانحراف هوى المسلمون. . . . !

خامساً: واجب يفرضه الواقع :

إذا نظرنا في المصادر التي يتلقى منها المسلم معلومات عن دينه في واقعنا اليوم، نجد أنّ المصادر تنوعت وتعددت. وقد ساعد على ذلك نمو وسائل الإعلام، وتطور وسائل «الاتصالات الفنيّة»، ويُسْر حركة «المواصلات والتنقُّل»، وانتشار الطباعة وتقدّم فنّها، واتساع النشر مؤسسات وأُنظمة وحركة، وتقدّم الحركة العلمية والثقافية، واتساع المعاهد والجامعات. هذا كله سهَّل انتقال الفكرة والكلمة تسهيلاً كبيراً، لم يكن يحلم به الإنسان، وجعل الفكرة والكلمة تدور حول الأرض ويتلقفها الملايين من الناس في ثوان أو في أقل من ثانية. ولكنه في الوقت نفسه ضيّق فرصة المراقبة، وحدَّد إمكاناتها. وإذا دققنا في المصادر التي تتوافر بين يدي المسلم اليوم ليتلقى منها معلومات عن دينه. لوجدناها، مع تعددها، يمكن حصرها على صورة تقريبيّة بالمصادر التالية:

١ ـ القرآن والسنّة والأخذ المباشر منهما.

٢ ـ الكتب الفكريّة والفقهية المنتشرة بين أيدي الناس.

٣ ـ وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وصحافة ومجلات ووكالات أنباء.

٤ ـ المساجد والمؤسسات الإسلامية.

٥ ـ المدارس والمعاهد والجامعات.

٦ ـ التجمّعات الإسلاميّة المتعدّدة.

٧ ـ العلماء سواء بالاتصال المباشر، وعبر الوسائل السابقة.

٨ ـ الطاقات البشريّة المتباينة في مستواها.

وكل واحد من هذه المصادر يجمع في حدّ ذاته مصادر فرعيّة أُخرى تتعدد وتتباين في الجهد والنوع والأثر. ولو كانت هذه الوسائل كلها، والمصادر كلها تقدم للناس رأياً واحداً وفكرة واحدة، لأصبحت عناصر تجميع وقوة. فالقرآن والسنّة هما المصدر الأول الذي يقدّم الحق المطلق المتكامل، الحقّ الثابت الذي لا يتبدّل، ثم يأتي بعد ذلك من المصادر ما يلتزم ذلك ويقف عنده. ولكنّ المصادر التي سبق ذكرها تعرض كذلك صوراً للواقع والأحداث، وآراء في هذه وتلك، ومواقف من هذه الحادثة أو غيرها وتتعدد الآراء. فما نقرأه في هذه الصحيفة في بلد قد لا يطابق غيرها، وما نقرأه في كتاب قد يباين ما نجده في سواه. حتى أصبحت

التصوّرات الإسلاميّة التي يحملها الناس تتباين أحياناً، ويتسع التباين مع الأيام. وأهم من ذلك أن الممارسة أصبحت تختلف بين ما يدعو إليه مصدر هنا ومصدر هناك، ثم أصبح بعد ذلك تباين في النهج، واضطراب في الأسلوب، واختلاط في الأهداف.

ولولا أن الله سبحانه وتعالى مَنّ علينا برحمته ولطفه، فتعهد بحفظ «الذكر» الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، لولا هذه الرحمة الواسعة لاختفت حقائق التصور، وضاعت أصول النجاة، كما حدث في ديانات أُخرى، كان يأتي الأنبياء والمرسلون فيها لأقوامهم خاصة، لا يتعهد الله فيها بحفظ الذكر. فوجود منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ـ وانتشاره في الأرض ذكراً يحفظه الله كان نعمة كبيرة على الناس. ولكنه الجهد البشريّ هو الذي نتحدث عنه في هذه الكلمة هنا، ومدى ارتباطه بهذا المصدر أو ذاك من المصادر التي عدّدناها. فمن الناس من لا يأخذ إلا لماما من هذا المصدر أو ذاك. ومنهم من حصر أخذه بطريقة واحدة، أو كتاب أو مجموعة من الكتب، أو من هذا وذاك.

وفي جميع هذه الحالات والنماذج يظل التباين ظاهراً. وربما كان التباين أوسع في الممارسة والنهج بين تجمع وتجمع، حتى يظهر التباين الشاسع، والاضطراب الهائج.

وأما الأخذ عن منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ـ فهو قائم على درجات متباينة، وأساليب مختلفة، لم تستطع هذه الأساليب أن تزيل جميع التناقضات القائمة والاختلاف الواقع. إن الأخذ عن منهاج الله قائم لأن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظه، فسهل بمشيئته في الحياة ما يرعى منهاج الله وحفظه وصونه، حتى لا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل. فالإنسان هو المسئول عن سلامة الأخذ عن منهاج الله وتكامله وتناسقه، وقد جعله الله ميسَّراً للذكر، مصوناً محميّاً في الأرض، لا يناله تحريف ولا تبديل.

وفي واقعنا اليوم نجد أن من الناس من يأخذ آية من هنا أو آية من هناك على غير نهج ولا تكامل، فلا يتوافر لديه تصور قرآنّي متناسق يعتمد في رد الأمور إليه. فهو أخْذُ مجزوء ناقص، يبقى في معظم الحالات أخذاً أدنى من وسعه وطاقته. وأما في مدرسة النبّوة فكان الأخذ يستوعب الوسع والطاقة، وينهض إلى مستوى المسئولية والأمانة.

ونموذج آخر من الناس، لا يكاد يقرأ القرآن إلا في المناسبات، حتى وقر في صدور بعضهم أن القرآن مرتبط باحتفالات العزاء والموت. فإذا سمع كتاب الله يتلى في بيت ظنّ أن في البيت ميّتا. وقس على ذلك سائر ما يعتاده الناس، ثم يقفون عند هذه العادة أو تلك.

ونموذج ثالث قد يتلو كتاب الله، ويحرص على أن «يختمه» في هذه المدة أو تلك، وعسى

أن يجعل الله له أجراً كريمًا على ذلك. ولكنك لو سألته في أيّ لحظة يتلو فيها ماذا تدبّر وتعلم والتزم، لكان الجواب مضطرباً. إنه يجد متعة نفسيّة في أن يتلو كتاب الله، فهنيئاً له بهذه المتعة الطيّبة، ولكنها ستكون متعة أعظم، وخيراً أوسع، وبركة أكبر، لو أنه تدبّر وفكّر.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾. (محمد: ٢٤).

ونموذج رابع يتلو كتاب الله وقد يكثر من التلاوة لينال الأجر والبركة، أما السلوك والنهج والرأي والموقف، فيأخذه من هذا الكتاب أو ذاك الكتاب، من الكتب الفكريّة التي يقرأها. فقد انقلبت الآية واضطربت المقاييس، ذلك لأن الله أنزل منهاجه للناس ليحكم بينهم، وليردُّوا قضاياهم إليه، وليحدِّد هو لهم السلوك والنهج والرأي والمواقف. فأصبحت بعض الكتب البشريّة تأخذ في نفوس بعض الناس مكانة أعلى من حقها، وأكبر من مهمتها. ولقد برزت هذه الظاهرة كثيراً في تاريخنا، وليس في واقعنا اليوم فحسب. وستظل ظاهرة امتحان وابتلاء، ليمحّص الله القلوب، ويبتلي النفوس، ويظهر أضغانها.

ونموذج خامس يلتزم بما قاله هذا أو ذاك، ولا يبالي بما قرأ هنا أو هناك. إنّ ولاءه اضطرب فلم يعد ولاءً صافياً خالصاً لله سبحانه وتعالى، ولم تعد الآيات الكريمة هي التي تهزّه، ولا الأحاديث الشريفة هي التي توجهه.

فالقضية إذن في جذورها هي قضيّة إيمان وقضية ولاء، ثم هي من بعد ذلك قضية علم وأخذ. فمن كان ولاؤه لله سبحانه وتعالى فسيكون منهاج الله هو الذي يحدد له السلوك والرأي والمواقف:

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾. (الأعراف: ٣).

هذه النماذج التي عددناها ليست هي وحدها النماذج المتوافرة في المجتمع، ولكنها النماذج التي تحتلُّ قطاعاً واسعاً من الأمة. فمثل هذا القطاع الواسع قد يكون في بعض الحالات مرتعاً لغزاة أو لأهل فتنة، فلا يجدون في صدورهم علمًا من منهاج الله ينير لهم الظلمة، ويرفع عنهم الغشاوة. وإن منهاج الله يفعل مالا تفعله كتب الأرض كلها. ولا يوجد بين يدي الإنسان منهاج آخر أبداً يمكن أن يقدِّم من الخير ما يقدمه منهاج الله.

فواقعنا اليوم يفرض علينا أن نقف وقفة إيمان، وأن نراجع حساباً، وندقق في مناهج، ونرى أبواب الفتنة فنغلقها، وأبواب الخير فنفتحها، ومسالك الحق فنشقها، وميادين الإيمان فننزلها.

واقعنا اليوم يفرض علينا أن ندرس رصيدنا، وأن نعلم مالنا وما علينا، ولا نستطيع أن نصدق الدراسة والحساب والوقفة، إلا إذا كان هذا كله يقوم على أساس من علم صادق في منهاج الله، ودراسة أمينة لواقع نعيشه.

ودراسة الواقع لا تكون دراسة متفلتة تائهة. ولكنها دراسة تقوم كذلك على أساس من منهاج الله، فنرى الأمور رؤية الإيمان، ونزنها بميزان القرآن.

ونخرج كذلك من دراسة الواقع بالحقيقة الثابتة والتي تفرض أن يكون منهاج الله صحبة عمر وحياة، ومصدر التصور والفكر، والخطة والنهج، والسعي والعمل.

وعندما ندعو إلى صحبة منهاج الله صحبة عمر وحياة، تلاوة وتدبّراً، إيماناً وممارسة، فإننا ندعو إلى منهاج الله كله ـ قرآنا وسنة ـ. ولا نعني بذلك أن كل مسلم سيستغني عن العلماء والمعاهد. سيظل كل مسلم في أمس الحاجة إلى مواهب الأمة وعباقرتها، وإلى علمائها وأولي الألباب منها، وإلى معاهدها ومؤسساتها، لتكون هذه كلها عوناً له على سلامة الصحبة، وصدق النهج. ولا خير في أحد من الناس يدّعي بأنه يستغني بعلمه عن صحبة منهاج الله مهما كان علمه. فصحبة منهاج الله حقّ لكل مسلم وحق كذلك للعالم مهما بلغ علمه. وكلما زاد المسلم إيماناً وعلماً، زادت صحبته لمنهاج الله وعمقت ومضت حتى يلقى العبد المؤمن ربّه عليها.

ومن هذا كله نوجز القضية بالنقاط الأساسية التالية:

١ ـ صحبة منهاج الله قرآنا وسنة صحبة عمر وحياة.
٢ ـ يؤخذ منهاج الله كله لا جزءاً منه، أخذاً متكاملاً.
٣ ـ تقوم الصحبة لمنهاج الله على أساس الجهد والعزيمة.
٤ ـ يُرافق دراسةَ منهاج الله دراسةُ الواقع الذي سيمارَس فيه منهاج الله.
٥ ـ أن يأخذ كل مسلم من منهاج الله ومن دراسة الواقع قدر وسعه وطاقته، وقدر مسئوليته وأمانته.
٦ ـ أن تكون الصحبة والدراسة والتدبر لمنهاج الله وللواقع البشريّ على أساس منهجيّ، على أساس من الخطة الذكية الواعية. وتقوم هذه الخطة وهذا النهج على قاعدتين: المنهاج الربانّي والواقع.
٧ ـ أن يرافق هذه الصحبة وهذا الأخذ ممارسة وتطبيق وعمل صالح، وأن يرافقه

كذلك تدريب وإعداد على أساس منهجي.

٨ ـ أن يظل هذا الجهد عملاً نامياً مستمرّاً لا يتوقف، يأخذه جيل عن جيل، حتى تظل مدرسة الدعوة ماضية أبد الدهر، تدفع إلى البشرية أجيال الإيمان، يصوغها القرآن، ولتظلّ امتداداً لمدرسة النبوّة.

هذه النقاط الثمانية نعتبرها أساس الصحبة، ونعتبرها من عناصر الخطة والنهج.

والذي نقدمه الآن هو خطوة على الدرب، ووثبة في الميدان، وخطوة مع النهج، نهجاً يساعد المؤمن على نقل هذه الأفكار النظريّة إلى واقع عمليّ تطبيقي، في حياته، في مسيرته، وعلى دربه الممتدّ إلى الجنة إن شاء الله. إننا نقدّم «المنهاج الفرديّ»، «المنهاج الذاتيّ».

الفصل الثاني

مقدمـة

حين يرغب المسلم في دراسة منهاج الله يجد في واقعنا اليوم أُموراً كثيرة تساعده على ذلك. ويجب أن نتـذكر دائمًا أن منهاج الله دَرَسه وتعلمه أصحاب رسول الله ﷺ، حين لم يكن هنالك جامعات ولا معاهد، ولا وسائل اتصَالات متطورة، ولا وسائل تنقل سريعة كما هو الحال في يومنا هذا. ولكن كان لهم في الوقت نفسه أُمورٌ متوافرة لديهم ساعدتهم على حسن الـدراسة نفتقدها نحن اليوم، أو نفتقد بعضها. فلقد كانوا أرباب اللغة والبيان، وكانوا ينعمون بصحبة نبيِّهم، ونزول الوحي عليه، ويشهدون الأحداث والوقائع. ولذلك لابدّ من أن تأخذ خطة الدراسة الواقع الذي نعيشه بالاعتبار، وتنهض لتعالج الظروف كلها، وتستفيد من إمكانات العصر ووسائله.

«فالمنهاج الفرديّ» الذي نعرضه يجب أن يعالج في خطته قضايا الواقع، وأن يملك من المرونة ما يهيىء له التكيّف مع الحياة وواقعها، ومع وسع الناس وقدراتهم. وأول قضية يجب أن يعالجها المنهاج الفرديّ هي قضيّة اللغة العربية اللغة التي هي لغة الوحي والنبوة، ولغة القرآن والرسالة، ولغة التلاوة والصلاة. لقد عجمتْ كثير من الألسنة، وأصبحت اللغة العربيّة تشكو الغربة بين أهلها. فلابدّ من أن تأخذ اللغة العربية مكانها في المنهاج الفرديّ ليصبح واجب المسلم أن يتقن لغة قرآنه، لغة دينه، حتى يستطيع أن يتفقّه في دينه في حدود وسعه وطاقته، ومسئوليته، وأمانته. ومن ناحية أُخرى حتى يكون إتقانه للغة قرآنه خير ردّ على مكر الأعداء وهم يحاولون إضعاف اللغة العربيّة في نفوس أبنائها، إضعافاً يؤدّي إلى بعـدهم عن منهاج الله. فاللغة العربية إذن يجب أن تحتل مكانها في اهتمام المسلم، وفي مسئولياته وواجباته، وفي نشاطه وحركته، وفي دراسته وعلمه، وفي منهاجه الفرديّ.

والقضيّة الثانية التي يعالجها «المنهاج الفرديّ» هي تعدُّد المصادر التي يأخذ منها المسلم معلوماته عن الدين، كما عرضنا سابقاً. ولما أدّى تعدد المصادر إلى تباين فلابدّ «للمنهاج

الفرديّ» من أن يوحّد المصدر للتصور والفكر، والعقيدة والتوحيد، والسلوك والنهج. ولما كانت المصادر تقدّم المعلومات على غير خطة منسّقة تلتزمها سائر المصادر، فلابد للمنهاج الفرديّ من أن يقوم بذلك، فيضع الخطةَ المنسّقةَ التي تعين الجميع، ولا تعطل الفوائد المرجوّة من أي مصدر آخر. ولكن يصبح لكل مصدر حجمه العادل الحقّ، وقدره الأمين. لابدّ «للمنهاج الفردي» من أن يوفر النواحي الإيجابيّة في سائر المصادر، ويبعد النواحي السلبيّة، ويُرْسي قواعد يستقرّ عليها العلم.

والقضيّة الثالثة هي أنّ المنهاج الفرديّ يقدِّم أولاً علمًا. إنّه يقدّم علمًا بكل ما تحمل هذه اللفظة من معنى وعمق واتساع. ونقصد بالعلم «مجموعة المعلومات التي تكون الحقائق الأساسية في الفكر والتصور، والعقيدة والإيمان، والسلوك والسعي. إنه يمثل المعلومات التي تكون الحقيقة والمسلمات، والدعائم والركائز. أمّا الثقافة فهي المعلومات التي لا تكوِّن لدى الإنسان الحقائق الأساسية ولا الدعائم الثابتة، وهي المعلومات التي تتجمع لديه فيفرزها ليقبل منها شيئاً ويرفض شيئاً. وما يقبله منها قد تساعد في نمو علم، أو تنمو لتصبح علمًا. إن العلم هو الذي يرسم النهج ويحدد الأهداف بالحقائق التي يقوم عليها.[1] إنّ المنهاج الفرديّ يقـدّم العلم كما حدده رسول الله ﷺ:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة».

رواه أبو داود وابن ماجة[2]

على أن ينهض هذا العلم على إيمان ويقين:

عن جندب بن عبدالله قال: «كنا مع النبيّ ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن. ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً». أخرجه ابن ماجة[3]

ولكن المنهاج الفردي لا يقتصر على تقديم العلم على هذا الأساس فهو يقدم مع هذا العلم من الثقافة في علوم أخرى ما يساعد على الفهم والممارسة. ويقدّم «المنهاج الفرديّ» في

---

(١) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ـ للمؤلف.

(٢) سنن أبي داود. كتاب الفرائض (١٣). باب ما جاء في تعليم الفرائض (١). حديث رقم (٢٨٨٥) وابن ماجة في المقدمة حديث رقم (٤٢) والنصُّ رواية أبي داود.

(٣) سنن ابن ماجة. المقدمة. باب في الإيمان (٩). حديث رقم (٤٩).

الوقت نفسه أبواب التدريب والخبرة والمران على قواعد الإيمان ، حتى يتزوّد المسلم بسلاح مع سلاح ، وعدة مع عدة . فالتدريب أساس في التربية الإيمانية ، حتى لا تظل العلوم نظريات لا تجد لها رصيداً في الواقع . فالتدريب على هذه القاعدة أو تلك من قواعد الممارسة الإيمانية ، ضرورة لسلامة الممارسة ، وصفاء التطبيق .

من الواضح في العالم الإسلاميّ اليوم أن كثيراً من المسلمين قد لا يتيسّر لهم دراسة الإسلام في المعاهد والجامعات ، وقد لايتيسَّر لهم حسن الصحبة وطيب العشرة وصدق التوجيه ، ظروف كثيرة متضاربة في العالم الإسلامي توحي بأن دراسة الإسلام صعبة أو مستحيلة ، إلا لأصحاب المواهب والعبقريات . ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الدين ميسَّراً للذكر ، ميسراً لكل مكلَّف . فهي إذن مسئولية الإنسان المسلم نفسه أن ينهض إلى هذا الواجب بعزيمة وجدٍّ وقوة ، ليأخذ من منهاج الله على قدر وسعه وطاقته ، وعلى قدر مسئوليته وأمانته . وإنها مسئولية المسلم نفسه أن يحاول جهده ليستفيد من مختلف الإمكانات بوعي ونهج ليبلغ الهدف الذي يتعبّد به الله سبحانه وتعالى . والإنسان المسلم محاسب بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة على ما بذل من جهد في هذا السبيل ، دون أن تسقط هذه المسئولية مسئوليَّةَ العلماء والمعاهد والسلطان ، ومسئولية الآخرين .

ومن مسئولية الآخرين هو تسهيل الوصول إلى الهدف ، وتقريب المسافة ، وترغيب النفوس ، وتيسير المركب الصعب . إن المسلم اليوم يوهمه الكثيرون أن فهم الإسلام وممارسته لا تتم إلا بمجلدات فوقها مجلدات يعلو بعضها فوق بعض أكواماً ، وتمتد حتى تملأ غرفاً . فيقف أمام هذه الصورة المذهلة يغلبه اليأس ، وقد ينقلب ويدبر .

من أجل هذا كله نضع «المنهاج الفرديّ» ليكون دليل المسلم في دراسة منهاج الله والواقع ، وتدبّر منهاج الله قرآنا وسنة ، والتدرّب على ممارسته في واقع الحياة ، على يُسر وعلى قدر وسعه وطاقته .

ربما اعتاد بعض الناس أن يتلو كتاب الله على قدر ما تسمح له ظروف حياته ومعيشته ، وربما اعتاد شخص أن يحفظ من كتاب الله عدداً من الآيات من هذه السورة أو تلك على غير نهج مرسوم ولا قاعدة مدروسة ، ولا هدف محدَّد يسعى لبلوغه . وتَمُرُّ السنون ، وقد تبلغ عشرات السنين ، ويظلّ الزاد قليلاً ، والبناء ضعيفاً ، والكل يشكو ، ويعيدون الشكوى . لذلك نقدّم «المنهاج الفرديّ للداعية» ليكون زاد الطريق إلى الجنّة ، ولنقدّم به خطة ونهجاً ،

خطة عمر ونهج حياة .

«فالمنهاج الفرديّ» عمل ذاتيّ ، يلتزمه المسلم على قدر وسعه الذي وهبه إياه الله ، يلتزمه التزام حياة ، بدافع ذاتيٍّ منه ، فهو المسئول عن عمله هذا ، حين يطمئن إليه ، ويرضى به ، وهو محاسب عليه بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً .

ولكنّ هذا العلم الذاتيّ ، وهذه المسئوليّة الفرديّة ، لا تعطل أيّ مسئولية أُخرى ، ولا تمنع تكاتف الجهود ، وتنسيق البذل . بل التنسيق مطلوب ، والتعاون على البّر والتقوى واجب .

وهذا جهد بشريّ ، قائم على قواعد من منهاج الله ، وعلى أساس الواقع الذي يعيشه المسلم هنا أو هناك . وهو يُعطي المسلم المرونة الكاملة ليضاعف نشاطه أو يخفف منه ، ولكن العمل يضمر ويموت إذا هو توقَّفَ عن تراخ وكسل واستسلام .

إنه جهد ذاتيّ ، يجب أن ينطلق بمبادرة ذاتيّة ، وحوافز إيمانيّة ، تكفل دوام الجهد واستمراره ، ونموّه وتطوره ، حتى يلقى المؤمن ربّه على ذلك .

ويظل التعاون قائمًا ، والمراقبة مطلوبة ما توافرت ، والإشراف مرغوباً ما تيسَّر .

وللإيجاز نسمي «المنهاج الفرديّ للداعية» «بالمنهاج الفرديّ» لنقصد أن الأساس فيه هو سهولة قيام الفرد به ، دون أن يتعطل مبدأ التعاون الذي يسعى إليه المؤمن أو نسميه «المنهاج الذاتيّ» لنشير إلى أنه وثبة ذاتيّة مؤمنة .

الفصل الثاني
المنهاج الذاتي "الفردي"

يقوم «المنهاج الفرديّ» على ثلاث قواعد أساسيّة. وعلى هذه القواعد الثلاث تقوم نظريته وتطبيقه، وعليها تقوم جميع أسس التربية والبناء في الحياة الإسلامية. وهذه القواعد الثلاث هي:

المنهاج الربّاني	الواقع	المهارسة الإيمانيّة

المنهاج الربانّي، والواقع، ثمَّ المهارسة الإيمانيّة أو العمل الصالح.

فالمنهاج الربانّي هو الحق المطلق الكامل الذي أنزله الله لساناً عربياً على رسوله محمد ﷺ، ليبلغه للعالمين. وقد أنزل الله هذا المنهاج ليهارسه الناس في واقع حياتهم. فلابد إذن من معرفة منهاج الله، ولابد من دراسة الواقع الذي سيطبق فيه منهاج الله. إن عدم فهم الواقع فهمًا إيهانياً يتمّ من خلال منهاج الله، قد يعرّض المهارسة والتطبيق إلى بعض الأخطاء. وفهم الواقع وحده لا يكفي، فلابد معه من تدبر منهاج الله ودراسته.

إن ممارسة منهاج الله في واقع الحياة البشريّة تمثل روح الأمانة التي خلق الإنسان لها، وتمثل حقيقة العبادة التي خلق الإنسان لها، وتمثل جوهر الاستخلاف في الأرض. إن ممارسة منهاج الله في الحياة الدنيا هي القضية الأولى في حياة الإنسان على الأرض، وهي القضية التي يجب أن تنشأ الأجيال عليها، وهي التي تحتاج إلى إعادة وتكرار، وتثبيت وتذكير.

إن ارتباط هذه الركائز الثلاث هو أمر جلّي، ولا يمكن أن نستغني عن دعامة من هذه الدعائم إذا أردنا أن نبلغ سلامة المهارسة وصدق العمل. «وفقه الدعوة» يربط هذه الركائز الثلاث. فهو فقه المهارسة الإيهانية في الواقع الذي تجري فيه المهارسة بخصائصها الإيهانية وسيرد تعريفه في الباب الثالث والفصل الثالث البند رقم ٣.

ولكلّ قاعدة من هذه القواعد فروع تمتد، وعوامل تساعد، وموضوعات تعين، فلابد من أن نتابع هذه العوامل المساعدة.

ولكل قاعدة من هذه القواعد علم أو أكثر، يساعد على فهمها وحسن تدبّرها. فللمنهاج الرباني علوم تساعد على فهمه كالسيرة، وتاريخ الصحابة والخلفاء الراشدين، وغير ذلك. وللواقع علومه، وللممارسة كذلك علومها المساعدة.

أمـا بالنسبة للمنهاج الربّاني فنجمع العلوم التي تساعد على فهمه في لفظة جامعة هي «العلوم المسـاعـدة». وتصبـح هذه الكلمـة عنـدنا تعني: السيرة النبويّة، تاريخ الخلفاء الراشدين، تاريخ الصحابة والتابعين، علوم القرآن، مصطلح الحديث، أصول الفقه.

أمـا بالنسبة للواقع والممارسة الإيمانية فسنتحدث عنهما وعن سائر العناصر الأخرى في صفحات مقبلة.

وتصبح عناصر المنهاج الفرديّ للمؤمن على هذا الأساس هي:

المنهاج الرباني، الواقع، العلوم المساعدة، فقه الدعوة، الممارسة الإيمانية، ولكن العناصر الثـلاثة التي سبق ذكرها: المنهاج الرباني، الواقع والممارسة، تظلّ الأساس الذي لا يجوز التفلّت منه. أما بالنسبة للعناصر الأخرى فإن المسلم يأخذ منها ما يطيق وما يناسب وسعه وطاقته، وما يعينه على نجاح سعي وبلوغ هدف.

المنهاج الربّاني	الواقع	العلوم المساعدة	فقه الدعوة	الممارسة الإيمانية

ولا يعني هذا أنه مضطر إلى أن يأخذ العناصر كلها دفعة واحدة. فلابد من أن نبيّن هنا أن الجدول هذا يحتاج إلى نهج وخطة، ستتضح معنا، شيئاً فشيئاً، في الصفحات المقبلة إن شاء الله.

وننتقل الآن إلى كل عنصر من هذه العناصر الخمسة ندرسه مستقلاً، حتى نستكمل الصورة لطبيعة المنهاج الفرديّ.

١ ـ المنهاج الربّاني:

المنهاج الربّاني

لقد سبق في أكثر من موضع أن بيّنا أن المنهاج الرباني هو القرآن والسنّة. ولكننا في هذا «المنهاج الفردي» نضيف أمراً ثالثاً وهو اللغة العربية، لأنها هي لغة المنهاج الربانّي، ولأنها

من خصائصه وصفاته[1] فيصبح المنهاج الرباني في ميدان الدراسة يتألف من ثلاثة عناصر: القرآن والسنة واللغة العربية. ولابد من أن نعيد للغة العربية مكانتها في أمة الإسلام، ولابدّ من أن نقرنها بمنهاج الله، كما قرنها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم. ولو كان الأمر مع أصحاب رسول الله لما شملت دراستهم اللغة العربيّة على هذا النحو:

المنهاج الربّاني		
القرآن الكريم	السنة المطهرة	اللغة العربية

أ ـ القرآن الكريم:

لقد سبق أن بينا في كتابنا «دور المنهاج الربّانيّ» أن دراسة القرآن الكريم تقوم على خمسة أسس: الإيمان، اللغة العربية، الممارسة والعمل، الجماعة المؤمنة، حسن الصحبة والمداومة[2]. وبينا كذلك أن أهم الوسائل هي:

القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً ويكمله، والسنة المطهرة تفسّر كذلك كتاب الله، وتفصل القواعد التي أجملها، فلا غناء لهذه عن تلك، والسيرة النبوية وحياة الصحابة كذلك من الوسائل الهامة[3]. ولقد فصلنا في كل نقطة بما يغني عن الإعادة هنا.

وعلى ذلك نحتاج الآن إلى أن نضع الخطة العمليّة للمسلم ليتدبّر منهاج الله. فمن خلال منهاج الله ومن خلال سيرة الرسول ﷺ، وحياة الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى ضوء الواقع الذي نعيشه، والضعف الذي نمرُّ فيه، على أساس من هذا كله، نضع تدبّر منهاج الله في خطوات أربع أساسيّة. يمكن للمسلم أن يمضي بها كلها، أو أن ينتقل بينها على مراحل، ذلك على ضوء إمكاناته وواقعه. ولكنه لابدّ له من مرحلة يستوفي فيها هذه الخطوات الأربع: التلاوة، الدراسة والتدّبر، الحفظ، المراجعة.

أ ـ ١ ـ التلاوة[4]:

ترد هذه اللفظة في منهاج الله وهي تحمل ظلالاً واسعة غنيّة. والتلاوة التي نريدها هي

---

(١) «دور المنهاج الربانيّ» ص ٤٣ ـ ص ٤٥.
(٢) نفس المصدر: ٢١٩ ـ ٢٢٤.
(٣) نفس المصدر ٢٢٥ ـ ٢٣٨.
(٤) نفس المصدر ٢٣٩ ـ ٢٤٢.

«حقُّ التلاوة»، كما وردت في الآية الكريمة:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. (البقرة: ١٢١).

وكذلك:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾. (فاطر: ٢٩).

وآيات أخرى كثيرة.

فالتلاوة المرجوّة هي حق التلاوة. هي التلاوة التي تقوم على إيمان ويقين يزداد مع التلاوة. تلاوة يصحبها التدبُّر ويعقبها العمل الصالح كله: من شعائر رأسها الصلاة، ومن برٍّ رأسُه الإنفاق. وحتى نقدّم قواعد تطبيقية للتلاوة، فإننا نوجز ذلك بالنقاط التالية:

١ ـ التدبر: فإذا سها المسلم أثناء التلاوة يتوقف ويعيد من حيث يظنّ أنه سها.

٢ ـ التوقف عند كل كلمة لا يعرف القارىء معناها: فيدرسها ويدرس معناها ثم يتابع. لتصبح المفردات أولاً معروفة المعنى، وليقوى المسلم على الفهم والتدبر.

٣ ـ أن تكون بصوت حسن بين الجهر المرتفع وبين المخافتة:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾. (الإسراء: ١١٠).

٤ ـ مراعاة أحكام التجويد ودراستها لمن يجهلها.

٥ ـ أن تكون التلاوة يوميّة لكميّة يحددها المسلم.

٦ ـ أن يتمهل المسلم في التلاوة حتى يتدبّر ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾. (الإسراء: ١٠٦).

٧ ـ أن يَزداد القدر اليومي من التلاوة مع الأيام حتى يبلغ المسلم ما كان عليه الصحابة. وتظلّ التلاوة مهمة عمر وليست عملاً مرحلياً.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رجل: يارسول الله أي العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «الحالُّ المرتحل» قال: وما الحالُّ المرتحلُ؟ قال: «الذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره

كلما حلَّ ارتحل». رواه الترمذي[1].

ويمكن للمبتدىء أن يختم القرآن الكريم مرّتين في السنة، ثم يزداد ذلك مع الممارسة والخبرة، حتى يختم القرآن الكريم كله في شهر أو في أسبوعين، لمن يقوى على ذلك.

ولنتذكر أن القرآن الكريم نزل مرتلاً ترتيلا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾. (الفرقان: ٣٢).

هذه هي القواعد السبع التي ننصح أنفسنا وننصح المسلم باتباعها. ولابد من أن نؤكد القاعدة الأخيرة، وأن نثبت ما سبق أن قلناه من أن صحبة منهاج الله هي صحبة عمر وحياة. وأول هذه الصحبة هي التلاوة.

والتلاوة نهدف منها إلى أن تكون قاعدة لخطوة تالية. ذلك أن عدداً غير قليل من المسلمين اليوم قد لا يتقنون تلاوة القرآن، ولا يتقنون اللغة العربيّة وهم من أبنائها. فلهؤلاء تكون التلاوة مرحلة تقدم لهم الخير والنور إن شاء الله، وتسهّل لهم الدراسة والتفسير، وتسهل لهم الحفظ.

إن دراسة التفسير قد يجد فيها بعضهم صعوبة، وقد يجد بعضهم صعوبة في حفظ القرآن كذلك، وقد يجد بعضهم الصعوبة في البداية فقط.

فإذا لانت قلوبهم، وخشعت نفوسهم، واشتدت عزيمتهم، لانت الدراسة لهم ولان الحفظ، كل على قدر وسعه وطاقته. والمداومة على التلاوة بهذه القواعد السبع، مداومة عمر حتى يلقى المؤمن ربّه عليها، هي أساس المنهاج الفرديّ، وأساس الدراسة كلها، والتدبر كله، فإذا اضطربت التلاوة اضطرب معها سائر المنهاج. وكذلك فلا يستقيم المنهاج إذا حصر المسلم جهده في التلاوة وحدها دون أن يتابع السير على نهج مدروس، ودرب ممدود. فأمامه خير كثير، ونور وبركة، فكيف يحرم نفسه منها؟.

أ ـ ٢ ـ الدراسة والتفسير[2]:

وهي الخطوة الثانية التي تأتي مع التلاوة.

(١) سنن الترمذي. كتاب القراءات (٤٧). باب (١٣). حديث رقم (٢٩٤٨).

(٢) دور المنهاج الربانيّ ص ٢٤٤.

إنها الاستعانة بأحد كتب التفسير المعتمدة، ليدرس المسلم تفسير الآيات على نهج مقرر وخطة محددة. فلو جعل له قدراً يومياً، أو أسبوعياً، ليدرسه من كتب التفسير، لأصبح هذا مع الأيام زاداً عظيماً. وسيجد المسلم، وهو يدرس في أحد كتب التفسير المعتمدة، حلاوة الفهم، ومتعة التدبُّر. ومع الأيام ينعكس ذلك على التلاوة ذاتها. فتصبح التلاوة لديه أغنى وأندى. وتلين الدراسة حتى يحبَّها المؤمن، فإذا هي خطة عمر ونهج حياة.

والذي نعرضه هنا يحمل المرونة الكاملة، شريطة أن يضع المؤمن خطته التي يلتزمها في الدراسة والتفسير، على ضوء ظروفه ووسعه، دون أن تقعده الأعذار.

ويجدر بنَا أن نقدِّم هنا تصوُّراً مرحلياً لطريقة الدراسة والتدبر والتفسير. نرى أن الدراسة والتدبر يحسن أن تشمل جميع شروط التلاوة أولاً، ليكون ذلك ممهداً لقراءة التفسير من أحد كتب التفسير المعتمدة.

ونرى أن يقسم المسلم السورةَ التي يُريد دراستها إلى مجموعات من الآيات حسب وسعه. ثم يبدأ بالمجموعة الأولى تلاوة مع جميع شروط التلاوة التي سبق عرضها، حتى إذا أتمّ ذلك عكف على قراءة تفسير الآيات مرّتين حتى يشعر أنه استوعبها. فإذا انتهى من ذلك عاد لتلاوة الآيات نفسها مع شروط التلاوة مركزاً على التدّبر والوعي، وليشعر بأثر وفائدة التفسير الذي قرأه. ثم ينتقل بالأسلوب ذاته إلى المجموعة الثانية. وعندما ينتهي من دراسة السورة يستحب أن يعيد تلاوتها كلها ليصبح تدبّره أعمق وأشد.

ونقترح أن تبتدىء الدراسة من أول القرآن الكريم من الجزء الأول ثم الثاني على صورة متوالية حتى ينهي الدراسة مع الجزء الثلاثين.

هذه طريقة نعتبرها مرحلية، وننصح كل مبتدىء بالتزامها أو التزام مثيل لها. وبهذه الطريقة نرى أن التلاوة أصبحت مرحلة تمهيدية للدراسة والتفسير، مساعدة لها.

أ ـ ٣ ـ الحفظ[1]:

وربما كانت كلمة «القراءة» أيام الرسول ﷺ تعني في جملة ما تعنيه الحفظ. وعندما نقول القُرّاء فإننا نعني الذين كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب. فلم يكن يومها فرق كبير بين التلاوة وغيرها. ولم يكن هنالك مصاحف مطبوعة يقرأون منها. فالقراءة معظمها من الذاكرة، والقرآن الكريم مدوّن في الصحائف التي يكتب عليها كُتاب الوحي. أما اليوم

(١) نفس المصدر: ٢٤٣.

فأصبح كثير من الناس لا يكادون يحسنون التلاوة من المصاحف، فما بالك بالتلاوة عن ظهر قلب. ونستخدم هذه اللفظة «الحفظ» هنا لنعني بها التلاوة عن ظهر قلب.

والتلاوة كما ذكرناها سابقاً، والدراسة والتفسير يشكلان قاعدة للحفظ، وتيسيراً للإعادة والتكرار، حتى تنطبع الآيات في قلب المؤمن.

والحفظ كما نقصده هنا يأخذ منه المؤمن كذلك قدر وسعه وطاقته. وتختلف الطاقات في ذلك، وتختلف المواهب، على قدر ما يهب الله لعباده من وسع وطاقة وموهبة. ولكن المحاولة واجبة، والسعي ضروري، وبركة الحفظ كبيرة. لذلك يحدِّد المؤمن قدراً من الآيات على حسب وسعه ليحفظه في مدة محددة، ويمضي على ذلك حتى ينمو الزاد، وتعظم البركة.

والإعادة والتكرار لآيات الله تلاوة، ودراسة، وحفظاً، تحمل الخير الوفير، والنعمة السابغة لمن يَرزقه الله بها. فإن المعاني تتفتح مع كل إعادة، وعبقها يمتد، ونورها يتسع، على ظلال وأنداء. ومهما أعاد الإنسان تلاوة كتاب الله وحفظه فإن معانيه تظل تتسع، وظلاله تظل تمتد، إلى ما شاء الله.

و«الحفظ» يشمل جميع قواعد التلاوة والدراسة. وبذلك يكون خيره أعمق. وتمضي التلاوة، والدراسة، والحفظ على نهج وخطة، وقدر محدد، لتكون كلها مهمة عمر وصحبة حياة. وننصح أن يبدأ الحفظ من الجزء الثلاثين ثم الذي يليه وهكذا، دون أن يكون حفظاً متقطعاً هنا وهناك، حتى يحفظ القرآن كله لمن قوي على ذلك بإذن الله.

ومع المداومة تزداد الحلاوة، ويعظم الطيب، ويمتد الخير، فلا يقف الإنسان بعد ذلك بعون الله عن متابعة هذا الخير.

وكما ذكرنا مع الدراسة والتفسير، فإننا هنا أيضاً مع الحفظ نوصي بخطة مرحلية، تساعد على قوة الحفظ وعمقه. فنقترح أن يقسم المسلم السورة إلى عدد من المجموعات من الآيات، لتتناسب كل مجموعة مع وسعه وطاقته. ثم يتلو آيات المجموعة الأُولى تلاوة تستكمل كل شروط التلاوة مرة أو مرتين أو أكثر. ثم يعكف على دراستها من كتب التفسير كما عرضنا سابقاً، ثم يعود إلى تلاوتها بشروط التلاوة عدداً من المرات حتى يشعر أن معاني الآيات أصبحت جليّة في صدره، وأن الآيات أصبحت ليّنة على لسانه فيبدأ عندئذ بالحفظ والتكرار حتى يطمئن إلى أنه أتم الحفظ لهذه المجموعة. ثم ينتقل إلى المجموعة الثانية فيحفظها كسابقتها، ثم يراجع المجموعتين معا حتى يتأكد من حفظهما. وهكذا مع كل مجموعة حتى يحفظ السورة كلها.

ويستحب أن يستعين المسلم على الحفظ بقراءة ما يحفظه في صلاته، وخاصة في قيام الليل. فذلك يعطي للحفظ حلاوة وطيبا، وبركة وخيراً، وعمقاً وخشوعاً.

أ ـ ٤ ـ المراجعة[1]

النسيان من صفات الإنسان. ولكن نسيان الآيات بعد حفظها أمر يتجنبه المؤمن ويحرص على أن لا يقع فيه، ما وجد إلى ذلك سبيلا. وأول السبل بعد صدق النيّة وحسن الإيمان هي المراجعة. فيضع المسلم نهجاً للمراجعة حتى لا تتفلّت منه الآيات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنْباً أعظَمَ من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نَسِيَها».

رواه أبو داود[2] والترمذي وابن ماجة.

والمراجعة عمل دائم مستمر لا يتوقف، شأنه شأن التلاوة والدراسة والحفظ.

ويمكن أن نقسم المراجعة إلى ثلاثة نماذج على ضوء الواقع الذي يعيشه المسلم:

القسم الأول: خلال السنة ومع التلاوة والدراسة والحفظ، يجعل المسلم في خطته قدراً من المراجعة.

القسم الثاني: يوقف الدراسة والحفظ شهرين من كل سنة ويتابع فيهما التلاوة والمراجعة.

القسم الثالث: يوقف الحفظ سنة تقريباً كل عدد من السنين، كل ثلاث سنوات مثلاً، أو كل خمس سنوات، ليتابع التلاوة والدراسة والمراجعة.

فإذا تابع المؤمن هذا النهج أو أي نهج مماثل، فإنه يتغلب بإذن الله على ما قد يعانيه من تفلت الآيات ما استطاع.

وبهذا تصبح العناصر الدراسية للقرآن الكريم أربعة عناصر، كما يلي:

---

(١) نفس المصدر: ٢٤٢.

(٢) سنن أبي داود. كتاب الصلاة (٢). باب في كنس المسجد (١٦). حديث رقم (٤٦١).

القرآن الكريم			
التلاوة	الدراسة	الحفظ	المراجعة

ب ـ السنّة المطهرة :

والسنّة المطهرة جزء من منهاج الله كما سبق أن بيّنا. وهذان الجزءان لا ينفصلان أبداً[1] ودراسة السنة تصبح قائمة على خطوتين هما الدراسة والمراجعة. والمراجعة تأخذ نصيبها مع السنّة كما كانت مع القرآن فكما يضع المسلم نهجاً محدداً لدراسة السنّة يلتزمه عمره كله حتى يلقى الله، فإنه يضع كذلك نهجاً للمراجعة والتذكير والإعادة. وهذا النهج لدراسة السنّة وللمراجعة يُمثل كذلك صورة من صور الصحبة لمنهاج الله، صحبة عمر ونهج حياة.

وهذه الصحبة المباركة للقرآن والسنّة هي أساس هذه الدراسة، أساس العلم، أساس التربية والبناء، أساس الدعوة. فإذا تفلّت المسلم من هذا الأمر، فبمقدار تفلته يضمر علمه، وقد ينقص إيمانه، فالإيمان يزيد وينقص، والصحبة المباركة لمنهاج الله تزيد الإيمان بإذن الله لمن أراد الله له الهداية والخير على حكمة ربّانيّة وعدل رباني. وهجر منهاج الله يفعل عكس ذلك، ويعرّض المؤمن لخطر عظيم.

ولدراسة السنّة لابد من كتاب يعتمده المؤمن في حياته.

وهنالك كتب كثيرة في السنة تحمل الخير الكثير والبركة والنور، كالكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان. جزى الله علماءَنا كلّ خير على هذا الجهد الفذّ الذي حفظ للمسلمين السنّة، وقدَّم لنا هذه الكتب العظيمة.

ولكن المسلم لا يستطيع أن يدرس جميع هذه الكتب، فهي تنهض للمختصّ من ناحية، وكمرجع عام لكل مسلم.

والذي نقترحه بهذا الصدد هو أن يتدرّب كل مسلم على سهولة الاستعانة بهذه المراجع

(١) نفس المصدر السابق: ٤٥ ـ ٤٩، ١٧٧ ـ ١٨٢.

كلما احتاج إلى الرجوع لها، وأن يكون بين يديه كتاب يمضي على صحبته في حياته.

وقد جمع الشيخ منصور علي ناصف ما صحّ من أحاديث رسول الله ﷺ من كتب خمسة هي: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي والمجتبى للنَّسَائي، في كتاب واحد أسماه؛: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول. وقد يسَّر هذا الكتاب للمسلم الاطلاع على كثير من أحاديث الرسول ﷺ. وقد استدرك بعض العلماء على هذا الكتاب بعض الأخطاء ولكن هذه الأخطاء لا تمنع الاستفادة منه حتى يقوم خيرٌ منه.

وكـذلك قام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بإخراج كتابه القيم سلسلة الأحاديث الصحيحة فإذا كمـل فندعو الله أن يجعل فيه خيراً كبيراً.

السنّـــة	
الدراسة	المراجعة

فتصبح المهمة بذلك هي وضع نهج يشمل الدراسة والمراجعة، ويحدِّد قدرها ومعدلها، وطريقتها وأسلوبها، على أن يكون النهج في حدود وسعه المحاسب عليه، ومسئوليته وأمانته، ليصبح بعد ذلك صحبة عمر وحياة.

ولابُدَّ أن نؤكد هنا حاجة الشاب المسلم إلى كتاب واحد في السنّة، يوفر له الاطلاع الميسّر على أحاديث رسول الله ﷺ، مما يلزمه في فهم أسس دينه وأحكامه، وفي سلامة ممارسته لدينه. وهذه مهمة علماء الإسلام وأهل الاختصاص.

جـ ـ اللغة العربية[1] :

لابد للمؤمن من أن يعلم اللغة العربية. ولابدّ لنا من أن نجاهد حتى تعود اللغة العربية إلى سابق مجدها وقوتها. وهذه القضيّة هي مسئولية كل مؤمن في الأرض، لا تسقط عن أحد أبداً، وإنما يتفاوت قدر المسئولية على قدر رجالها وعلى قدر وسعهم، ومكانهم، وأمانتهم.

وإنه لباب من أبواب هذا الجهاد أن يُلزم كل مسلم نفسه بدراسة اللغة العربية دراسة

(١) نفس المصدر: ٤٣ ـ ٤٥.

تكـون جزءاً من دراستـه لمنهـاج الله. ثم يلزم نفسـه، وكـذلـك أهله وأولاده، بحسن استخدامها، وسلامة تطبيقها. ولابدّ للمسلمِ من أن يَضع كذلك نهجاً محدداً يلتزمه من أجل دراسة اللغة العربية. وليوقن أن التزامه هذا هو لبنة في بناء عظيم، وخطوة في نهج كريم، لإعلاء كلمة الله.

ونرى أنه من الضروريّ أن تشمل دراسة اللغة العربية في حياة المسلم ثلاثة موضوعات: النحو والصرف، علم البلاغة، الأدب الإسلامي. ونعني بالأدب الإسلامي الأدب الذي يصدر عن الأديب المؤمن الملتزم، وفي الوقت ذاته يبرز التزامه بمنهاج الله. وكل شرط من هذين الشرطين يوجب الشرط الآخر. ونضع «الأدب الإسلامي» هنا عنصراً من عناصر دراسة اللغة العربية، حتى يتكامل تصور اللغـةالعربيّة في قلب المؤمن، وحتى يزداد يقيننا بأن الأدب سلاح من أسلحـة الدعوة، وأن الأدب الذي ندعو إليه شعراً ونثراً هو أدب الإسلام، أدب العقيدة والإيمان، يطوف في أجواء الحياة والكون، والدنيا والآخرة. وكذلك لنحوط الأدب الإسلامي بجوّه الإيماني، يستقي من منهاج الله ريَّه وغذاءه، ونهجه ودربه، وغاياته وأهدافه، فلا يتيه ولا ينحرف إننا نحاول أن نوضح ونبرز دور الأدب الإسلامي لأن الأدب أصبح أحد الأبواب التي يلج منها الأعداء لحرب الإسلام. فلابدّ إذن للإسلام أن يدفع أدبه سلاحاً من أسلحته. هذا الأدب الذي يرتبط بعقيدة الإسلام وينطلق إلى أهداف الإسلام هو الأدب الإسلامي[1].

اللغة العربية		
النحو والصرف	البلاغة	الأدب الإسلامي

ومن هذه العناصر الثلاثة: القرآن الكريم، السنّة المطهرة، اللغة العربية، مع فروع كل منها تتكون دراسة المنهاج الربّاني.

المنهاج الربّاني								
القرآن الكريم				السنة المطهرة		اللغة العربية		
التلاوة	الدراسة	الحفظ	المراجعة	الدراسة	المراجعة	النحو والصرف	البلاغة	الأدب الإسلامي

(١) يراجع كتاب: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.

٢ ـ الواقع[1] :

إن دراسة الواقع ضرورية لحسن ممارسة منهاج الله، ولحسن الدعوة فيه، ولحسن النهج والتخطيط. وهي ضرورية لتجنب مكر الأعداء وكيد المنافقين، ودراسة الواقع ليست دراسة مرحلية طارئة، إنما هي كذلك دراسة عمر. إنها دراسة الجنديّ المتيقظ في الميدان، وصحوة الفارس على ثغر، وعزمة الطارق لأبواب الجنّة.

والمنهاج الربّاني نفسه يساعد على دراسة الواقع. بل لابدّ من ردّ الواقع إلى منهاج الله لفهْمه وللحكم عليه. ومن ناحية أخرى فإن منهاج الله يوفر وسائل وأساليب لدراسة الواقع وفهمه.

فهو يقدّم النماذج البشرية ليقيس عليها المؤمن، فيعرف الصادق بصدقه والكاذب بأماراته. ولكل نموذج أمارات تعطي المؤمن زاداً وخبرة في فهم الناس. والمنهاج الربّاني يعرض الفطرة البشريّة وخصائصها وصفاتها، ويحلل النفوس والسجايا. والأخلاق والطباع، وهو يعرض نماذج من الحالات النفسيّة، ويعرض نماذج من مصائر الأمم والشعوب. ويعرض الحوافز البشرية والدوافع النفسيّة، وأساليب الأعداء وخططهم، ويوجه المؤمنين في دراسة الواقع ومجابهة الأعداء، ومعاملة الناس عامة.

ولا يستطيع فرد واحد أن يُلمَّ بدراسة الواقع كله دراسة واعية وحده، وإنما يجب أن يقوم بهذه الدراسة الإيمانيّة الواعية مؤسسات إيمانيّة، تقوم على أسس إيمانيّة واضحة، ونهج إيمانيّ مشرق.

ولكنّ المؤمن الفرد لا تسقط عنه المسئولية في المساهمة في هذه الدراسةَ، دراسة خاضعة للقاعدة العامة الهامّة: على قدر الوسع الذي وهبه الله، وعلى قدر الأمانة والمسئولية، وعلى قدر التعاون الذي ييسره الله سبحانه وتعالى. فالمهمُّ أن لا يغفل المؤمن أبداً عن واقعه، وأن يعي دائمًا أنه محاسب ومسئول، فلا يغفو ولا يسهو، ويظل هذا الأمر مهمة حياة.

ونعرض هذا الموضوع هنا بالقدر الذي يمسّ طاقة الفرد ووسعه، ليكون البحث هذا مرشداً للمؤمن ومذكراً ومساعداً.

ولتسهيل الأمر فلابدّ من وضع عناصر رئيسية لدراسة الواقع يقوم عليها نهج الفرد،

---

(١) نفس المصدر السابق: ٢٨٩ ـ ٣٤٤.

وكذلك نهج الأُمة ومعاهدها ومؤسساتها، وليكون دليلاً يعين على نمو النهج، وتطويره على أُسس إيمانيّة. ونقترح أن تكون العناصر الرئيسية لدراسة الواقع كما يلي:

١ ـ أهمية دراسة الواقع وفهمه من أجل سلامة الممارسة الإيمانيّة.

٢ ـ دراسة طبيعة الإنسان وخصائص فطرته التي فطره الله عليها.

٣ ـ دراسة المجتمع والناس والرأي العام، وأُسس التربية الإسلامية لبناء ذلك.

٤ ـ دراسة الأقطار الإسلامية قطراً قطراً، ودراسة ميدان المسلم وساحة عمله.

٥ ـ دراسة واقع العالم الإسلامي اليوم.

٦ ـ الحرب الدائرة على العالم الإسلامي.

٧ ـ الحركات والدعوات المعادية للإسلام.

٨ ـ قضايا العالم الإسلامي: فلسطين، لبنان، قضايا البلدان الإسلامية في أفريقيا مثل آرتيريا، الحبشة، السودان، زنجبار، أُوغنده. . .، وكذلك أفغانستان، وبلدان جنوب شرق أسيا، ثم الأقليات الإسلامية في العالم.

٩ ـ تاريخ الحركات الإسلامية الحديثة: الوهابية، السنوسية، المهدية، الإخوان المسلمون، حزب التحرير الإسلامي، الجماعة الإسلامية في باكستان، ندوة العلماء في الهند، جماعة التبليغ، حزب ماشومي في أندونسيا، الحركة الإسلامية في تركيا، ثم الدعوة الإسلامية عامة.

١٠ ـ السياسة الدولية والواقع الدولي.

١١ ـ العلوم التخصصية كالطب والهندسة والصيدلة والاقتصاد وغير ذلك.

ونتناول الآن بعض هذه العناصر بإيجاز لنبيّن أهميتها ومدى صلتها بالواقع، ودروها في بناء المسلم إيماناً وعلماً وممارسة، ودورها في بناء الدعوة الإسلامية.

٢ ـ أ ـ أهمية دراسة الواقع :

لابد من أن يعي المؤمن أهمية دراسة الواقع وفهمه، ودور ذلك في سلامة الممارسة الإيمانية، وبناء الدعوة، وحسن تدبر منهاج الله. لابد من أن يعي المؤمن ذلك وعياً نابعاً من إيمانه وعقيدته، حتى تتكامل في ذهنه نظرية الدعوة، ونهج المؤمن وهو ينهض ليتدبر منهاج الله ويعي واقعه من خلال منهاج الله.

٢ ـ ب ـ دراسة طبيعة الإنسان والمجتمع والناس:

يدرس المؤمن نماذج الناس وأنماطهم. وقد عرض لنا القرآن الكريم والسنّة نماذج واسعة من

ذلك. لابد من أن يدرسها المؤمن ليحقق هدفين رئيسيين هامّين:

أولاً: إيجاد أفضل الأساليب النامية لتألُّف قلوب الناس على الإيمان.

ثانياً: تجنّب مكر الماكرين وكيد الكائدين وأعداء الدين.

ومن أجل ذلك تنمو دراسة الناس لتكون علمًا نامياً متطوراً، يدفعه جيل بعد جيل، وتظل تجارب المسلمين متصلة نامية، لا مقطعة متوقفة. وعندما يدرس المؤمن نموذجاً من الناس يجب أن يضع العناصر الرئيسية التي يحتاج إليها في دراسته تلك مثل: السيرة وما يتبع ذلك من بيئة ونشأة، وتربية وعلم، وشهادات ودرجَات، ووظيفة وسائر ما يساعد على فهم الظروف التي تساعد على فتح القلوب ودفع الإيمان إليها بأطيب الوسائل والأساليب. وتدرس كذلك الميول والهوايات، والمواهب والطاقات، وتُدرس كذلك السجايا، والأخلاق، والمعاملات والعلاقات، حتى تكوِّن هذه الدراسة نموذجاً من الناس يسهل فهمه والتعامل معه. ويستفيد من مثل هذه الخبرة جيل بعد جيل، حتى تنمو الدراسة في علم جليل، وزاد عظيم.

ولقد كان المسلمون أسبق الأمم في مثل هذه الدراسة، وأعمقها جهداً وبحثاً. وكان الدافع إلى ذلك حماية أحاديث رسول الله ﷺ وتنقيتها من الأحاديث الموضوعة والضعيفة. فنشأ علم الجرح والتعديل، ونشأ علم تاريخ رجال الحديث وهما من أجلّ علوم الحديث. وهي علوم عظيمة يمكن أن تنمو في ظل المواهب المؤمنة.

ويدخل في هذه الدراسة طبيعة الإنسان وسجاياه، وخصائصه ومزاياه. وقد عرض لنا القرآن الكريم تفاصيل واسعة عن طبيعة الإنسان، عما يتشابه الناس فيه من طبائع، وعما يختلفون فيه. وتساعد هذه الدراسة في فهم الناس عامة، وفي فهم سنن التعامل، وما يجرى بين الناس من أحداث[1].

وتقدم لنا السنّة الشريفة نماذج من الطبائع، وأنماطاً من السجايا، تساعدنا على فهم الإنسان: خلقاً، وعقلاً، وفكراً، وعاطفة، وشعوراً، إنها تساعدنا على فهم فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، وما ألهمها الله من فجور وتقوى.

ويدخل في دراسة الناس ونماذجهم، والمجتمع وحركته، يدخل مع هذا كله دراسة الرأي العام.

(١) يراجع كتاب ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ـ باب الاختلاف.

فدراسة الرأي العام دراسة هامة، تستطيع أن تعين في بناء الرأي العام المؤمن، الذي يلعب دوراً هاماً في توجيه المجتمع وميادين نشاطه، وأساليب حركته، وأبواب نموه وتطوره.

ولقد عرضنا لهذا الموضوع في أكثر من موقف، في دراسة الشورى، وفي دراسة الأدب، وفي دراسة الواقع.

٢ ـ جـ ـ دراسة بلد إسلامي:

لابُدَّ من أن يعرف المؤمن الأرض التي يدعو فيها، ويعيش فيها، لابد من أن يدرس تاريخها وكلَّ ما يقرِّبه إلى نجاح بلاغه. كما يجب أن يدرس المسلم أقطار العالم الإسلامي قطراً قطراً.

٢ ـ د ـ دراسة العالم الإسلامي:

ولابد من أن تشمل هذه الدراسة عناصر رئيسية أهمها:

١ ـ تاريخه وأهم أحداثه.

٢ ـ ثروته، وحضارته.

٣ ـ واقعه السياسي.

٤ ـ كيف دخل الإسلام هذ الأقطار، والحرب العنيفة التي يجابهها البلد.

٢ ـ هـ ـ الدعوة الإسلامية:

تاريخها وأهم مؤسساتها.

٢ ـ و ـ الواقع الدولي:

وتهدف هذه الدراسة إلى توفير الأدوات الأولية لفهم ما يجري حوله: في منطقته، في العالم الإسلامي، على الساحة الدولية.

٢ ـ ز ـ الحركات والمؤسسات والمراكز المعادية للإسلام.

٢ ـ ح ـ العلوم التخصصية:

يحرص المؤمن على أن يتابع علمه في تخصصه، إن كان له تخصص، حتى ينال أعلى خبرة ومهارة، وأعمق فهم وعلم، ليعود ذلك قوة له ولأمته. ويتابع المؤمن هذا السبيل بكل الوسائل الممكنة الطاهرة.

والقاعدة الأساسية في سياسة العلم والتعلّم هي : أن أبواب العلم يجب أن تظلّ مفتحة لا يحول دون دخولها إلا تدنّي الطاقة أو الموهبة، لينال الناس كلهم حقوقاً متساوية، فلا يتمايزون إلا بالإيمان والتقوى، والجهد والجهاد، والموهبة العاملة المتفتحة، وبذلك تنهض القوى المتخصصة الموهوبة لتساهم وتؤدي دورها الأمين في بناء الأمة.

نعتقد أنَّ هذا التقسيم لدراسة الواقع يصلح أساساً ننطلق منه لنظرة أوسع وأكثر تفصيلاً. ولكننا بهذا نكون قد حققنا أموراً هامة: أثرنا موضوع دراسة الواقع في حياة المسلمين، ليأخذ حجمه الضروري، ووضعنا أساساً ننطلق منه لتصبح الدراسة منهجية، ووضعنا ملامح النهج والتخطيط، ثم يمضي العمل بإذن الله، فينمو على قدر ما يجد من نيّة صادقة لله وعلم وموهبة وخبرة، وجهد وبذل.

وفي بداية الطريق لابدّ من أن نحدِّد أهم المصادر المتوافرة لدراسة الواقع. ونبادر بالقول بأنه لابدّ للمؤمن من أن يتعلم ردّ الأمور إلى منهاج الله ردّاً أميناً صادقاً، حتى يستطيع أن يستفيد من معظم المصادر. إنها في المرحلة الحالية مسئولية المسلم نفسه أن يبذل جهداً لينقِّيَ المصادرَ مما قد تحمل من كَدَر وغثاء. ولا يتيسر للمسلم ذلك إلا إذا تدرب على ردّ الأمور إلى منهاج الله، ويستعين المسلم في دربه بكل الوسائل الطيبة التي ييسّرها الله له. وإذا صدق المؤمن نيته فليطمئن إلى أن الله معه، يهديه وينير له الدرب.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ . . . ﴾ .

(يونس : ٩)

ونوجز مصادر دراسة الواقع الآن بأربعة مصادر رئيسية :

١ ـ البيئة .
٢ ـ وسائل الإعلام .
٣ ـ كتب الواقع .
٤ ـ العلوم التخصصية .

والبيئة عنصر هام في دراسة الواقع ومصدر رئيسي. وقد تتمثل في البيئة موضوعات متعددة من موضوعات دراسة الواقع. والبيئة أقرب مصدر للمسلم، يدرسه ويعيه حتى يرفع عنه الغفلة، وينمي فيها موهبته وخبرته، ويصحح فيها أخطاءه، ويجد فيها الرحم والصحبة

والأصدقاء، ويجد فيها نماذج من المصادر الأخرى.

٣ ـ فقه الدعوة:

ويمثل فقه الدعوة في حقيقة الأمر فقه ممارسة منهاج الله المتكامل في الواقع البشري ممارسة تستوفي شروطها الإيمانية. لا نقصد بفقه الدعوة فقهاً جزئياً وإنما هو الصورة الكلية الشاملة لمنهاج الله الحقّ المتكامل، ليمارس بصورة متكاملة في حياة إيمانية مترابطة متناسقة متكاملة.

نجد في واقعنا اليوم صوراً شتى للممارسة، ويكاد يكون كثير منها ممارسة جزئية. فقد تجد من يتقن أحكام الوضوء مثلاً، ثم يفرط في بعض أمور الصلاة وقد تجد من يتمسك بالشعائر التعبّديّة، ويحسبها هي وحدها تمثل منهاج الله، وتغيب عنه قواعد الممارسة في ميادين أخرى هو يعمل فيها، وقد وهبه الله الوسع ليدرس ويتعلم، ويمارس الممارسة المتكاملة.

ففقه الدعوة يهدف إلى تدريب المؤمن على حسن الأخذ المتكامل المتناسق لمنهاج الله، على موازنة عادلة أمينة، لا تطغى معها ناحية على ناحية طغياناً يفسد سلامة الممارسة الإيمانيّة.

فقه الدعوة يشير إلى أن ممارسة منهاج الله مطلوبة في البيت، والمعهد، والسوق، والشارع، كما هي في المسجد. وفي كل ميدان قواعد إيمانيّة يجب مراعاتها. حتى الطريق له حقه. فجاء منهاج الله يعلم المسلمين في حديث رسول الله ﷺ أن لا يجلسوا في الطريق، فإن كان ولابدّ فليعطوا الطريق حقّه. ثمّ يحدد الحديث الشريف حقّ الطريق:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا مالنا بدٌّ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها فقال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق؟

قال: غضّ البصر وكفّ الأذى وردّ السلام وأمرٌ بالمعروف ونهي عن المنكر»

أخرجه البخاري[1].

ومثال آخر هو الانفاق. فلا يستطيع المسلم أن يُحسن إنفاق ماله إذا اعتمد على آية واحدة، أو قاعدة إيمانيّة واحدة. ولكنّ قواعد الانفاق ترد في منهاج الله مترابطة متناسقة فيما بينها من ناحية، وفيما بينها وبين سائر منهاج الله من ناحية أخرى فحتى يحسنَ إنفاقه لابد له

(١) صحيح البخاري: كتاب المظالم (٤٦). باب أفنية الدور والجلوس فيها... (٢٢).

من معرفة قواعد الإنفاق بتكاملها. ولابد له من أن يعرف أصحاب الحقوق فيعطي كل ذي حقّ حقّه.

وقس على ذلك سائر قضايا الممارسة الإيمانية. ويمكن أن نوجز قاعدتين مهمتين في فقه الممارسة الإيمانية هما:

١ ـ معرفة جميع القواعد الإيمانية المتعلقة في موضوع الممارسة ومراعاة تناسقها وتكاملها فيما بينها، في هذه القضيّة أو تلك.

٢ ـ معرفة تناسقها وتكاملها مع منهاج الله الحق المتكامل.

ولا يمكن أن يقوم فقه الدعوة أبداً إلا إذا قام الموضوعان الأوليان وهما: المنهاج الرباني والواقع. فعلى أساس من تدبّر منهاج الله وفهم الواقع فهمًا يقوم على أساس من منهاج الله، على أساس ذلك كله يقوم فقه الدعوة.

وأما كتب فقه الدعوة فهي ذاتها يجب أن تكون ملتزمة بهاتين القاعدتين، تبني دراستها على أساس منهما.

ففقه الدعوة هو العلم الذي يساعد على سلامة الممارسة الإيمانيّة.

ويمكن أن نوصي بالموضوعات التالية لتكون أساس دراسة فقه الدعوة:

١ ـ فقه الشعائر.

٢ ـ مهمّة منهاج الله ـ قرآنا وسنة ـ ودوره في حياة المؤمن والدعوة والأمة.

٣ ـ اللغة العربية ودورها في فهم منهاج الله والدعوة الإسلامية.

٤ ـ الروابط الإيمانيّة بين المؤمنين وأسسها الربانيّة.

٥ ـ خصائص الدعوة الإسلامية وأسس لقائها.

٦ ـ أسس الإيمان وحاجة الواقع إليها.

٧ ـ أسس العهد مع الله.

٨ ـ الدراسة النظرية لسائر الأبواب الواردة في دراسة العمل الصالح أو الممارسة الإيمانيّة حسب ما هو موضح في المنهاج الذاتيّ.

٩ ـ الدعوة الإسلامية: وسائلها، أساليبها، مراحلها وأهدافها.

وكما سيرد معنا في فقرة مقبلة عن القواعد الإيمانيّة الإسلامية للممارسة الإيمانيّة، فإن هذه القواعد ذاتها يجب أن تكون الأساس الذي يقوم عليه تصوّر فقه الدعوة.

وهذه القواعد هي : النيّة ، الإيمان والتوحيد ، الولاء ، العهد ، الروابط الإيمانية .

هذه القـواعـد الخمس يجب دراستها من منهاج الله ، كما يجب ربطها بالواقع البشري والواقع الذي تمرّ به الدعوة ، حتى نتصور جلاء هذه القواعد وندرك العوامل التي تؤثر في سلامة تصورها وممارستها في واقع الحياة .

٤ ـ العلوم المساعدة :

ونقصد بهذه التسمية الدراسات والعلوم التي تساعد على فهم منهاج الله ، وكذلك على فهم الواقع .

ويمكن أن تشمل هذه العلوم ما يلي :

السيرة النبوية ، حياة الصحابة ، التاريخ الإسلامي ، علوم القرآن ، مصطلح الحديث ، أصول الفقه .

ولا نعني أن المسلم يدرس هذه العلوم كلها في سنة واحدة ، أو مجموعة من السنوات دفعة واحدة ، مع منهاج الله والواقع وفقه الدعوة . ولكن المسلم يأخذ منها قدر وسعه وطاقته ، وقدر مسئوليته وأمانته ، على نهج مرسوم وخطة موضوعة ، سنعرض إلى أطراف منها في صفحات مقبلة إن شاء الله .

ولابُدَّ من أن نوضح هنا أننا قد لا نجد الكتب المناسبة لكل مستوى ، أو لكل سنّ في هذه الموضوعات . وهي ناحية هامة جديرة بعناية أهل الاختصاص . فلابدّ من أن تتوافر كتب في مصطلح الحديث ، تتدرّج في المستوى حتى تبلغ مستوى الكتب المتوافرة حالياً . وعلم مصطلح الحديث نعطيه أهمية خاصة بالنسبة لسائر العلوم . ذلك لأن المسلم يجب أن يعرف أهم كتب الحديث ، وتاريخ علم الحديث ، وأهم أنواع الحديث ، وكيف يستفيد من الصحاح والسنن والمسانيد . ولابدّ من أن تُقدمَّ هذه المعلومات على درجات ومراحل .

وكذلك نرى بالنسبة لعلوم القرآن وأُصول الفقه ، شريطة أن نبعد المسلمين عن خلافات في الرأي مما لا يهم إلا أهل الاختصاص في هذا الموضوع أو ذاك . فالأمر الهام هو أن تهدف الكتب التي نضعها بين أيدي المسلمين في العلوم المساعدة إلى أن تساعد على فهم منهاج الله وفهم الواقع ، وتيسير التدبّر ، وتسهيل الممارسة ، حتى لا يطغى خلاف على أصل وقاعدة .

ويمكن أن يبدأ المسلم بجزء من العلوم المساعدة ، حتى إذا انتهى منه ، أخذ بجزء آخر .

فيجد المسلم في ذلك مرونة واسعة أمامه، ومجالاً لممارسة قدراته وطاقته.

العلوم المساعدة					
السيرة	حياة الصحابة	التاريخ الإسلامي	علوم القرآن	مصطلح الحديث	أصول الفقه

٥ ـ العمل الصالح أو الممارسة الإيمانية[١] :

الممارسة الإيمانية تعبير نستعمله هنا لنؤكد ظلاً عن ظلال التعبير القرآنيّ العظيم الواسع «العمل الصالح». هذا التعبير القرآني ممتدّ إلى جميع ميادين الحياة صغيرها وكبيرها. ولكن القرون الطويلة من الضعف والجهل كادت أن تحصر معاني هذه اللفظة العظيمة وإشراقتها الممتدة، كادت أن تحصرها في أذهان بعض الناس في زوايا ضيقة مخنوقة، ضيَّقها الجهل وخنقها الهوى. ولكنها في قلوب المؤمنين العاملين المتدبّرين تظلّ أبد الدهر إشراقاً ونوراً.

ونود أن نؤكد هنا على تعريف «العمل الصالح»، تعريفاً نستمده من معاني القرآن الكريم والسنّة الشريفة. فالعمل الصالح أو الممارسة الإيمانيّة هي ممارسة منهاج الله على تكامله وتناسقه في واقع الحياة، ممارسة تحمل الشمول والامتداد، والتكامل والتناسق.

هذا المعنى، هذا التصور هو الذي نرغب أن نعيده ونؤكده، ونكرره ونثبته. ولننظر في هذه الآية الكريمة الجامعة:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾. (العنكبوت: ٤٥).

فبعد الإيمان تبتدىء التلاوة، ويمضي التدبّر في كتاب الله. فينهض المؤمن إلى شعائر العبادات كلها يؤديها كما أمر الله بها، وكما علمها من تلاوته ورأس هذه الشعائر كلها هي الصلاة، فإقامتها، كما أمر الله بها، تبعد الإنسان عن الفحشاء والمنكر، وتدنيه من أعظم الأعمال وأهم الممارسات، ألا وهو ذكر الله، فإن ذكر الله الذي يقوم على الإيمان الصادق، والعلم الصحيح، والتعبدّ الصحيح بالشعائر، وممارسة منهاج الله في واقع الحياة ممارسة طاهرة نقيّة تجتنب الفاحشة والمنكر، كما أوضحت الآية الكريمة، إن ذكر الله هذا وهو يقوم

(١) ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية. ص ٦١٤ الطبعة الثانية.

على هذا كله، هو أعظم الأعمال الصالحة وأكبرها. وإن تلاوة كتاب الله، والشعائر وذكر الله هي أعمال صالحة إذا صدقت النيّة وصحت الممارسة، وإن الله رقيب على عباده، يعلم ما يصنعون، وهم يمارسون منهاج الله في واقع حياتهم.

إن هذه الممارسة الشاملة التي تبتدىء بالعلم والتدبّر لمنهاج الله، والتي تقوم على صدق ممارسة الشعائر، والتي يحوطها ذكر الله فينديّها عبقاً وطيباً، ويمدّها أمنا وأنداء، هذه الممارسة الشاملة هي التي نعنيها هنا.

٥ ـ أ ـ خصائص الممارسة الإيمانية:

وللممارسة الإيمانية خصائِص نوجزها هنا بما يلي:

١ ـ تبدأ الممارسة الإيمانية مع التلفظ بالشهادتين، وتمضي مع صحبة النيّة والعزيمة.
٢ ـ الشمول والامتداد.
٣ ـ المبادرة الذاتية.
٤ ـ المداومة والإتقان.
٥ ـ النمو والتطور.
٦ ـ المراقبة والتوجيه.
٧ ـ الإعداد والتدريب.
٨ ـ الموازنة.
٩ ـ النهج والتخطيط.
١٠ ـ استيعاب الوسع والطاقة.

٥ ـ ب ـ القواعد الإيمانية الأساسية للممارسة الإيمانية[١]:

ويمكن أن نوجز هذه القواعد بما يلي:

١ ـ النيّة.
٢ ـ الإيمان والتوحيد.
٣ ـ الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى، ليكون أساس أي موالاة بين المؤمنين.
٤ ـ العهد مع الله سبحانه وتعالى ليكون أساس أي عهد وعقد مع الناس.

---

(١) لقاء المؤمنين ـ الجزء الأول.

٥ ـ الأخوة في الله وسائر الروابط الإيمانية، لتقوم على أساس المنهاج الربّاني.

على أساس من هذه القواعد الخمس تقوم الممارسة الإيمانية في جميع الميادين. فلا عمل يقبل بدون نيّة خالصة لوجه الله، والنيّة لا تقوم إلا على أساس الإيمان. والإيمان يفرض أول ما يفرض أن يكون الولاء لله سبحانه وتعالى: عاطفة وفكراً وتصوراً وممارسة. فإذا صدق الوَلاء نهض العهد مع الله بكل شروطه التي فصّلها كتاب الله، وكل عهد لا يقوم على أساس من الولاء لله سبحانه وتعالى ولاءً حقيقياً، ولا يقوم على أساس العهد الثابت مع الله سبحانه وتعالى هو أمر لم يستوف شروطه الإيمانية والشرعية.

ويمضي المؤمن بعد ذلك في ممارسته الإيمانيّة على الروابط الإيمانيّة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى: من أخوة في الله، ورحم، وجوار وبرّ والدين، وصحبة سفر، وغير ذلك من العلاقات الممتدة في حياة المؤمن.

٥ ـ جـ ـ ميادين الممارسة الإيمانيّة:

وأول هذه الميادين الشعائر من فرائض ونوافل. ويكون التوجيه إليها جميعاً، وإنما يكون التركيز على ما هو أكثر عرضة لأن يتفلت الناس منها: مثل صلاة الجماعة، وصلاة العشاء، وصلاة الفجر، والصيام النفل، وقيام الليل، وأي نوافل أخرى يرغب بها المؤمن وهو يتعلمها من منهاج الله.

وأما الميدان الثاني فهو الدعوة إلى الله ورسوله. ويتدرب المؤمن من أجل هذا الميدان على قضايا رئيسية:

التدريب على دراسة الواقع.
التدريب على دراسة الناس وقضاياهم.
التدريب على جمع المعلومات وتنسيقها.
التدريب على أساليب الدعوة ومراحلها، وممارستها في الواقع.

ثم ينطلق في ميدان الدعوة ليدعو الناس إلى هذا الدين وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد أخذ عدة الميدان وزاد الطريق، ويمضي على الطريق يلقى المؤمنين على عزائم مشدودة، وقلوب موصولة، ونهج مؤمن.

وإذا نزل إلى ميادين الحياة عامة فيحتاج إلى قواعد إيمانيّة درسها في منهاج الله، ثم يمارسها

في حياته. ولأهميتها نبرزها هنا:

المحاسبة.

الذكر والدعاء.

مجاهدة النفس وسائر أبواب الجهاد في سبيل الله.

المبادرة الذاتية.

التزام المؤمن لحدوده.

إنزال الناس منازلهم.

النصيحة.

الرأي.

السمع والطاعة.

أدب الاختلاف.

الممارسة بين الخطأ والصواب.

الموازنة.

الإدارة والتنظيم.

رد الأمور إلى منهاج الله.

الآداب الاجتماعية والواقع.

النهج والتخطيط.

الشورى.

الأسرة والبيت.

ومن ميادين الممارسة الإيمانيّة نختار ميدان الصحة في حياة المؤمن، ونبرز منها قواعد يرعاها ويتدرّب عليها ويلتزمها على قدر وسعه وطاقته:

تخفيف الطعام.

الرياضة.

المشي.

الجري.

السباحة.

الفحص الطبي.

النوم المبكر والاستيقاظ المبكر.

ومن ميادين الممارسة الإيمانيّة: النشاط الاجتماعي. ونورد من مجالاته نقاطاً أهمها:

صلة الرحم.

الجوار.

الأصدقاء.

المناسبات الاجتماعية: الأفراح، عيادة المرضى، واتباع الجنائز.

ومن الميادين أيضاً الإعلام والاقتصاد. وتمتدُّ ميادين العمل والنشاط على قدر ما تمتد الدعوة الإسلامية ونشاط المؤمن وإعداد القوة والجهاد في سبيل الله رأس هذه الميادين.

ولا يعمل المؤمن في هذه الميادين كلها من إعلام واقتصاد وغيرهما في آن واحد، وإنما يخوض المؤمن ما يناسب وسعه، وما يناسب اختصاصه. وتظل هذه الميادين ساحات تدريب، وبناء علم، وامتداد خبرة. إنها ستظلّ ميادين مفتحة تنتظر فرسانها، وساحات ممدودة تنتظر صناديدها طارقا أبواب الجهاد في سبيل الله كلها على نهج إيمانيّ واعٍ.

عندما يموج الهوى، وتعصف الشهوات، وتتشعب الطرق، وتشتد الحيرة، عندما يحدث هذا تضطرب الأفئدة، وتزوغ الأبصار، وتغيب النفوس المتفلتة في ظلمات تطويها ظلمات، وأنواء تدفعها أنواء. فإن ناديت غاب الصوت ومات الصدى، وإن دعوت سُدَّت الآذان. في هذه الظلمة وهذه الأعاصير، لا ينفع إلا نور من عند الله يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، أو ينبعث من آية يتلوها خاشع، أو حديث يعمل به صادق. فمنهاج الله هو النور الذي يشقّ الظلمات، والبَلال الذي يروي في الهجير، والظل الذي يقي من قيظ، والندى الذي تهتزّ به الأرض.

المنهاج الفرديّ، أو المنهاج الذاتيّ، هو النهج الذي يساعد المؤمن على الصدق في عهده مع الله، والوفاء بالأمانة، والقيام بواجب الاستخلاف، وسلامة العبادة. والصبر والنجاة في ابتلاء.

وعلى ضوء جميع ما سبق نقدّم الآن الصورة المتكاملة للمنهاج الذاتيّ، شاملاً لجميع العناصر، مستوفياً لجميع المراحل، حتى يسهل على المؤمن أن يختار وينتقي، ثم يمضي ويداوم، ثم ينمو ويتطور، على نهج واع، ودرب مشرق.

إن هذا المنهاج الذاتيّ هو دليل للمؤمن يساعده على رسم نهجه ومسيرته . يساعده على أن يعرف من أين يبدأ ، كيف يبدأ ، كيف يمضي ، دون أن يعطل هذا دور المؤسسات الإيمانيّة من معاهد وجامعات ومراكز علمية ، ودون أن يعطل دور العلماء .

وتهدف الممارسة الإيمانيّة إلى أن تصبح الآيات والأحاديث عملاً صالحاً في حياة المؤمن وواقعه ، ابتداءً من همسة ضمير إلى جولة ميدان ووثبة جهاد في سبيل الله .

الفصل الثالث
مراحل المنهاج الذاتي

على ضوء الواقع الذي نعيش فيه، يلقى الداعية نماذج متنوعة من الناس يدعوهم إلى الإسلام. ويلقى مستويات متباينة من الوسع والطاقة. لذلك لا يُعقل أن يكون المنهاج الذاتيّ يحمل شكلاً واحداً ومستوى واحداً يجمد عليه.

فالداعية من ناحية يستطيع أن ينصح، والمسلم نفسه من ناحية أخرى يستطيع أن يختار ما يناسب المستوى والوسع والطاقة. وربّما كان الواقع يفرض على المسلم أن يبتدىء بالتلاوة فقط، يَتَدرَّب عليها بجميع شروطها. ثمّ ينتقل إلى مرحلة أخرى تتحدَّد على ضوء وسعه وطاقته. ويظل ينمو في عمله وجهده مادام يعتبر أن صحبة منهاج الله هي صحبة عمر وحياة، وليست صحبة مرحلية تتوقفّ ثم تذبل وتنتهي. وربما وجد المسلمُ أن البداية يمكن أن تكون بالتلاوة والدراسة، أو بالتلاوة والدراسة والحفظ والسنّة واللغة العربيّة.

هي إذن مسئولية المسلم، أو هي مسئولية الداعية ليُحدِّد نقطة البداية وشكلها. وفي جميع الحالات يجب أن يتوافر في نقطة البداية شرطان أساسيان:

أولاً: أن تكون مطابقة للواقع، مناسبة للوسع، بما يُرْضي الله سبحانه وتعالى دون التعلل بالأعذار المصطنعة الواهية، الأعذار التي يرفضها العقل والصدق والأمانة، والعدل والحق.

ثانياً: أن تشمل نقطة البداية الخطوط الرئيسية لنهج مستقيم، يكفل حسن المداومة والاستمرار، وقوة النمو والتطور منطلقاً من المنهاج الربّاني.

من أجل ذلك كان لابدّ من أن نقدّم تصوُّرا مبدئياً لعمل مرحليّ نام، يساعد المسلم على حسن الاختيار ونجاح المهمة، دون أن نعتبر أن هذا التصور هو التصور الملزم. ولكننا نظل نؤكد أن الأمر الملزم هو الانطلاقة النابعة من الإيمان، الانطلاقة التي تحمل أعظم الحوافز، وأقوى الدوافع، حوافز إلى الجنّة، ووثبات إلى ميادين الجهاد في سبيل الله.

ونضع المناهج الذاتيّة المرحليّة مبنيّة على أساس اختلاف «الوسع». ونعني «بالوسع» هنا

كل ما يمكن أن يتصل بقدرات الإنسان سواء أكانت ذاتيّة أم مرتبطة بالبيئة والمجتمع حوله . فالسنُّ جزء من تصور الوسع ، والمستوى الدراسي كذلك ، والمعدن والفطرة ، والموهبة والقدرات المتميزة ، والأهل والرحم ، والرفقة والصحبة ، والعمل والسعي ، والرزق والثروة ، والعافية والقوة ، والبيئة والمجتمع ، ووسائل الحياة المتوافرة حوله في بيئته ، من معاهد ومكتبات وعلماء ووسائل اتصالات ، وغير ذلك . كلّ هذه العوامل وكثير غيرها تدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة لتحديد الوسع في الإنسان ، ولتحديد مفهوم الوسع كذلك ، ومن ثمّ لتحديد المسئوليات والواجبات ، والحقوق ، والمنازل والدرجات .

على ضوء هذا التصوّر للوسع نقدِّم هنا المناهج الذاتيّة المرحلية ، ليستعين بها المسلم في النهوض إلى واجبه . وتظل العناصر التي عددناها في المنهاج الذاتيّ ، قادرة على تشكيل نماذج متعددة من المناهج المرحلية . وكل عنصر من عناصر المنهاج الذاتيّ يتألف من فقرات ، وكل فقرة تتألف من بنود .

ومراحل المنهاج الذاتي لا تعني أنها هي أول مراحل الإعداد والتكوين والتربية والبناء ، والدعوة والتوجيه . فهنالك مراحل سابقة مهمتها أن تنقل الإنسان إلى مرحلة المنهاج الذاتيّ .

المنهاج الذاتيّ في جميع مراحله يتطلب قسطاً غير قليل من الاعتماد على النفس وسلامة التعاون ، دون قطع أبواب التعاون المشروعة في حياة المؤمنين . بل على العكس من ذلك ، فإن المنهاج الذاتيّ يساهم في حفظ كلِّ خير وتنميته ، ونبذ كل خبيث .

ولبلوغ هذا المستوى من الاعتماد على النفس ، فلابدّ من مراحل إعداد وتكوين وتربية وبناء ، ودعوة وتوجيه . وهذه المراحل يمكن أن يساهم في بنائها البيت والمعهد ، والعلماء والأساتذة ، والدعاة والموجهون ، ووسائل الإعلام .

ونلاحظ المرونة المتوافرة في اختيار المرحلة المناسبة لكل حالة ، من توافر عدد غير قليل من البنود ، حيث يؤلف بعضها فقرات ، والفقرات تؤلف عناصر .

١ ـ المرحلة الأولى :

المنهاج الرباني	
القرآن الكريم	اللغة العربية
التلاوة	حسب مستوى المسلم

الواقع
أهمية دراسة الواقع في النظرة الإيمانية

الممارسة الإيمانية
١ ـ الشعائر التعبّديّة ٢ ـ القواعد الإيمانية الأساسية للممارسة الإيمانية .

نعتبر هذه هي أدنى المراحل وأولها حين تبتدىء المهمة بتلاوة القرآن الكريم بجميع الشروط التي سبق عرضها. هذه المرحلة أساسيّة وضروريّة، وبدونها لا يستطيع المنهاج الذاتيّ أن ينهض أبداً. إنها الأساس المتين الراسخ الثابت الذي يقوم عليه المنهاج الذاتي. لابُدّ من أن يتقن المسلم تلاوة كتاب الله، تلاوة تشمل الفهم والتدبّر والوعي، وتشمل سلامة النطق واللغة، وتشمل أحكام التجويد.

في هذه المرحلة يمضي البناء والإعداد مع أول مراحله. فإن صدق العمل نيّة وجهداً ونهجاً زكا في أوله، ونما في دربه، وامتدّ في عبقه. إن ما سبق أن عرضناه عن التلاوة في هذه الدراسة، وفي كتاب دور المنهاج الرباني يغني عن الإعادة هنا. ولكنّ كتاب الله وسنة رسوله يبرزان معاً أهمية التلاوة بصورة متكاملة متناسقة.

وربما يجد المسلم أنه لابدّ من البدء الفوريّ كذلك بدراسة اللغة العربيّة، حتى تلين له التلاوة، ويصحّ الفهم، ويصدق التدبر. فعندئذ يضع المسلم نهجه اليوميّ للتلاوة، ونهجه كذلك لدراسة اللغة العربيّة دون أي تهاون أو إبطاء. لابُدَّ من أن يعرف المسلم الحقيقة جليّة واضحة، الحقيقة الأساسيّة وهي أن التلاوة واجب لا غنى عنه لمن وهبه الله الوسع له، واللغة العربيّة ضرورة وواجب لا غنى عنه كذلك، وبدون اللغة العربيّة يخسر المسلم كثيراً من البركة والخير، وربما ينقطع به الطريق فيخسر كل شيء. ولابد من أن يعي المسلم أن هذه هي مسئوليته هو نفسه، دون أن ينقص ذلك من مسئولية الآخرين. ولكن تقصير الآخرين لا يعفيه يوم الحساب بين يدي الله سبحانه وتعالى، والحساب شديد. وهو يأخذ في هذه المرحلة من اللغة العربية القدر الذي يناسبه.

هذه هي المرحلة الأُولى تحمل مع اللحظة الأُولى العناصر الثلاثة الرئيسية من عناصر المنهاج الذاتيّ: المنهاج الرباني، الواقع، الممارسة الإيمانية. ويمكن للمسلم أن يرتب منهاجه من هذه العناصر على ضوء وسعه، شريطة أن يُحافظ على شروط التلاوة. وهي تحمل كذلك معها دراسة الواقع والممارسة الإيمانيّة، لتمثل **العناصر الثلاثة معاً** أساس النظرية وأسس المنهاج الذاتيّ.

وإذا كانت المرحلة الأُولى مع مسلم غير عربيّ، فقد يكون من الأَولى أن يحفظ أولاً ما يحتاجه في صلاته وعبادته، ويبدأ بعد ذلك منهاجه الذاتيّ باللغة العربيّة جهداً متواصلاً حتى ينتقل بسرعة إلى التلاوة الصحيحة، التلاوة التي تمثل أساس المنهاج الذاتي، وتمثل الخطّ

المستمر الدائم النامي.

ويدخل في هذه المرحلة دراسة الواقع، لتكون دراسة المنهاج الربّاني هنا مع دراسة الواقع الأساس السليم للعنصر الثالث وهو الممارسة الإيمانية أو العمل الصالح.

وتقوم دراسة الواقع هنا على اختيار عنصر من عناصرها. ويمكن أن تهدف هذه المرحلة إلى التدريب على دراسة الواقع، حتى تنمو الدراسة وتنطلق. ويمكن دراسة أهمية الواقع ودراسته وفهمه في النظرة الإيمانية.

ويمكن أن تصلح هذه المرحلة لفتى صغير، أو رجل غير متعلم، أو مسلم دخل حديثاً في الإسلام، أو مسلم استأنف عهده مع الله يحتاج إلى مرحلة يقوى فيها ويشتدُّ عزمه.

ومما يجدر أن نلتفت إليه هنا هو أن الممارسة الإيمانية يجب أن تمضي مع المرحلة الأولى، وتمتد في جميع المراحل دون توقف. إن الممارسة الإيمانية هي الحياة الطاهرة للمؤمن في هذه الحياة الدنيا. ولا تستقيم تلاوة ولا دراسة إذا لم يصاحبه العمل الصالح في واقع الحياة. والممارسة الإيمانيّة تبتدىء في حياة المؤمن مع تلفظه بالشهادتين، فهناك تبتدىء التكاليف الشرعية، وتنطلق المسئولية التي لا يعفى منها ابن آدم. إنها تبتدىء مع بلوغ الرشد أو النطق بالشهادتين، إنها تبتدىء لتمتد في حياة الإنسان مع كل لحظة، وحركة، ونفس. وهنا تمضي الممارسة الإيمانيّة مع اللحظة الأولى للمرحلة الأولى. وفي هذه المرحلة لابدّ من التركيز على القواعد الأساسية للممارسة الإيمانية، حتى تصبح مغروسة في الطبع، جليّة في العقيدة والسلوك. وهذه القواعد كما سبق أن ذكرناها هي: **النيّة والإيمان والتوحيد، الولاء، العهد، الروابط الإيمانيّة**، على أن تكتسب هذه القواعد معانيها القرآنيّة، معانيها الربّانيّة، مجلوّة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة. وقد سبق أن تحدثنا في أكثر من موضع عن هذه القواعد الإيمانيّة، ولكننا هنا نود أن نبيّن بعض القضايا المرتبطة بالإيمان والتوحيد في هذه المرحلة الأولى.

نحن نفترض في منهاجنا هذا أننا نوجه مؤمنين. فالقضيّة إذن هي ليست دعوتهم إلى الإيمان والتوحيد كما تدعو الرجل المنبتّ الصلة بالإيمان. إن المهمة هنا تحتاج إلى روية وتدبر في عملية البناء والتوجيه. ويمكن أن نضع المهمة في هذه المرحلة في النقاط التالية:

١ ـ تنمية الإيمان وتغذيته.

٢ ـ تنقية التصور الإيماني مما علق به من شوائب وتناقضات من أثر النشأة والبيئة وسائر

العوامل.

٣ ـ ربط التصور الإيماني والتوحيد بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، أي ربطه بالمنهاج الربّانـيّ.

٤ ـ الإيمان بأهمية دور المنهاج الربّانيّ في صياغة التصور الإيماني، والسلوك، والمضيّ العمليّ في هذا السبيل من الالتزام بمنهاج الله إيماناً ودراسة وتدبراً. بهذه النقاط تتضح جوانب من مهمة المنهاج الذاتيّ في هذه المرحلة، وتتضح مهمة المسلم عامة في معالجة نفسه، والاستفادة من المنهاج الذاتي. ولذلك ترتبط في هذا المنهاج الدراسة والشعائر وقواعد الممارسة الإيمانيّة. وكل عنصر من هذه العناصر يغذي العناصر الأخرى.

هذه المـرحلة تقـوم إذن على العناصر الرئيسية الثلاثة من المنهاج الذاتي وهي: المنهاج الربّاني، دراسة الواقع، الممارسة الإيمانيّة. وأي عنصر آخر يضاف إلى المنهاج الذاتيّ يخدم تحقيق هذه العناصر الثلاثة وتحقيق أهدافها.

ولابُدّ من أن نلاحظ هنا قوة الترابط بين هذه العناصر، لتكون معاً أساس النظرية في التربية والبناء.

٢ ـ المرحلة الثانية:

المنهاج الرباني				الواقع	الممارسة الإيمانيّة (العمل الصالح)
القرآن الكريم		السنة	اللغة العربية		
التلاوة	الدراسة				
			حسب المستوى	الإنسان وطبيعته ودراسة الناس	١ ـ الشعائر ٢ـ المحاسبة والتذكير ٣ ـ الذكر والدعاء. ٤ ـ مجاهدة النفس وسائر أبواب الجهاد. ٥ ـ المبادرة الذاتية ٦ ـ التزام المؤمن لحدوده، وانـزال النـاس منازلهم ٧ ـ الدعوة إلى الله ورسوله والمساهمة في إعداد القوة في الأمة لتحقيق أهداف لقاء المؤمنين والجهاد في سبيل الله.

هذه هي المـرحلة الثـانية. وهي تمثـل في حقيقتها نقلة لتكامل المنهاج الربّانيّ في قلب المسلم، حين يجتمع في منهاجه: القرآن الكريم، السنّة، اللغة العربية، الواقع، ثم تمتد كذلك هنا ساحة التدريب على الممارسة الإيمانية إلى رقعة أوسع مما كانت عليه في المرحلة الأولى، ولكنها تظل تقوم على أساس من منهاج الله والواقع.

والمرحلة الثانية هذه تصلح كذلك لتكون هي المرحلة الأولى لبعض نماذج المجتمع، كما تصلح لأن تكون مرحلة ممتدة للمرحلة الأولى التي سبق عرضها. وتمضي التلاوة لكتاب الله بشروطها، وتمضي كذلك دراسة السنّة النبوية دراسةً منهجيّة وتمضي دراسة اللغة العربية في الأبواب التي تناسب المسلم وتناسب المرحلة والواقع على أساس منهجي.

وكل دراسة يجب أن تكون منهجية مُبرمجة، قادرة على النمو والانطلاق. ومن المفروض في هذه المرحلة الثانية أن يزداد الإيمان لمن أراد الله به خيراً، أن يزداد الإيمان في قلب المسلم، وصحبته لمنهاج الله تمتدّ وتتسع وتقوى. وكذلك فإن تدريبه ينمو ويمتد.

ونلاحظ هنا أن الممارسة الإيمانية تمتدّ على أركان الإسلام، وتقوم عليها. فالشعائر التعبدية قاعدة أساسية للممارسة. فهي النبع الغنيّ الذي يروي الممارسة كلها بالبركة والخير والصحة. وبدون هذه الشعائر تبطل الممارسة وينقطع خيرها، وتظل الممارسة في حياة الإنسان جافة حتى ترتبط بالشعائر وتمتد معها في حياة الإنسان.

٢ ـ أ ـ الدعوة ومراحلها :

ونلاحظ كذلك أن من بين أعمال الممارسة هي الدعوة إلى الله ورسوله، الدعوة إلى الإسلام، إلى دين الله. وهنا يدرس المسلم ويمارس هذه الدعوة كما يتعلمها من كتاب الله وسنّة رسوله. ولقد سبق أن تحدثنا عن الدعوة في أكثر من موضع. ولكننا هنا نحتاج إلى أن ننبه أنفسنا وإلى أن نشير إلى نقاط رئيسية، تقوم على أساس من منهاج الله ومن الواقع الذي تمضي الدعوة فيه.

أولاً : يجب أن يشعر الناس أنك تدعو إلى دين، إلى دين الإسلام، إلى الله ورسوله، إلى قواعد الإيمان وأسس التوحيد، دون أن يختلط هذا بعصبية تميت الخير وتقتل البركة. فعندما تدعو إلى أخوّة في الله، فإنك تدعو إلى أخوّةٍ أمر الله سبحانه وتعالى بها، وحدَّد لها في منهاجه حقوقاً وواجبات. وقس على ذلك سائر القضايا، حتى يشعر الناس أن الداعية أمين على دينه ودعوته، واضح في نهجه وكلمته.

ثانياً: لابدّ للداعية من أن يمضي في دعوته على نهج مدروس، وخط مشرق، دون أن تكون الدعوة عملية روتينيّة تفقد الحياة والروح، وتخسر الجولة بعد الجولة. لابد من عمل له أسسه وقواعده، ووسائله وأساليبه، وغاياته وأهدافه. ولابد من أن يكون ذلك كله نقيّاً قوياً.

ثالثاً: لابد من أن يحمل هذا النهج الاستفادة من الواقع، ودفع إمكاناته لخدمة دين الله ما وسعه ذلك. ودون أن يفهم الداعية الواقع فإنه لا يستطيع أن يبلغ ذلك.

رابعاً: وأول ما يجب فهمه في الواقع هو الناس الذين تدعوهم، والأشخاص الذين تبلغهم. ولابدّ من أن يأخذ هذا الفهم صورته العلميّة، وأسس الدراسة، وخلاصة البحث، ليكون هذا الجهد مصدر تجارب تستفيد منها أجيال المؤمنين على كرّ الليالي والأيام. فلابد من أن تدرس معدن الرجل وفطرته، وموهبته وعقله وطاقته، وأصله وبيئته، وأرحامه، ورزقه وعمله وسعيه، وصحبته، ورفقته، وطباعه وسجاياه، وخصائصه ومزاياه، لا بُدَّمن معرفة ما يمكن من هذا، لأن هذا كله وكثيراً غيره يساعد الداعية على رسم نهج، ومعرفة أفضل الأساليب لتحبيب الإيمان إليه، وتقريب الخير والنور إلى قلبه. وهذه المعرفة تمثل الخطوة الأولى في درب الدعوة إلى الله ورسوله. ولقد سبق أن أوضحنا هذه المرحلة في صفحات سابقة.

خامساً: إن الخطوة الثانية تعني عرض الإيمان بأحب الأساليب، أو تقريب الخير، أو معالجة النفس. ويمكن أن نُسهّل على أنفسنا فنسمي هذه الخطوة هي مرحلة «الإيمان». هي المرحلة التي تنصبُّ الجهود فيها على تنمية الإيمان، وتنقيته، وتصحيحه، وربطه بمنهاج الله، لتكون هذه الخطوة تمهيداً لالتزام صادق في دراسة منهاج الله على نيّة وعزم ووضوح. كما ذكرنا ذلك في نقاط أربع محددة قبل قليل.

سادساً: تمضي التربية والبناء عمليّة نامية في الدعوة إلى الله ورسوله. والمعاهد والمؤسسات والعلماء والدعاة أولئك كلهم يظلّون مسئولين عن رعاية أبناء الأمة، وصون عقيدتهم، وتغذية إيمانهم وعلمهم وممارستهم. وإن عمليه التربية والبناء تقوم على التمسّك بمنهاج الله قرآنا وسنة، والمضيّ معه. وفي بادىء الأمر قد يحتاج المسلم إلى فترة حتى يعتاد التلاوة والدراسة والحفظ، فتمضي مرحلة غير مستقرّة، غير منتظمة على نهج، حتى يعتاد ويطمئن ويستقرّ. لابد من الصبر على مثل هذه المرحلة التي تظهر مع بعض الناس، لتوفر لهم المران والثقة والعزيمة.

سابعاً: وتستمر بإذن الله جهود البناء، وعزائم التربية، بهدوء وروية حتى تستقر نفس المسلم وتطمئن، وحتى تؤمن وتهدأ في أفياء منهاج الله، إيماناً ودراسة، وتدريباً وممارسة، على نهج واضح يقدمه المنهاج الذاتي، منهاجاً يمضي على خطة ووعي، خطة تبتدىء بمرحلة

أوّلية تُختار من عناصر المنهاج الذاتيّ.

ثامناً: من العرض السابق تتضح لنا الخطوات المتتالية، وتَبرز لنا أهميتها في معالجة النفوس، وتحبيب الإيمان. إن هذه الخطوات تهدف إلى أمر جليّ. تهدف إلى ربط المسلم بمنهاج الله، ليصوغ له حياته وفكره، وتصوراته ورغباته، وسلوكه وسعيه، في أحضان أمته، وظلال عقيدته. هنا ينطلق المسلم بمبادرته الذاتيّة متمسكاً بمنهاج الله، داعياً إلى الله ورسوله، يبني نفسه وأهله، ووطنه وأمته يمضي مع منهاجه الذاتيّ في مرحلته الثانية، ينتقل إلى مرحلة أقوى وأعمق.

لقد عرضنا هنا أهم النقاط التطبيقية المتعلقة في موضوع الدعوة والمنهاج الفرديّ. أما بالنسبة لسائر نقاط الممارسة الإيمانية المقترحة للتدريب عليها في هذه المرحلة: المحاسبة، الذكر والدعاء، مجاهدة النفس، المبادرة الذاتية، معرفة المنازل والحدود، فلا نحتاج هنا إلى أن نفصل في كل واحدة منها، فقد سبق عرضها في مناسبات أخرى. وسيكون لمعرفة المنازل والحدود فصل مستقل إن شاء الله. ولكن الذي نحتاج إلى أن نركز عليه الآن بالإضافة إلى موضوع الدعوة هو «المبادرة الذاتية». هذه الصفة الإيمانية ضرورية جداً للمسلم في حياته وعقيدته، ليصون أمة وديارا وعقيدة.

٢ ـ ب ـ المبادرة الذاتية :

إن المبادرة الذاتية هي خلاصة الحوافز الإيمانية، التي تطلق طاقات المؤمن على درب طويل، وفي ميدان واسع. هي خلاصة جميع الحوافز الإيمانية الفكرية والنفسية المادية. وهذه الحوافز كلها ترتبط في حياة المؤمن بهدف واحد تنصب عنده الجهود والتصورات والآمال. ألا وهو الجنّة. إن المبادرة الذاتية هي خلاصة شعور المؤمن في ذاته وفكره وإيمانه بأنه إنسان يعيش لأهداف مشرقة واضحة، ويسعى على درب مشرق جليّ. إن المبادرة الذاتية هي جوهر يقين الإنسان بأنه يعيش لقضية واحدة في حياته هي قضية الإسلام، هي قضية هذا الدين، هي قضية هذه الأمة المسلمة الضاربة في التاريخ، الممتدة في آفاق المستقبل. وعندئذ تصبح سائر قضايا حياته قضايا تابعة، مرتبطة بالقضية الكبرى، القضية التي أصبح يؤمن بأنه خلق لها، وأن منهاج الله عبر عنها في القرآن الكريم بتعابير ربّانية، تجتمع كلها لتصور القضية أكمل تصوير، وأدق تصوير: **العبادة، الاستخلاف، الأمانة، عمارة الأرض، من خلال ابتلاء وتمحيص**[1].

---

(١) يراجع كتاب «لقاء المؤمنين الجزء الثاني».

لقد بنت مدرسة النبوّة هذه المبادرة في قلوب الصحابة ونفوسهم، في دمائهم وأعصابهم، حتى جمعت في حقيقتها جميع الحوافز الإيمانية على موازنة عادلة أمينة.

عندما ندرس السيرة النبوية، وعندما ندرس سيرة صحابة رسول الله ﷺ، نجد نماذج رائعة من المبادرة الذاتيّة، تمثل خطاً رئيسياً في الدعوة. لقد كان المؤمنون أفواجاً تتزاحم على ميادين الطاعة، ولم يكن يتخلف عنها إلا ضعيف رماه الوهن، أو منافق ظاهر النفاق.

ويذهل المرء حين يرى اليوم من أعداء الله عناداً على الكفر والضلال، يدفعهم إلى مبادرة تلو مبادرة، ويوفر لهم حوافز مجرمة، ليحاربوا هذا الدين، فيصبروا على شدة ولأواء، وجوع وعطش، ومرض وعافية، وسهر وجهد، لا ينون ولا يكلون عن حربهم هذه. وتمتد الحرب قروناً بعدها قرون، وهم في غيهم ماضون. والمؤمن أولى أن تنمو فيه المبادرة الذاتية، لينهض للدفاع عن دينه، والصدّ عن أمته، والسير على نهج، والمضيّ على درب، يحمل كل الحوافز الطاهرة النظيفة الذكية الواعية، راكضاً إلى هناك، إلى الجنة.

فتكـون المبادرة الذاتية عنصراً من عناصر التعلم والتدريب، والتربية والبناء في ميدان الممارسة الإيمانيّة، في هذه المرحلة، وفي غيرها من المراحل. وتكون المبادرة الذاتية جزءاً من نهج وتعاون وتنسيق لا مثلا لاضطراب وفرديّة وأنانية.

ولابد من أن ننتبه إلى أن عناصر الممارسة الإيمانية، في أي مرحلة من المراحل، تظل ممتدة مع سائر المراحل المقبلة، تذكيراً وتعليمًا وتدريباً، حتى يشعر المؤمن بتكامل النهج، وتناسق العناصر وترابطها.

ولكن المبادرة الذاتيّة تحتاج إلى فهم الواقع ودراسته ووعيه، حتى يستطيع المؤمن أن يبادر إلى خير، وأن ينهض إلى صالح، على موازنة عادلة لا تفسد العمل، ولا تعطل بركة. لابد من هذه الموازنة القائمة على فهم منهاج الله وفهم الواقع، ومعرفة الحقوق والواجبات.

ولابدَّ من أن نؤكد أن عمل التربية والبناء عمل عظيم جليل، يحتاج إلى صبر وأناة، ودأب ومداومة، وكدّ وجهد، وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، حتى يبارك العمل ويتقبله. ولذلك قد يحدث أن تمتدّ المرحلة الواحدة فترة أطول مما هو مقدر لها. إذ لا يجوز الانتقال من مرحلة إلى مرحلة حتى تكون المرحلة السابقة قد أدت أغراضها، وحققت أهدافها. ولابدّ من أن تكون كل مرحلة واضحة في عناصرها، واضحة في أهدافها، واضحة في مسيرتها.

منهاج المرحلة الثالثة

	المنهاج الربانيّ							الواقع	العلوم المساعدة	فقه الدعوة	الممارسة الأيمانية
	القرآن الكريم				السنة		اللغة العربية	دراسة بلد إسلامي أو أكثر	السيرة والصحابة، علوم أخرى	١ - فقه الشعائر ٢ - مهمة منهاج الله ودوره ٣ - مهمة اللغة العربية	١ - الشعائر ٢ - تذكير بما سبق. ٣ - النصيحة ٤ - الرأي ٥ - السمع والطاعة
	التلاوة	الدراسة	الحفظ	المراجعة	الأحاديث	المراجعة	النحو والصرف				
المرجع											
المعدل: اليومي											
الأسبوعي											
الشهري											
السنوي											

٣ ـ المرحلة الثالثة :

نُذكّر أنفسنا هنا أن أي مرحلة من هذه المراحل قد تصلح لأن تكون المرحلة الأُولى أو الثانية أو غير ذلك . إن هذا يعتمد على وسع المسلم نفسه من ناحية، وعلى الواقع من ناحية أخرى . وإنه يعتمد على قوة إيمانه ويقينه .

والنقطة الثانية التي يجب تذكرها هي أن المنهاج الذاتي يتألف أساساً من خمسة عناصر هي : المنهاج الربّاني، الواقع، العلوم المساعدة، فقه الدعوة، الممارسة الإيمانية . وكل عنصر من هذه العناصر يتألف من فقرات . وكل فقرة تتألف من بنود . فيصبح لدينا إذن عدد واسع من الفقرات والبنود، يستطيع المسلم أن يختار مايشاء من العناصر والفقرات والبنود ليصوغ منهاجه الذاتي المرحلي، على نفس الأسس السابقة : إيمانه ويقينه، وسعه وطاقته، الواقع . ولكن يجب أن تكون البداية دائمًا شاملة لتلاوة منهجية في كتاب الله، تلاوة تحمل التدبر والوعي، وتسعى بسرعة لأن تشمل السنّة، وتشمل اللغة العربية، حتى يتكامل في ذهن المسلم تصور منهاج الله قرآناً وسنة، وأنهما من عند الله، وأن لغة منهاج الله هي اللغة العربية . ثم ينمو المنهاج الذاتيّ حتى يستكمل العناصر والفقرات والبنود .

إنه المنهاج الذاتيّ، ينطلق من ذات المؤمن، من قناعته هو وإيمانه ويقينه، على أساس من وسعه وطاقته، وواقعه وحالته، ليكون المنهاج الرباني صحبة عمر وحياة، وليكون عمل المؤمن عملاً منهجياً مدروساً، يحمل النيّة الطاهرة الخالصة لله سبحانه وتعالى، ويحمل الوعي على درب مستقيم مشرق، ويحمل الأهداف الربانية المشرقة . فلا يتيه بإذن الله، فانطلاقته لله، وولاؤه لله، ونهجه منهاج الله .

وفي هذه المرحلة تدخل دراسة الواقع على نهج أوسع وخطة أعمق، وأساس من علم وتربية، لتؤدي دراسة الواقع أهدافها الإيمانية . وتبتدىء دراسة الواقع بنقطتين : دراسة الإنسان طبيعته وخصائصه، ودراسة الناس عامة وفهمهم، وتمتد دراسة الواقع في جميع المراحل دراسة مصاحبة لمنهاج الله، على أساس من البنود التي سبق عرضها .

وتدخل العلوم المساعدة مبتدئة بالسيرة النبوية وحياة الصحابة . ويمكن لهذه العلوم المساعدة أن تُنقل إلى المرحلة الأُولى، أو المرحلة الثانية، يقرر ذلك دائمًا : الإيمان والنية، واليقين والعزيمة، والوسع والطاقة، والواقع والحال .

وهنا يأخذ المنهاج الذاتيُّ صورة تقترب في نموِّها من العمل المنهجيّ المتكامل. فلابد من تحديد المراجع، ولابد من تحديد المعدلات التي يلتزمها المؤمن في حياته، من كل عنصر، ومن كل فقرة، كما هو واضح في النموذج المرفق.

ويجب أن لا ننسى أن هذه المرحلة تساهم مع سائر المراحل في بناء المؤمن العامل المجاهد في سبيل الله، ليقف مع سائر المؤمنين يحمي أمة وعقيدة وديارا.

٤ ـ المرحلة الرابعة:

ينمو المنهاج الذاتيّ بعد المرحلة الثالثة في استبدال فقرات عناصره. فتتبدّل فقرات اللغة العربية، أو تتزايد حتى تشمل البلاغة والبيان والأدب الإسلاميّ. والأدب الإسلامي، كما أوضحنا سابقاً، هو أحد أسلحة الدعوة الإسلامية في الأرض، تَدفعه وتصوغه موهبة الداعية المؤمن العامل على أساس من التزام بيِّن بمنهاج الله، التزام إيمان وعقيدة، وفكر، وتصور، ونهج وسلوك.[1]

وتصبح «المراجعة» هنا فقرة رئيسية في دراسة منهاج الله. والمراجعة تبتدىء حقيقة مع أول خطوة، ولكننا أبرزناها في المرحلة الثالثة والرابعة على أساس من أن المرحلتين السابقتين الأولى والثانية، هما مرحلتا إعداد وتهيئة وتدريب لانطلاقة عمر وحياة، ودعوة وجهاد.

وتمتد دراسة الواقع لتشمل عناصره الأخرى: العالم الإسلاميّ وقضاياه، وسائر بنود دراسة الواقع لتمتدَّ مع المرحلة الرابعة. وتستفيد دراسة الواقع من جميع الوسائل المتوافرة من وسائل إعلام، وكتب ومؤسسات وغير ذلك.

ويمتد فقه الدعوة ليشمل فقرات جديدة بالإضافة إلى امتداد الفقرات السابقة: فقه الشعائر، مهمة منهاج الله ودوره، اللغة العربية ودورها في الدعوة الإسلامية، رابطة لقاء المؤمنين، خصائص لقاء المؤمنين، الإيمان والعهد. وتظهر سائر فقرات العلوم المساعدة واحدة واحدة.

ويمكن لهذه الفقرات، كلها أو بعضها، أن تنتقل إلى أي مرحلة سابقة على نفس الأسس التي ذكرناها.

وتمضي المرحلة الرابعة لتمثل المنهاج الذاتيّ المتكامل في جميع عناصره، وفقراته، يتوقف

(١) «كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته». للمؤلف.

منها مع الأيام الفقرات المرهونة بمرحلة. وينمو المنهاج الذاتـيّ، وتنمو الممارسة الإيمانية، ليدفع ذلك كله أفواج المؤمنين وأجيال العاملين.

إن كل مرحلة من هذه المراحل لا تتقيد بفترة زمنية محددة. إن المسلم نفسه هو يحدد ذلك على ضوء جده واجتهاده، وبذله وعطائه. إلا أن القاعدة الأساسية هو أنه لا يجوز الانتقال من مرحلة إلى أخرى إلا إذا استوفت المرحلة السابقة مهمتها وبلغت غايتها، مهما أخذت من زمن. وجـدير بنا أن نذكر هنا أن المنهاج الذاتـيّ هو صحبة عمر وحياة. ولكن هذا الامتداد يجب أن لا يكون مبرراً للمسلم لأن يسترخي ويتوانى. بل على العكس من ذلك، يجب أن ينطلق بقوة وعزيمة وهو يشعر أنه يحمل قضيّة في حياته، وأنه صاحب قضيّة، قضيّة الإسلام. ومن أجل هذه القضيّة يصبح الزمن عنصراً هامّاً، وكسبه ضرورة قائمة.

في هذه المرحلة الرابعة تستقر دراسة القرآن الكريم: تلاوة ودراسة وحفظاً، وتستقرّ دراسة السنّة الشريفة، وتمتد كذلك مع دراسة القرآن الكريم. واللغة العربيّة يمضـي المسلم في دراستها مكتفياً بالنحو والصرف. أو بالنحو والصرف والبلاغة. ومن وجد في نفسه القدرة على الانتقال إلى الأدب فلابدّ من أن ينتبه إلى أن الغاية من دراسة الأدب هنا هو تنمية اللغة العربيّة في نفسه، وليس التخصص والاستغراق الأدبي. إلا أن يكون الأدب هو اختصاص المسلم وباب اهتمامه، فيكون الأدب في هذه الحالة هو مع «العلوم التخصصية».

والهدف الثاني من دراسة الأدب هو تصفية اللغة العربية والمجتمع الإسلاميّ من سموم أعداء الإسلام، من السموم التي ينفثونها في حياتنا من خلال الأدب. وبذلك يصبح من واجب المسلم أن يعي بصورة واضحة خطورة الأدب ودوره. والهدف الثالث هو أن يكون سلاحاً من أسلحة الدعوة.

الأدب ظاهرة إنسانـيّة، تدفعه الموهبة التي يضعها الله في من يشاء من خلقه كما يضع المواهب الأخرى في من يشاء من عباده. ولكن يظلّ مع الموهبة عوامل أُخرى توجه الأدب وتصوغه وتدفع معانيه وأفكاره. ومن أهم هذه العوامل التي تصوغ وتدفع هي «العقيدة» فالعقيدة دائماً تساهم في دفع المعاني وصياغتها. ولكل إنسان عقيدة ولكل إنسان شيء يتوجه إليه ولاؤه. فالكافر والمشرك له ولاء لهذا أو ذاك، لصنم، أو مصلحة، أو شهوة، أو هوى، أو أي شيء آخر يولد له الحوافز، ويستقطب منه الولاء. والمسلم له عقيدته المشرقة، عقيدة الإسلام. فمن الناس إذن من تكون الجاهلية هي دينه وعقيدته، ومنهم من يكون الإسلام

هو دينه وعقيدته. ولابدّ أن تصوغ الجاهلية بأنماطها المتعَدِّدة الأدبَ، أو أن يصوغه الإسلام. فحين يصوغ الإسلام الأدبَ نسمي هذا الأدب الأدب الإسلاميّ. هذا هو الأدب الذي يجب أن يكون عدة من عُدَدِ الدعوة، وقوة من قواها. ويأخذ المسلم منه ما يعينه على تحقيق الأهداف المرجوة من تقوية مهارته في اللغة العربية، حماية الدعوة الإسلامية من الغزو والفساد، إضافة إلى هدف آخر هو تنمية الموهبة الأدبية حيثما وُجِدتْ.

فالمنهاج الذاتي يهدف، في جملة ما يهدف إليه، إلى رعاية المواهب والقدرات، وفتح ميادينها وآفاقها. وهو يهدف إلى رعاية المواهب كلها مهما تنوعت وتعددت. وهو يوفّر الغذاء الأساسي للموهبة حتى تظل محتفظة بقوتها، ماضية في نموها، لتحسّ بها الأمة فترعاها وتحنو عليها.

وقد تظهر الموهبة في هذه المرحلة لأنها تكاد تكون أطول المراحل الأربع الأولى وأعمقها. وقد تظهر قبل ذلك، وقد تظهر في المرحلة الخامسة التي تمتد امتداد العمر كله.

وحيثما ظهرت القدرات الخاصّة المتميزة يصبح من واجب الأمة كلها رعايتها. وسنتحدث عن ذلك أكثر في سياق المرحلة الخامسة.

ونقدم مع المرحلة الرابعة شكل «المنهاج الذاتيّ» النموذجيّ، الذي نقترحه، ليشمل عناصر التربية والبناء، وفقراتها وبنودها، وليكون دليلاً ومعيناً على عرض النظريَّة التي نريدها، ودليلاً للمؤمن ومعيناً له على صياغة أي مرحلة تناسب وسعه وطاقته، ومسئوليته وواقعه.

ونقدم بعده كذلك قائمة بالمراجع التي نقترحها للمراحل الأربع هذه، يستعين بها المؤمن على اختيار مرجعه في هذه الفقرة أو تلك.

ومع المرحلة الرابعة يتكامل المنهاج الذاتي. ولكننا يجب أن نؤكد هنا أن المؤمن حين يؤدي هذا الواجب الذاتي لا ينقطع عن سائر مسئولياته وميادينه في حياة الأمة ولكنه يتناسق معها لتتكامل عملية التربية والبناء لتعد المؤمن العامل المجاهد في سبيل الله على نهج إيماني واعٍ يسعى لأهداف مشرقة واضحة. ولقد عرضنا دراسة الأهداف في كتاب «لقاء المؤمنين» الجزء الثاني

منهاج المرحلة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المادة	المنهاج الرباني									الواقع					فقه الدعوة	العلوم المساعدة					
	القرآن الكريم				السنة		اللغة العربية														
	تلاوة	دراسة	حفظ	مراجعة	دراسة	مراجعة	النحو والصرف	علوم البلاغة	الأدب الإسلامي	إذاعة	جريدة	مجلة	كتاب	علوم تخصصية		السيرة النبوية	حياة الصحابة	التاريخ الإسلامي	علوم القرآن	مصطلح الحديث	أصول الفقه
المرجع																					
المعدّل: يومي																					
المعدّل: أسبوعي																					
المعدّل: شهري																					
المعدّل: سنوي																					

عناصر دراسة الواقع :

١ ـ أهمية دراسة الواقع .
٢ ـ دراسة طبيعة الإنسان .
٣ ـ دراسة المجتمع والناس .
٤ ـ دراسة بلد إسلامي .
٥ ـ واقع العالم الإسلامي اليوم .
٦ ـ الحرب الدائرة على العالم الإسلامي .
٧ ـ الحركات والدعوات المعادية للإسلام .
٨ ـ قضايا العالم الإسلامي .
٩ ـ تاريخ الحركات الإسلامية الحديثة .
١٠ ـ السياسة الدولية .
١١ ـ العلوم التخصصية .
١٢ ـ الإعلام .

عناصر دراسة فقه الدعوة :

١ ـ فقه الشعائر .
٢ ـ مهمة منهاج الله ـ قرآنا وسنة ـ ودوره في حياة المؤمن والدعوة والأمة .
٣ ـ اللغة العربية ودورها في الدعوة الإسلامية .
٤ ـ الروابط الإيمانية بين المؤمنين وأسسها الربانية .
٥ ـ خصائص الدعوة الإسلامية وأسس لقائها .
٦ ـ أسس الإيمان وحاجة الواقع إليه .
٧ ـ العهد مع الله والولاء له .
٨ ـ الدراسة النظرية لسائر الأبواب الواردة في دراسة «العمل الصالح أو الممارسة الإيمانية» : الأسس التي تقوم عليها الممارسة الإيمانية . قواعد الممارسة الإيمانية وميادينها حسب ما هو موضح في المنهاج الذاتي .
٩ ـ أهداف الممارسة الإيمانية .
١٠ ـ الدعوة إلى الله ورسوله ، وسائلها ، أساليبها ، مراحلها ، خصائصها ، وطبيعتها .

منهاج المرحلة الرابعة
(تتمة)
العمل الصالح «الممارسة الإيمانية»

القواعد الإيمانية الأساسية	الشعائر					الدعوة	قواعد في الممارسة والتطبيق	قواعد صحية	النشاط الاجتماعي	الإعلام	الاقتصاد
	الفرائض		النوافل								
	صلاة الجماعة	صلاة الفجر	الصيام	قيام الليل	نافلة أخرى						
١ ـ النية ٢ ـ الإيمان ٣ ـ الولاء ٤ ـ العهد ٥ ـ الروابط الإيمانية						١ ـ التدريب على: أ ـ دراسة الواقع ب ـ دراسة الناس وقضاياهم جـ ـ أساليب الدعوة ومراحلها ٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣ ـ ممارسة الدعوة في الواقع ٤ ـ لقاء المؤمن بالمؤمن ونهجه	١ ـ المحاسبة ٢ ـ الذكر والدعاء ٣ ـ مجاهدة النفس وسائر أبواب الجهاد في سبيل الله ٤ ـ المبادرة الذاتية ٥ ـ التزام المؤمن لحدوده ٦ ـ إنزال الناس منازلهم ٧ ـ النصيحة ٨ ـ الرأي ٩ ـ السمع والطاعة ١٠ ـ أدب الاختلاف ١١ ـ الممارسة بين الخطأ والصواب ١٢ ـ الموازنة ١٣ ـ رد الأمور إلى منهاج الله ١٤ ـ النهج والتخطيط ١٥ ـ الإدارة والتنظيم ١٦ ـ الشورى ١٧ ـ الأسرة والبيت ١٨ ـ الذوق الاجتماعي ١٩ ـ الإنفاق	١ ـ تخفيف الطعام ٢ ـ الرياضة ٣ ـ المشي ٤ ـ الجري ٥ ـ السباحة ٦ ـ الفحص الطبي ٧ ـ النوم المبكر والاستيقاظ المبكر	١ ـ صلة الرحم ٢ ـ الجوار ٣ ـ الاصدقاء ٤ ـ المناسبات الاجتماعية	١ ـ وسائله ٢ ـ أساليبه ٣ ـ الرأي العام ٤ ـ التخصص العلمي	١ ـ الكسب الحلال ٢ ـ الإنفاق الحلال ٣ ـ التخصص العلمي

٥ ـ المرحلة الخامسة :

لقد ذكرنا أن المراحل السابقة لا نحدِّدُها بزمن، ولكننا نحددها بجهد وبذل وعزيمة، حتى يمضي المنهاج الذاتيّ صحبة عمر وحياة. ونرى أن المرحلة الرابعة التي سبق عرضها هي أطول المراحل الأربع زمنا، فيجب أن تمتد حتى يتقن المسلم منهاجه، وينمو زاده، وتصدق ممارسته.

في المرحلة الرابعة يجب أن ينهي المسلم جولته الأُولى من الموضوعات التالية، ثم يمضي إلى أُفق أوسع مع المرحلة الخامسة التي تحمل له مرونة أوسع لاختياره:

١ ـ الدراسة والتفسير حتى يصبح هذا الموضوع أقرب ما يكون إلى المراجعة، وحتى ينمو الحفظ. أما التلاوة فإنها تنمو أبداً ولا تتوقف وربما يصل بعض الناس، مع قوة حفظهم وتدبرهم، إلى أن تكون التلاوة نفسها باباً من أبواب الدراسة والتدبر. والحفظ والمراجعة. تُصبح الفقرات الأربع كأنها فقرة واحدة أو فقرتان. ولكنها فقرة تمضي مع العمر مصاحبة له، لا تتوقف أبداً. وهي فقرة مع استمرارها تظل تحمل التدبّر والوعي، والمراجعة والتثبيت. ويظل خير القرآن الكريم وبركته ممتدة مع الحياة بإذن الله، في هذه المرحلة الخامسة. والمسلم هنا يتخير بعد ذلك ما يشاء من كتب التفسير والمراجع لينمو زاده ويقوى تدبُّره.

٢ ـ السنّة: ينهي المسلم حتى هذه المرحلة كتاباً في مستوى «التاج الجامع للأُصول»، ينهيه دراسة وتدبّراً حتى يتكون لديه زاد حقيقي من السنة. ثم ينتقل بعد ذلك إلى المرحلة الخامسة ليتخيّر ما يشاء من أُمهات كتب الحديث، من الصحاح، والسنن، والمسانيد، يمضي معها صحبة عمر دون توقف. وبذلك يتكون لديه زاد هام من منهاج الله قرآناً وسنّة، يسمح له أن يمضي على بركة الله في تنمية هذا الزاد ورعايته حتى يلقى الله، لا يترك كتاب الله، ولا يترك سنة رسوله. وتظل المراجعة والإعادة، والحفظ والتثبيت مهمة عمر.

٣ ـ أما اللغة العربية فيجب أن ينتهي من القدر الذي تلين معه اللغة على لسانه، ويسهل عليه فهم النصوص وتقدير بيانها. ثم يتخير من علومها ما يشاء من أدب أو بيان أو قواعد حتى يظل النمو ماضياً، والزاد غنيّاً. وفي هذه المرحلة الخامسة يصبح المسلم أقدر على النظر وحسن الاختيار، وأقوى على التبصّر والاعتبار.

٤ - يكون المسلم في المرحلة الرابعة قد خطا خطوات في دراسة الواقع حسب الفقرات التي سبق عرضها، ينهي منها القدر الذي يستطيع، وتظل أمامه فقرات لابد من متابعتها مع المرحلة الجديدة،المرحلة الخامسة، حتى تظلّ القاعدتان الرئيسيتان ثابتتين في حياة المسلم: المنهاج الرباني والواقع. ويمضي المسلم في دراسة الواقع على قدر وسعه وطاقته. لا يقف حتى يقف به وسعه. ويستفيد المسلم في دراسة الواقع من جميع الوسائل النظيفة المتوافرة: من وسائل الإعلام، الكتب، المؤسسات، البيئة والمجتمع والناس. وتظل نظرة المؤمن نظرة فاحصة واعية، ترد الأمور إلى منهاج الله في حدود وسعه وطاقته، ليفهم الواقع من خلال فهمه لمنهاج الله، من خلال إيمانه وعلمه. ولا ننسى هنا أننا اعتبرنا العلوم التخصصية جزءاً من دراسة الواقع، كلٌّ في إطار تخصُّصه.

٥ - ويمضي المسلم في دراسة فقه الدعوة على قدر وسعه وطاقته. ولكنه في المرحلة الرابعة يكون قد أنهى دراسة جميع الفقرات المتعلقة بمنهاج فقه الدعوة أو معظمها. وتصبح المرحلة الخامسة مرحلة تثبيت وتبيّن، ومراجعة وتدقيق، وتخصص واتجاه.

٦ - يأخذ من العلوم المساعدة ما يشعر أنه مازال بحاجة إليه، أو ما يرغب أن يتعمّق فيه، حتى يكون عطاؤه لدين الله أعمق في تخصص محدَّد أو اتجاه معيَّن. وقد يتوقف فيها عند مستوى محدد.

٧ - وتمتد الممارسة الإيمانية في حياة المؤمن بذلاً وجهداً وعطاءً. ولكنها تكون هنا ممارسة واعية غنيّة لمن شاء الله له الهداية والقوة والثبات. تصبح الممارسة الإيمانية قائمة على أسس منهاج الله، وعلى فهم الواقع فهمًا ناضجاً واعياً من خلال منهاج الله، وعلى أساس من زاد مبارك كريم، ينير له السبيل، ويفتح له الدرب.

هذه المرحلة الخامسة هي مرحلة تثبيت، ومراجعة وتوجيه. تظل في هذه المرحلة مصاحبةُ منهاج الله قائمة غنيّة نديّة، وتظل دراسة الواقع واعية ناضجة، وتمضي الممارسة في نور أقوى وبركة أوسع، بفضل الله ورحمته.

ولابد من أن نذكر هنا أن مهمة المنهاج الذاتيّ أن يكون دليلاً ومعيناً دون أن يلغي دور المسلم نفسه على قدر مناسب. فلابدّ من أن يمارس المسلم قدراً من الاختيار ينمو مع نمو الممارسة والعلم.

في هذه المرحلة الخامسة يكون المسلم أقدر على الاختيار بعد أن نما زاده واتسع أفقه، وتوحّدت قواعد دراسته، والتقت بين المؤمنين الأسس والقواعد، والشعور والتصورات والمبادىء والأفكار.

هنا في هذه المرحلة، وقد ملأت الآيات الكريمة الصدور والأحناء، وملأت الأحاديث الشريفة القلوب والألباب، ووعت النفوس الواقع وعياً يطرد الخدر والسكر، وينفي الغفلة والتيه، هنا يستطيع أن يتناول من علوم الإسلام ما يشاء، فيأخذ منها علمًا أو ثقافة، ويتنقل من روض إلى روض، ومعه دائمًا المشعل الوهّاج، المنهاج الربّاني، لا يفلته ولا يتركه، يختار ما يناسب موهبته ووسعه، وما يعين على تحقيق أهدافه الإيمانية.

هنا تتمايز المواهب والقدرات، وتمضي كل موهبة في دربها، تزرع وتجني وتغرس وتقطف، وتبني وترفع، على بركة الله، وباسم الله، وفي سبيل الله.

المرحلة الخامسة تفتح الأبواب أمام المؤمن الواعي القويّ، وهو يمضي على صراط مستقيم، ونهج جليٍّ قويم، وأهداف مشرقة، وعزيمة مشدودة، ويقين بالله ثابت لا يهتزّ.

إن هذه النفوس يزداد إيمانها ويقينها وهي تمضي على هذا النهج. وكذلك فإنها تمضي على نهج يظلّ خاضعاً للمراجعة والتقويم. فهو يمضي مصاحباً لمنهاج الله، يردُّ الأمور كلها إلى منهاج الله، فإن رأى خطأً أو اعوجاجاً وقف يتدبّر، ويُصلح ويُقوّم، حتى يظلّ على صراط مستقيم.

وبذلك يظلّ المؤمن حاملاً مسئولية هامة، وهو يراجع مسيرته ونهجه، وهو يصحح ويقوِّم. إنه يقوم بهذا الجهد دون أن تتعطل سائر الجهود معه أو من حوله، في أمته ومجتمعه، ومعهده وبيته. ولكنه يتناسق معها كلها، ويتكامل ويترابط. إن جهود الأمة وقواها كلها تتناسق وتترابط، لا يتعطل منها خير أبداً. فالمعاهد، والعلماء، والمؤسسات الإيمانية، كلها تصبّ جهودها في مجرى واحد خيّر، لا تتبعثر الجهود، ولا تتنافر ولا تتبدّد.

في هذه المرحلة الخامسة تستقرّ الخصائصُ التالية:

١ ـ مصاحبةُ منهاج الله قرآنا وسنّة على النحو الذي يلائم الوسع الذي بلغه المسلم، مصاحبة عمر وحياة.

٢ ـ مصاحبة دراسة الواقع في الاتجاه الذي يناسب وسعه واختصاصه.

٣ - مضـيّ الممارسة الإيمانية.

٤ - انتقاء ما يناسب وسعه من المراجع الإسلاميّة في أي باب يرغب المضـيّ فيه.

٥ - ظهور المواهب والوسع، حتى يتحدّد اتجاه وعمل، وبذل وعطاء، ورعاية وتنمية.

هذه الخصائص ممتدة في المراحل السابقة. ولكنها هنا تأخذ صورة من صور الاستقرار، ولوناً من ألوان النضج، وقدرة أوسع على التكيف وبعداً أعمق في التصور.

هذه المرحلة يصبح فيها الزاد أقرب للغنى، فيكون العطاء أقرب إلى الوفرة والجود والإحسان.

فإذا تجمعت أمة الإسلام على صفاء إيمان، وقوة علم، وسلامة بناء، فإنها تستطيع أن تشق طريقها بإذن الله إلى نصر عزيز من عند الله.

٦ - التقدير الزمني للمراحل كلها:

لقـد سبق أن بيّنـا أن تقسيم هذه المـراحـل هو أمر اجتهادي، لكنه يقوم على أسس واضحة، عُرِضَتْ خلال الصفحات السابقة. وكان من بين تلك الأسس أننا افترضنا البداية مع رجل يحتاج إلى دراسة في اللغة العربيّة حتى يستطيع أن يتدبر منهاج الله. وافترضنا كذلك أن وسعه عند البداية لا يسمح بأن يبدأ بأكثر من التلاوة، حتى يعتادها، وحتى تلين الآيات على لسانه. هذه هي النقطة التي نبتدىء منها. ولكن هذه النقطة تختلف أيضاً من رجل إلى رجـل، ومن بيئة إلى بيئة، والدعوة الإسلاميّة تمضـي في الأرض مع الناس كلهم، وفي الأرض كلها، فتجابه طاقات متنوعة، ونماذج متعددة.

والمنهـاج الـذاتي يتألف من عناصر وفقرات وبنود، تملك من المرونة والسعة ما يسمح للمؤمن أن يختار البداية، وأن يضع المراحل، ملتزماً بالنهج الذي رسمناه، والقواعد التي حددناها، حتى يعطي المنهاج الذاتـيّ ثمرته بإذن الله، حين تتوافر النيّة والعزيمة، والجهد والبذل. ومع الأيام تنمو التجربة، وتنضج الخبرة، وتسهل الممارسة إن شاء الله.

وحين نريد أن نضع تقديراً زمنياً لهذه المراحل جميعها، يجب أن نضع في اعتبارنا هذه العوامل كلها، وتفاوت الوسع والطاقة. ولذلك نضع تقديراً اجتهادياً لنماذج نتصور توافرها في واقع الحياة بعدد كبير نسبياً.

إن جميع عناصر المنهاج الذاتي تعمل معاً لخدمة العنصر الأول، العنصر الرئيسي، ألا وهو منهاج الله قرآنا وسنة. ويهدف المنهاج الذاتي كله إلى توفير السبيل لحسن تدبر منهاج الله وحسن تطبيقه في واقع الحياة. إن هذا الهدف يعطي قاعدة أساسية لتحديد الفترات الزمنية.

وقاعدة أخرى نتعلمها من مدرسة النبوّة ـ وقواعدنا كلها نتعلمها من مدرسة النبوّة ـ وهي ما يعرضه لنا حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا تعلمنا من النبيّ ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعلم ما فيه». أخرجه ابن عساكر

فالغاية إذن واضحة. إنها ليست مجرّد «حشو» ولا هي كسب دنيوي ولا طمع في مناصب، ولا رغبة في ملء مجالس. إنها تدبر ينبع من إيمان فيه رغبةٌ ورهبة، وتدبّر يُنمّي الإيمان، ويحدّد السلوك والنهج، ويقوّم العمل والممارسة. إنها إيمان وعلم وعمل. ولذلك لا يكون العلم دفعاً للمعلومات دون وعي وفهم وتدبر. فلابدّ من أن تأخذ الآيات والأحاديث حقها من الفترة الزمنيّة، حتى تصبح في الصدور نوراً، وفي الحياة عملاً ونهجاً.

ونرى كذلك أن القرآن الكريم نزل منجمًا على قلب رسول الله ﷺ خلال عشرين، أو ثلاث وعشرين سنة. وخلال هذه الفترة الزمنيّة درس الصحابة رضوان الله عليهم منهاج الله، وأصبح لهم صحبة عمر وحياة. وأصبح للصحابة منهاجهم الذاتيّ مع كتاب الله، يلتزمه الصحابي عمره كله. فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم تلاوة كتاب الله في أسبوع على منهج محدد لا يفارقه.

قال رسول الله ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل».** رواه الخمسة[1] إلا البخاري

وهكذا نجد مع سائر الصحابة رضي الله عنهم نهجاً محدداً يلازمونه في صحبة كتاب الله عمرهم كله، لا يتركونه. فمنهم من كان يقرأ كتاب الله في أسبوع، ومنهم من كان يقرؤه في أسبوعين، ومنهم في أكثر من ذلك. لقد كانت هذه الصحبة المنهجيّة، بعد أن صاحبوه مصاحبة بداية وتعلم في مدرسة النبوة.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (١٨). حديث رقم (٧٤٧).

من هذه القواعد كلها، ما سبق عرضه وما عرضناه هنا، نحاول أن نضع تقديراً زمنياً للمراحل السابقة إن شاء الله.

المرحلة الأولى: تتفاوت مدتها على أساس من الوسع والطاقة ونضع معدّلاً وسطاً بين سنة إلى ثلاث سنوات. ولنقل الوسط هو «سنتان».

المرحلة الثانية: سنة واحدة.

المرحلة الثالثة: أربع سنوات.

المرحلة الرابعة: عشر سنوات.

المرحلة الخامسة: صحبة العمر.

فتكون مدة المراحل الأربع الأولى بحدود سبعة عشر عاماً.

وخلال هذه المدة الزمنيّة يستطيع الجهد المتوسط أن ينهي من المنهاج الذاتيّ مع كتاب الله معدلاً وسطاً كما يلي:

التلاوة: بحدود ستين مرّة تقريباً، أو تزيد، مع جهد أوسع حتى تبلغ مائة وأربعين مرّة.

الدراسة: دراسة القرآن الكريم مع التفسير وتدبره بين مرة إلى مرّتين.

الحفظ: نصف القرآن الكريم إلى القرآن الكريم كله.

السنة: دراسة كتاب التاج، وسبل السلام، أو ما يعادلها.

اللغة العربية: اتقان النحو والصرف، وقواعد البلاغة، وعلم أو ثقافة في الأدب.

الواقع: دراسة معظم بنود الواقع على منستوى حسن.

العلوم المساعدة: دراسة جيدة في معظمها وخاصة السيرة وحياة الصحابة، والتاريخ الإسلامي.

العمل الصالح والممارسة الأيمانية: تدريب جيد على القواعد المعروضة في المنهاج.

إن العمر يمضي كله حتى يبلغ الإنسان أجله. فما أعدلها من موازنة إذا أعطى شطراً لدينه، حتى يحمل في عمره زاداً عظيمًا، يحمله من خلال حياته دون أن تتعطل حياته أو يفقد شيئاً، ولكن على العكس، تصبح هذه الدراسة، وهذا التدريب بركة في عمله كله: في بيته، ووظيفته، وأصحابه، وأمته، والناس عامة.

وتمضي المرحلة الخامسة صحبة عمر في أفياء الإيمان وأندائه وجناه.

ومع ختـام هذا الفصل نؤكد أن المنهاج الذاتيّ لا يتعارض مع أي دراسة أُخرى منهجيّة، يمضـي بها المؤمن في معهد أو مؤسـسة ولكن كل دراسة تدعم الأخرى وتعينها، ولكل دراسة هدف ومنحى، والمؤمن يوازن ويختار حتى يبلغ الهدف الحقيقي من أي دراسة مشابهة، ألا وهو تدبُّر منهاج الله ـ قرآنا وسنة ـ إيماناً وعلماً وممارسة في واقع الحياة، ممارسة إيمانيّة واعية، تستوعب الوسع والجهد، وتنهض إلى مستوى المسئولية والأمانة.

ونؤكد كذلك أن الممارسة الإيمانية يجب أن تمتد في حياة المؤمن تطرق الميادين التي يفتحها منهاج الله كلها، ميادين ممارسة وبذل وعطاء وجهاد في سبيل الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. (الصف: ١٠، ١١)

الفصل الرابع
مراجع المراحل الأربع الأولى
القائمة المبسطة

إننا لا نعني بقائمة المراجع هذه أنها هي المراجع الوحيدة الصالحة. فإذا اقترحنا للتلاوة مثلاً «الجلالين»، أو المصحف المفسّر، أو مصحف الشروق، أو غيرها من طبعات المصحف الشريف، فلا يعني ذلك أننا نحصر التوصية بما نقترحه، فكل ما يعين على التلاوة بشروطها يمكن أن يعتمده المسلم. وينطبق المبدأ ذاته على سائر المراجع. فكذلك إذا اقترحنا للتفسير «ابن كثير» فلا نعني أنه هو التفسير الوحيد الذي نوصي به. ولكننا نجتهد مع كل مرجع لنضرب مثلاً، ولنحقق الأهداف التالية:

١ ـ أن تكون قائمة مراجع المراحل الأربع الأولى أضيق ما يمكن، تسهيلاً على المسلم، حتى لا يقع هو نفسه في المراحل الأولى من التربية والبناء في حرج الاختيار.

ولذلك نقترح مرجعاً واحداً فقط أو مرجعين أحياناً. لا نعني بذلك تزكية كتاب جيد على كتاب مكافىء له.

٢ ـ أن يخدم المرجع الأهداف المرجوّة من كل عنصر، وفقرة، وبند، ومن كل مرحلة. فمصحف التلاوة يفضل أن يكون على هامشه تفسير للمفردات وأهم المعاني، مما يعين على التدبّر والفهم أثناء التلاوة.

وفي التفسير مثلاً، نؤثر أن يعتمد التفسير قدر الإمكان على الآيات، والأحاديث، والأسباب التاريخية، وأن يقدم بعض الفوائد الفقهية الضرورية واللغوية، مبتعداً قدر الإمكان عن الخلافات التي لا تفيد في هذه المرحلة نقيّاً من «الإسرائيليّات» بعيداً عن كل ما يعارض العقيدة والإيمان.

٣ ـ أن يكون مما جرى العرف على قبوله في تاريخ المسلمين، غير داع لبدعة محرّمة.

٤ ـ أن يكون سهل التناول، متوافراً.

ولابدّ من أن نشير هنا إلى أنّ هذا النّهج المرحلـيّ الذي عرضناه يكشف لنا لوناً من ألوان النقص في المكتبة الإسلامية. فعلى عظمة المكتبة الإسلامية فمازال هنالك نقص لم ينهض المختصون لمعالجته، ويمكن عرض أهم مظاهر النقص بشكل موجز في ما يلي:

١ ـ كتب مرحليّة في التفسير، تحقق أهدافاً إيمانية في كل مرحلة. وبذلك تصبح جهود المختصين في التفسير تصب كلها في نهج موحد مدروس، يعالج متطلبات الناشئة في أجيالها المختلفة، وفئات الأمة وعناصرها. فهذا النهج المرحلـيّ مازال يحتاج إلى جهود منسّقة.

٢ ـ كتب منهجيّة مرحليّة في تقديم أحاديث رسول الله ﷺ، تخضع لخطة ونهج، وتحقق أهدافاً واضحة محددة في كل مرحلة. ولبلوغ ذلك لابد من تحديد النهج والأهداف أولاً. ويمكن الآن أن نحدد جزءاً من النهج والأهداف، على أن ينمو العمل ويتكامل في ظل رعاية مؤمنة قادرة. وأهم ملامح النهج والأهداف يمكن إيجازها بما يلي:

أ ـ تسهيل الدراسة المنظمة لأكبر عدد من أفراد الأمة.

ب ـ تحقيق معنى التناسق والتكامل في أحاديث رسول الله ﷺ، وتناسقها كذلك مع القرآن الكريم، ليكوّنا معاً المنهاج الربّانـيّ المتكامل، الذي يشمل جوانب الحياة كلها وميادينها.

جـ ـ تسهيل التناسق بين جهد الفرد في الأُمة وسائر مؤسساتها وطاقاتها.

د ـ أن تساهم هذه الدراسة المنهجية المرحلية في تحقيق أهداف إيمانيّة ثابتة أو مرحلية.

هـ ـ توفير كتاب واحد يجمع الأحاديث الصحيحة والمعتمدة من كتب الصحاح والسنن والمسانيد، يعتمده المسلم في دراسة الأحاديث في صورتها المتكاملة. وتصبح الصحاح والسنن والمسانيد مراجع رئيسية لكل مسلم.

وإذا كان علماؤنا السابقون قد خدموا السنة خدمات مؤمنة عبقرية، فإن واقعنا اليوم يكشف أنه مازال أمام علماء المسلمين المختصين ميدان واسع ممتدّ إلى يوم القيامة، لخدمة السنّة والأحاديث الشريفة خدمة تتصل مع سابقتها، ليقوم بناء متماسك شاهق بإذن الله، فلكل عصر حاجته التي تتّصل وتقوم على حاجة العصور السابقة دون أن تلغيها.

٣ - كتب منهجيّة في دراسة الواقع، تخضع كذلك إلى منهج علميٍّ إيمانيّ مدروس، يوفّر للمؤمن فهم واقعه وواقع أمته وواقع الإنسان، حتى لا يقع فريسة لفتنة، أو ضحيّة لتكاسل وهوى. ولابد كذلك من توافر النهج الواعي أولاً، ولابدّ من تنسيق الجهود.

٤ - كتب منهجيّة مرحلية تسهل دراسة أسس علوم مصطلح الحديث، وعلوم القرآن وأصول الفقه، حتى يسهل تعميم هذه الأسس على أكبر عدد من أفراد الأمة، دون الدخول في خلافات هي من شأن العلماء المختصين. ولتكون هذه الدراسة سبباً مُعيناً في تنمية مواهب أمة، ومتابعة جهود أجيال، وإقامة بنيان مرصوص.

٥ - كتب منهجيّة مرحلية منقّاة ومدقّقة في التاريخ الإسلامي، لتناسب كل جيل وكل مرحلة. ومع توافر بعض الجهود، فإننا نعتقد أن تاريخ المسلمين مازال يحتاج إلى تنقية وتمحيص، تقوم بذلك كله قلوب مؤمنة عالمة مختصّة. ولابدّ من أن تهدف مثل هذه الكتب والدراسات إلى بعث الطمأنينة المؤمنة لما تحمل من معلومات في بيان أسس الدراسة، ومصدر المعلومات، ونهج التدقيق والتمحيص، وتجنب العصبيات والخلافات.

القائمة المبسطة

لمراجع المراحل الاربع الاولى

أولاً: مراجع دراسة المنهاج الرباني: القرآن الكريم، السنة النبوية، اللغة العربية:

١ ـ القرآن الكريم:

أ ـ التلاوة:

أ ـ ١. تفسير الشروق: ابن صمادح الأندلسي.

أ ـ ٢. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

أ ـ ٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي.

أ ـ ٤. التجويد الميسّر. مع ثلاثة أشرطة: د. عبد العزيز القاري.

ب ـ التفسير والحفظ:

ب ـ ١. تفسير ابن كثير: أو (مختصره لمحمد علي الصابوني).

٢ ـ السنة النبوية:

٢ ـ ١. الأربعين حديث النووية: يحيى بن شرف الدين النووي.

٢ ـ ٢. رياض الصالحين: يحيى بن شرف الدين النووي.

٢ ـ ٣. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ: منصور علي ناصف.

٢ ـ ٤. سبل السلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام): محمد بن اسماعيل الصنعاني ـ (أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني).

٣ ـ اللغة العربية:

أ ـ قواعد اللغة في النحو والصرف:

أ ـ ١. مختصر قواعد اللغة العربية: فؤاد نعمة.

ب ـ علوم البلاغة :

ب ـ ١. البلاغة الواضحة : علي الجارم ومصطفى أمين.

حـ ـ الأدب الإسلامي:

حـ ـ ١.الأدب الإسلامي انسانيته وعالميته : د. عدنان علي رضا النحوي.

حـ ـ ٢.دواوين مختارة للشعراء الإسلاميين.

حـ ـ ٣.قصص مختارة للأدباء الإسلاميين.

ثانياً ـ مراجع دراسة الواقع :

١ ـ أهمية دراسة الواقع :

١ ـ ١.دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية : د. عدنان علي رضا النحوي.

(باب المنهاج الرباني ودراسة الواقع).

٢ ـ دراسة طبيعة الإنسان :

٢ ـ ١.خطوط متقابلة في النفس البشّرية : محمد قطب.

٢ ـ ٢.ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية (الباب السادس والباب السابع والباب الثامن) د. عدنان علي رضا النحوي.

٣ ـ دراسة المجتمع والناس وقواعد التربية الإسلامية :

٣ ـ ١.دروس ونفوس : محمد توفيق سبع.

٣ ـ ٢.دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية : د. عدنان علي رضا النحوي.

٣ ـ ٣.منهج التربية الإسلامية : محمد قطب.

٣ ـ ٤.نحو تربية إسلامية حرة : أبو الحسن الندوي.

٣ ـ ٥.التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة : د. اسحق فرحان.

٤ ـ دراسة بلد إسلامي :

٤ ـ ١.سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية : محمود شاكر.

٥ ـ واقع العالم الإسلامي :

٥ ـ ١.ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي.

٥ ـ ٢ . حصوننا مهددة من داخلها : د. محمد محمد حسين.
٥ ـ ٣.قسمات العالم الإسلامي المعاصر : مصطفى مؤمن.
٥ ـ ٤.جاهلية القرن العشرين : محمد قطب.
٥ ـ ٥.حركات ومذاهب في ميزان الإسلام : فتحي يكن.
٥ ـ ٦.مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب.
٥ ـ ٧.دور المنهاج الربانـيّ في الدعوة الإسلامية : د. عدنان علي رضا النحوي.

٦ ـ الحرب الدائرة على الإسلام :

٦ ـ ١.الغارة على العالم الإسلامي : أ.ل شاتليه. ترجمة محب الدين الخطيب.
٦ ـ ٢.المذاهب المعاصرة : د. عبد الرحمن عميرة.
٦ ـ ٣.أساليب الغزو الفكري : علي أبو جريشه. محمد الزيبق.
٦ ـ ٤.التبشير والاستعمار : د. مصطفى الخالدي. د. عمر فروخ.
٦ ـ ٥.بروتوكولات حكماء صهيون : محمد خليفة التونهي.
٦ ـ ٦.يهود الدونمة : د. محمد عمر.
٦ ـ ٧.جذور البلاء : عبد الله التل.

٧ ـ الحركات المعادية للإسلام :

أ ـ القاديانية :

القاديانية : الندوي ـ المودودي ـ محمد الخفر حسين.

ب ـ البهائية :

حقيقة البابية والبهائية : د. محسن عبدالحميد.

جـ ـ الماسونية :

أسرار الماسونية : جواد رفعت.

د ـ الصهيونية :

خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية : عبدالله التل.

هـ ـ الشيوعية :

المذاهب المعاصرة: د. عبدالرحمن عميرة.

و ـ النصرانية والتبشير:

التبشير والاستعمار: د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ.

ز ـ أديان ومذاهب أخرى:

أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي.

يختار كتب أخرى في هذا الباب.

٨ ـ قضايا العالم الإسلامي:

أ ـ فلسطين:

تاريخ فلسطين القديم: ظفر الإسلام خان.
مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث: د. عبدالعزيز محمد عوض.
أعمدة الحكمة السبعة: لورانس.
مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني
حقائق عن قضية فلسطين: محمد أمين الحسيني.
جذور البلاء: عبد الله التل.
من تاريخ فلسطين: عزة دروزة.
الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: عبد الله التل.
السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين: شاكر رفيق النتشه

بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي

ب ـ لبنان وبلاد الشام عامة:.

الحرب الصليبية العاشرة: د. حلمي محمد القاعود.
حرب الألف سنة: جوناثان رندل.

جـ ـ إيران:

إيران (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية): محمود شاكر.

د ـ أفغانستان :

حدث في أفغانستان : فهمي هويدي .
أفغانستان والاجتياح الروسي : محمود المرداوي .

هـ ـ المسلمون في القارة الهندية وجنوب شرق آسيا :

المسلمون في الهند : أبو الحسن الندوي .
مأساة كشمير المسلمة : إحسان حقي .
الإسلام في أندونسيا : محمد ضيا شهاب وعبدالله بن نوح .
سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية : محمود شاكر.

و ـ البلدان الإسلامية في أفريقيا :

الإسلام في أثيوبيا : زاهر رياض .
نيجيريا عملاق أفريقيا : سامي منصور.
قصة الثورة في السودان : مصطفى بكري .
أفريقيا بين التوحيد والتثليث : محمد أحمد مشهور.
سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية : محمود شاكر.

ز ـ الأقليات الإسلامية :

البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية : د. حسن صالح . د. محمد السيد غلاب . محمود شاكر.

٩ ـ تاريخ الحركات الإسلامية :

أ ـ الوهابية :

آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب : د. أحمد محمد الضبيب .
الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته ودعوته : أحمد بن ظامي بن علي .

ب ـ السنوسية :

الموسوعة الحركية : إشراف فتحي يكن .

جـ ـ المهدية:

الموسوعة الحركية: إشراف فتحي يكن.

د ـ الإخوان المسلمون:

الإخوان المسلمون رؤية من الداخل: محمود عبدالحليم.

هـ ـ حزب التحرير الإسلامي:

الموسوعة الحركية: إشراف فتحي يكن.
الفكر الإسلامي المعاصر: غازي التوبة.

و ـ الحركة الإسلامية في تركيا:

الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا: مصطفى محمد.

ز ـ الجماعة الإسلامية في باكستان.

الموسوعة الحركية: إشراف فتحي يكن.

حـ ـ ندوة العلماء في الهند:

ندوة العلماء تواجه التحدي الكبير: محمد الحسيني سعيد الأعظمي.

ط ـ الحركة الإسلامية في أندونسيا:

حزب ماشومي في أندونيسيا الموسوعة الحركية: بإشراف فتحي يكن.
ي ـ الدعوة الإسلامية العامة.

١٠ ـ السياسة الدولية:

١٠ ـ ١ ـ الأحلاف والتكتلات في السياسة الدولية: د. محمد شكري.
١٠ ـ ٢ ـ القوى الخفيّة التي تحكم العالم: جان مينو.
١٠ ـ ٣ ـ حكومة العالم الخفيّة: شيريب بيريدوفتش.
١٠ ـ ٤ ـ أحجار على رقعة الشطرنج: وليم غاري كار.
١٠ ـ ٥ ـ السياسة والسياسة الدولية: سميح عاطف الزين.

ثالثاً: مراجع دراسة فقه الدعوة:

١ ـ سبل السلام: محمد بن اسماعيل الصنعاني.
٢ ـ النقد الذاتي للحركة الإسلامية: د. خالص جلبي.
٣ ـ نحو حركة إسلامية موحدة: فتحي يكن.
٤ ـ دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية: د. عدنان علي رضا النحوي.
٥ ـ لقاء المؤمنين الجزء الأول والجزء الثاني: د. عدنان علي رضا النحوي.
٦ ـ ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية: د. عدنان علي رضا النحوي.
٧ ـ الشورى لا الديمقراطية: د. عدنان علي رضا النحوي.
٨ ـ منهج المؤمن بين العلم والتطبيق: د. عدنان علي رضا النحوي.

رابعاً: مراجع العلوم المساعدة:

١ ـ السيرة النبوية:

١ ـ ١ ـ سيرة ابن هشام أو: (مختصره ـ عبدالسلام هارون).

٢ ـ حياة الصحابة والتابعين:

٢ ـ ١ ـ صور من حياة الصحابة: د. عبدالرحمن رأفت الباشا.
٢ ـ ٢ ـ حياة الصحابة: الكندهلوي
٢ ـ ٣ ـ صور من حياة التابعين: د. عبدالرحمن رأفت الباشا.

٣ ـ التاريخ الإسلامي:

٣ ـ ١ ـ تاريخ الأمم الإسلامية: محمد الخضري.
٣ ـ ٢ ـ التاريخ الإسلامي: د. حسن ابراهيم حسن.
٣ ـ ٣ ـ سلسلة التاريخ الإسلامي: محمود شاكر.

٤ ـ علوم القرآن:

٤ ـ ١ ـ لمحات في علوم القرآن: د. محمد بن لطفي الصباغ.
٤ ـ ٢ ـ علوم القرآن: مناع القطان.

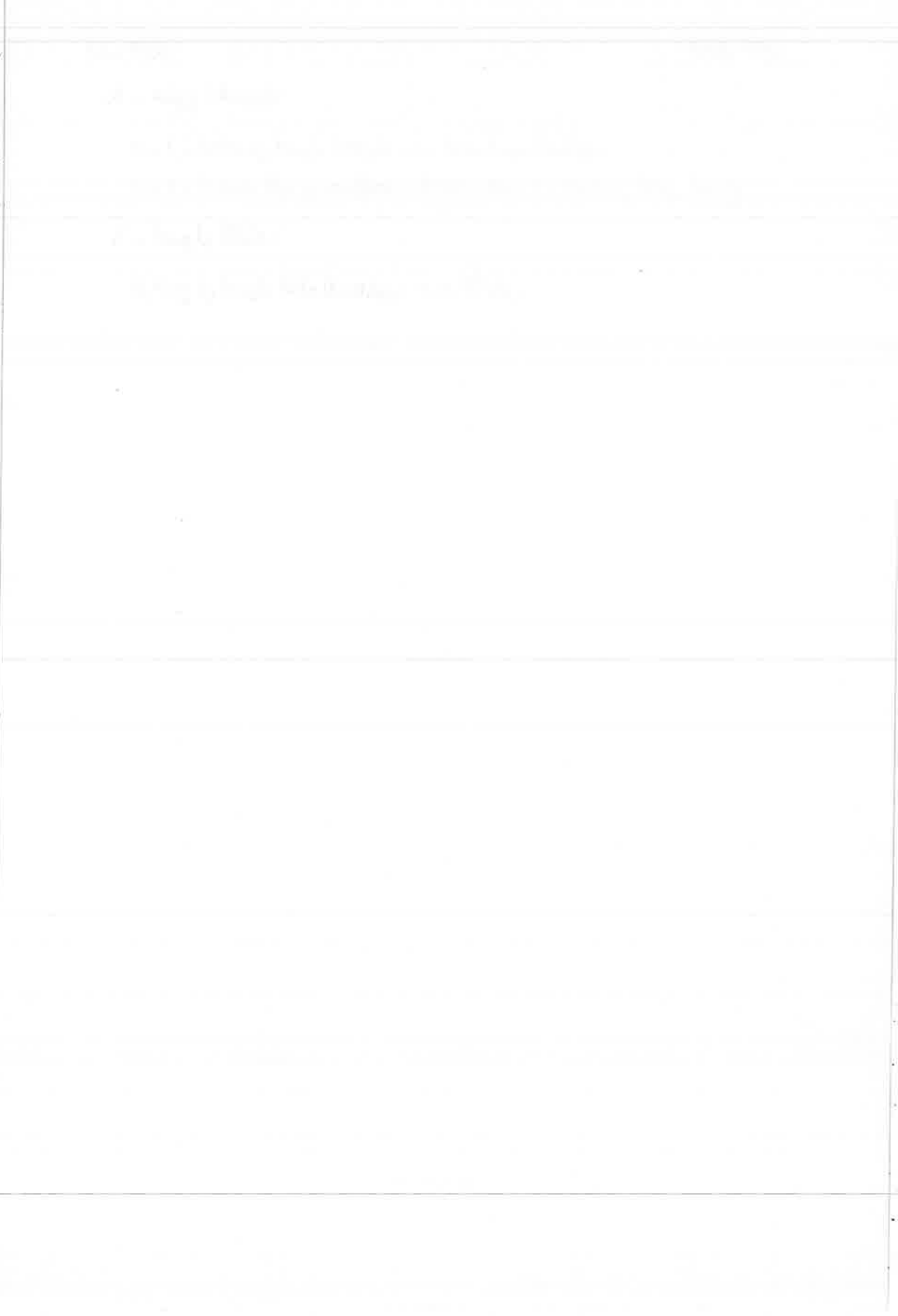
٥ ـ علوم الحديث:

٥ ـ ١ ـ لمحات في أصول الحديث: د. محمد أديب الصالح.

٥ ـ ٢ ـ الحديث النبوي مصطلحه ـ بلاغته ـ كتبه: د. محمد بن لطفي الصباغ.

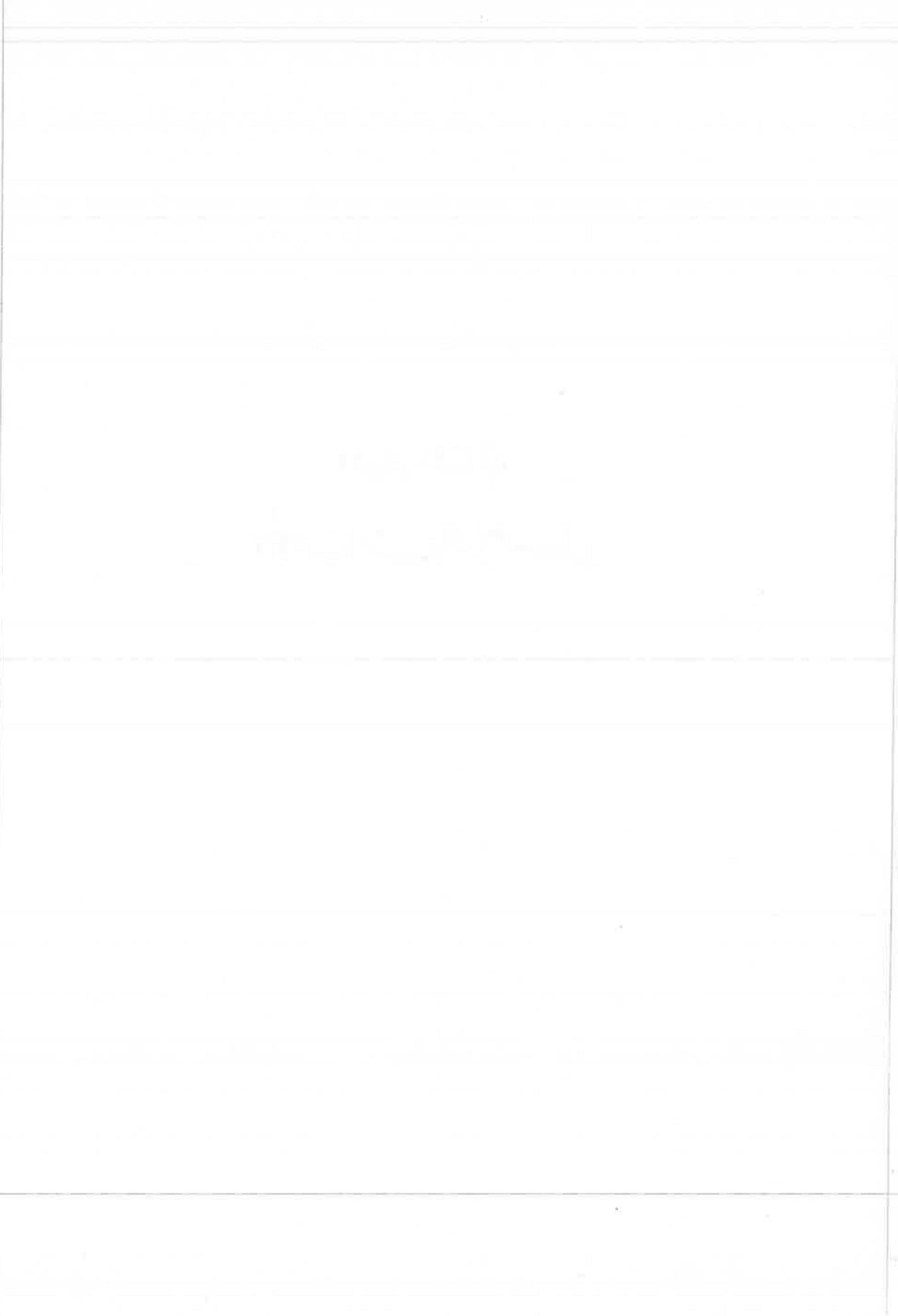
٦ ـ أصول الفقه:

الواضح في أصول الفقه للمبتدئين: محمد الأشقر.



الباب الثاني

الأهداف والمراحل



الفصل الأول

أهداف المنهاج الذاتي والتربية الإيمانية

المنهاج الذاتيّ له أهداف يسعى إلى تحقيقها. ولكن أهدافه لا تخرج عن أهداف التربية والبناء في الإسلام. فالمنهاج الذاتيّ يمثل جزءاً من نظام عام في التربية والبناء، حين يضع المسلم نفسه أمام مسئوليته، لينهض لها، ويفزع إلى ميدان العلم والتربية والبناء، وليحمل قسطاً من واجب، ويؤدي قسطاً من أمانة، دون أن يقعد ينتظر ويلهو، ويتمنى على الله الأماني.

ويهدف المنهاج الفرديّ أو الذاتي إلى غايات محددة نوجزها بما يلي:

١ ـ توحيد أسس التصور والفكر:

وبتحقيق هذا الهدف نغلق منافذ كثيرة يدخل منها الشيطان، ونسدّ أبواباً كثيرة من أبواب الفتنة، حين يصبح منهاج الله هو أساس العقيدة والتصور، والإيمان والتوحيد، والفكر والرأي. ويصبح منهاج الله والواقع هما أساس النهج والتخطيط، والتربية والبناء، والممارسة والبذل.

٢ ـ الاستجابة إلى الله ورسوله:

حين نعود بمصادرنا إلى منابعها الأصلية نحقق معنى من معاني العبادة، وصورة من صور القيام بالأمانة. فإن دراسة منهاج الله نداء من عند الله، وتوجيه من رسوله، ونصوص من قرآن وسنة.

٣ - تيسير العلم والبناء، والتربية والتكوين ومواءمة ظروف المؤمنين المختلفة :

فمن المؤمنين من يقيم في بلد مسلم، ومنهم من يضرب في الأرض طلباً للعلم، فيبلغ أمريكا، أو أوروبا، أو غيرها من بقاع الأرض. ولكن ترحاله هذا لا يُسقط عنه واجبات الإيمان، وتكاليف الدين. فلابدّ من أن يكون مع المؤمن نهج يوائم واقعه، وخطة تناسب وسعه، حتى يمضي في دراسة منهاج الله، دون أن يقعده الهوى والأماني. والمنهاج الذاتي يحقِّقُ ذلك.

٤ - وضع الأسس التربوية للقاء المؤمنين :

ذلك لأن التربية في الإسلام تهدف إلى جمع المؤمنين في صف مرصوص واحد. وهذا الجمع يفرض أن تتناسق أسس البناء، وقواعد التربية، والخطوط العامة للنهج والتخطيط. وهذا ما يُرَكِّز عليه المنهاج الذّاتي.

٥ - تنمية الإيمان :

لابد من أسس عملية تساعد على تغذية الإيمان وتنميته. والإيمان أساساً هو في فطرة الإنسان، والهداية من عند الله. ولكنّ الله سبحانه وتعالى وفّر لعباده ما يحفظ عليهم إيمانهم إذا لم يغلبهم هواهم، ويسَّر لهم ما يزيد هداهم إذا استجابوا لدواعي الإيمان ونداء الرحمن. ومن أهم ما يسَّره الله لعباده، رحمةً بهم، هو منهاج الله - قرآنا وسنة - فمنهاج الله يحفظ الإيمان ويغذيه، لمن أراد الله له الهداية. والعمل الصالح كذلك يجلب الرحمة، ويغذي الإيمان. ولقد سبق تفصيل ذلك في أكثر من موقف.

٦ - العلم وتنميته :

إن المنهاج الفرديّ أو الذاتّي يقدِّم للمسلم بعد الإيمان علمًا. إنه لا يقدِّم «الثقافة» أولاً. ولقد سبق أن تحدثنا عن كلمتي العلم والثقافة وأصبح لكل منهما معنى مميز محدد.

والعلم عرَّفه الإسلام، عرفه منهاج الله. وأساس العلم هو منهاج الله قرآنا وسنّة.

فهدف المنهاج الذاتيّ هو تقديم هذا العلم. إن هذا العلم ضروريٌّ لتغذية الإيمان وقواعده، ووضوح العقيدة والتوحيد من ناحية، ولاستقامة العمل الصالح وسلامته من

ناحية أخرى. ويدخل في باب العلم ما يحتاجه المسلم لدراسة الواقع دراسة من خلال منهاج الله، لا تظل قيد الظنون والتخمين.

ولقد سبق أن فصلنا في هذا في أكثر من موضع مما يُغني عن الإعادة هنا. ولكننا نشير هنا إلى هدف وغاية.

٧ - رعاية القدرات والمواهب:

لن تخلو أمةُ الإسلام من مواهبها. والمنهاج الذاتيّ يرعى المواهب وينميها، على نفس الأسس التي تقوم عليها رعاية التربية والبناء في الإسلام. فإذا مضت المراحل كلها على نهج واع، فإن المواهب تكون قد أخذت بالبروز أو تكون قد برزت وتميزت، وأصبح من حق هذه المواهب على الأمة كلها أن تنال ما تحتاج إليه وما تستحقه من الرعاية والبناء وإن المواهب هي ثروة الأمة الحقيقية، ومصدر قوتها، ونبع عطائها. وإن الأعداء يبلغون من الأمة مقتلاً حين يقتلون مواهبها، أو حين يدفنونها أو يخنقونها. ولكنّ الحسرة تكون أشد، والدمعة أغزر حين يطوي بعض المسلمين المواهب، ويخنقون القدرات، ويضيقون الوسع. إن مواهب الأمة باب من أبواب الأمل، ومنفذ من منافذ الرجاء، ولكنها مهما عظمت فلن تكون كذلك إلا إذا رعاها الإسلام، ونماها الإسلام، ورواها الإسلام. وبدون ذلك قد تنقلب الموهبة إلى فتنة وشر، وداهية وبلاء.

الموهبة هبة من الله. فهي نعمة أو ابتلاء وفتنة. هي نعمة حين تمضي في طاعة الله، قوة لدينه وإعلاءً لكلمته. وهي فتنة إذا ضلت فتاهت، فتبددت في ظلام شديد.

والموهبة لا يجلوها إلا الإيمان، ولا يرعاها إلا الإسلام. فهي في فطرة الإنسان، يضعها الله في من يشاء من عباده. والإيمان في فطرة كل إنسان، والإسلام دين الفطرة، والإنسان يولد على الفطرة. فالفطرة هي بستان الموهبة وروضها، والإيمان هو ريُّها وغذاؤها.

رجل ذكيّ متوقد التفكير في مقاييس الناس، يضع طاقته تلك في تدبير مكر، وتدوير فساد، ودفع جريمة، ونهب وغصب وقتل. فهي طاقة مبددة في شر، مضيّعة في فتنة. ورجل ذكيّ الفؤاد، متوقد التفكير في مقاييس الناس، يضع موهبته في تدبير إصلاح، وإتمام صلح، ومنع جريمة، وصدق وإحسان، وجلب نصر لأمته، ونشر كلمة حق. يجول في ميدان سلاح أو ميدان كلمة، أو ميدان فكر، فهو حيثما جال صدق واتقى، وأبدع وأحسن. فهذه هي الموهبة، أما تلك فشرٌّ وفتنة وفساد.

الموهبة غرسة إسلام ونبتة إيمان، وعطاء يقين ودفق إحسان، وقوّة كريم ووثبة وفيّ. وفي كل حال هي أولاً وقبل كل شيء هبة من عند الله.

وقد تظهر الموهبة قبل هذه المرحلة، ذلك أن الموهبة موجودة في فطرة صاحبها، تبحث عن منفذ وانطلاق. والموهبة تجاهد حتى تحمي نفسها، وتشق طريقها. ولا تموت الموهبة حتى يموت صاحبها، ولكنها تهدأ وتكمن، وتخبو وتنزوي، تحت مطارق الظلم والعدوان، والقسوة والحرمان. ما أشقى الأمة التي تدفن مواهبها تحت ركام الحسد والتناجش، والحقد والتباغض، والفتنة والإجرام.

٨ ـ التدريب من خلال العلم والممارسة:

لا نهدف من المنهاج الذاتيّ إلى مجرّد الدراسة أو الثقافة، أو حتى مجرد العلم. إن الذي نهدف إليه، كما يتضح من مراحل المنهاج الذاتيّ، ومن ترتيب عناصره، ومن شرح نظريته، هو الانتقال بالمسلم إلى مرحلة الممارسة الواعية والتطبيق الأمين.

قد يجد المسلم، حين ينال قسطاً من التدريب، يسراً في دراسة منهاج الله وتدبره. فقد يسّره الله سبحانه وتعالى للذكر. فهو ميسَّر بإذن الله على قلوب المؤمنين، ويزداد اليسر مع نمو الإيمان وزيادته. ولكن الممارسة قد يجد فيها المسلم بعض الصعوبة، لأنها تحتاج بطبيعة الحالة إلى معاناة أشد. والدراسة نفسها باب من أبواب الممارسة الإيمانيّة، وباب من أبواب الذكر. ونوضح ما نرمي إليه بمثل. فعندما يقرأ المسلم قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.
(البقرة: ٢٦١).

عندما يقرأ المسلم هذه الآية الكريمة يفهمها، ويفهمها كل المسلمين الذين يعرفون العربية. وإن وجدوا معاناة فإنها لن تكون بقدر المعاناة التي يجدها بعض الناس في ممارسة هذه الآية. وتتعدّد أسباب المعاناة في الممارسة في واقع الحياة. فهناك معاناة ناتجة عن طبيعة الشحّ:

﴿ . . . وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ . . . ﴾. (النساء: ١٢٨).

وهنـاك معاناة في معرفة كيفيّة الإنفاق، لمن، ومن هو أولى، ومتى، وكيف؟ كل هذه الأمور تُنشىء معاناة أشد من معاناة الفهم والدراسة.

وتزداد المعاناة حين تتطلب الممارسة بذلاً أوسع يبلغ حد الجود في النفس في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾. (التوبة: ١١١).

فهنا تبلغ المعاناة ذروتها في ممارسة الجهاد، لا يهوّنها إلا إيمان عظيم، ويقين بالله كبير، وفرحة بالجنة، وبشرى بلقاء الله.

نخلص من هذا كله إلى أن حقيقة الذي نهدف إليه هو ممارسة إيمانيّة، تقوم على علم بمنهاج الله وعلم بالواقع. هذه الممارسة الإيمانيّة هي التي نفهمها من كلمة «العمل الصالح، عملوا الصالحات...» في كتاب الله. فالعمل الصالح يتطلب شرطين:

إخلاص النيّة لله سبحانه وتعالى، وهذه تتطلب نموّ الإيمان وصفاءه ثـمّ مطابقة العمل لمنهاج الله، وهذه تتطلب العلم بمنهاج الله ونموه.

والإيمان يدعو إلى العلم بمنهاج الله، والعلم بمنهاج الله يغذي الإيمان وينميه لمن أراد الله له الهداية والنجاة:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾. (محمد: ١٧)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾. (يونس: ٩).

من هنا كانت أهمية التدريب على سلامة الممارسة الإيمانية. إن أهمية التدريب تفرض أن يكون التدريب جزءاً لا ينفصل عن قواعد التربية والبناء، والإعداد والتوجيه.

إننـا لا نتحدث هنا عن تفاصيل التدريب، ولكننا نشير إلى نقاط سريعة. فالتدريب يتطلب أولاً القدوة والمثل، ثم يتطلب المراقبة والإشراف، ثم يتطلب المعالجة والتوجيه. ولقد كان هذا كله سمة بارزة في مدرسة النبوة يقوم عليها التدريب. لقد كان التدريب منهجياً يقوم على قواعد وأسس، ويفي بمتطلبات الواقع، وطبيعة الإنسان، واختلاف الوسع والطاقة.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وعلم آدم الأسماء كلها، وجعل في طبيعة بني آدم القدرة على التعلم والتدريب. إن أهون الأعمال وأشقها في حياة الإنسان يحتاج إلى أن يتدرب الإنسان عليه. ويتفاوت الناس في قدرتهم على التعلم وفي قدرتهم على التدرّب.

فلقد علّم الرسول ﷺ المسلمين قواعد الإسلام نُصوصاً تُتْلى، وعملاً يؤدِّيه أمامهم ليقتدوا به، ومراقبة وإشرافاً، وتوجيهاً ومعالجة. لقد علم المسلمين قواعد الحج، ثمّ قال لهم في الحج: « **لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه** ».
رواه مسلم[1] والنسائي

فكان القدوة والمثل. ثم أشرف وراقب، وأجاب، ووجّه، وعالج ونصح، وسدّد وقوّم.

وعن أبي عبدالرحمن السلمي قال: «**حَدَّثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأُخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا فعلمنا العلم والعمل**». أخرجه أحمد[2].

إنه علم وعمل، وقاعدة وتطبيق، وقدوة ومثل، وإشراف وتوجيه، ونصح ومعالجة.

وفي الحديث الشريف عن المسيء في صلاته مثل واضح على أُسلوب التدريب هذا، حيث يكون التوجيه والمعالجة، والشرح والأناة، والقدوة والعمل.

وكان التدريب في مدرسة النبوة يشمل جميع ميادين الحياة دون استثناء. الرمي وسائر أبواب الفروسية، وركوب الخيل وأبواب القتال، والتجارة وسائر أبواب السعي، والسياسة، والاجتماع، والذوق الاجتماعي، وغير ذلك.

ومن خصائص التدريب المراقبة والإشراف والنظر والمحاسبة والنصح والتذكير. والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى في السموات والأرض، يخاطب نبيه ورسوله محمدا ﷺ في كتابه العزيز:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج (١٥). باب إستحباب رمي جمرة العقبة.... (٥١) حديث رقم (١٢٩٧).

(٢) الفتح الرباني: كتاب فضائل القرآن وتفسيره وأسباب نزوله (٥٥). باب ماجاء في قراءة القرآن بأجر... جـ (١٨) ص (٩).

شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾. (يونس: ٦١)

فهذه هي رأس المراقبة وأعلاها. فالله سبحانه وتعالى هو الرقيب على رسوله وعلى عباده جميعهم. وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بأن يُراقبوا أنفسهم وينظروا ما قدّموا لغد:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾. (الحشر: ١٨)

ويمضي التوجيه الربّاني حين يأمر الله سبحانه وتعالى عبده ونبّيه محمداً ﷺ بأن يصبر نفسه مع المؤمنين، وبأن لا تغيب عيناه عنهم، ولا يترك نصحهم وتبليغهم، وتدريبهم ومراقبتهم، من أجل زينة من الدنيا:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾. (الكهف: ٢٨)

والمراقبة ليست مراقبة جبار، ولا مراقبة إيذاء: ولكنها مراقبة بناء وتوجيه، ونصح وتذكير:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. (الذاريات: ٥٥)

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾. (ق: ٤٥)

إنه تذكير بالقرآن الكريم، ليس بسواه، إنه تذكير بمنهاج الله، لتلين القلوب وتخشع.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ. إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ. فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾. (الغاشية: ٢١ - ٢٤).

ولقد مرّ معنا في أكثر من موضع حديث أبي رقية تميم بن أوس الداريّ عن النبيّ ﷺ عن النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وتمضي المراقبة والتذكير في حياة الأمة المسلمة على امتدادها العظيم الذي رأيناه، امتداداً يحمل الخشية من الله والخشوع له، وهو يراقب كل حركة من عباده وخلقه، وهو يرى عبده ورسوله. وكذلك تحمل النصح والتوجيه والبناء والرعاية من الرسول ﷺ، وتحمل الحنان

والتربية، والجمع والإعداد. ثم إذا هي نصيحة عامة بين المسلمين، وصدق وإخلاص، وعلم وفطنة، ودراية وخبرة.

ويمتد التذكير والمراقبة حتى يراقب المؤمن نفسه، مراقبة متصلة مع كل ما سبق، مراقبة محاسبة:

عن شداد بن أوس عن النبيّ ﷺ قال: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

رواه الترمذي وقال حديث حسن[1] وابن ماجه

ويُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخفّ الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا**».

رواه الترمذي[2]

ويُروى عن ميمون بن مهران قال: «**لا يكون العبد تقيًا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه**». رواه الترمذي[3]

وهكذا نرى امتداد المحاسبة والمراقبة، والتذكير والنصح في حياة الأُمة المسلمة، ونرى تناسق وترابط قواعدها فيما بينها، وفيما بينها وبين غيرها من قواعد الإيمان.

٩ ـ حماية الروابط الإيمانية وتنميتها :

إن عناصر المنهاج الذاتي تقدّم مع العلم الذي تحمله حماية لروابط الإيمان، وتغذية لها.

إن روابط الإيمان تنبع من عقيدة، وترتبط بتوحيد، وتمتد في نهج.

إن روابط الإيمان هي الروابط الحقيقيّة الوحيدة النابعة من احترام واع لإنسانيّة البشر، ولأصلهم الواحد. إن الروابط بين الناس في عقائد أُخرى تقوم على شطط أو ضيق، وعلى مصالح تتسع أو تضيق، وعلى شهوات ورغبات. أما في الإسلام فإنها تنشأ من حقائق وعقيدة وإيمان:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾. (الحجرات: ١٣).

(١، ٢، ٣) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة (٣٨) باب (٢٥) حديث رقم (٢٤٥٩).

وكان مما خطب به رسول الله ﷺ الناس في حجة الوداع أنه قال: «**أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد. لافضل لعربيّ على أعجمي ولا لعجمي على عربيّ، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، أبلغت؟**». رواه الإمام أحمد[1].

وتقوم روابط الإيمان على أسس نوجزها بما يلي:

أ ـ الناس كلهم من آدم وخُلِقَتْ منه زوجه، وخُلِقَتْ منهما ذريتهما. وآدم من تراب.

ب ـ كان الناس أمة واحدة. ثم اختلفوا. لذلك بعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين. وجعل الله الناس شعوباً وقبائل لتتعارف، فيكون ميزان التكريم هو التقوى وحدها.

جـ ـ أصبح المؤمنون في الأرض أمّة واحدة من دون الناس، بعضهم أولياء بعض، تربطهم أخوة الإيمان.

د ـ الأسرة نواة الأمّة. وتحددت العلاقات بين أعضاء الأسرة بالتفصيل في منهاج الله، وتحددت الواجبات والمسئوليات.

هـ ـ رابطة الجوار في المجتمع المؤمن، هي رابطة إيمان، تنشأ عنها حقوق وواجبات، وكذلك الصحبة المؤمنة في السفر والعمل وسائر ميادين الحياة.

و ـ الأرحام رابطة إيمانية، جعلها الله في منزلتها الكريمة.

ز ـ إنّ جميع هذه الروابط يقوّي بعضها بعضاً، على تناسق وتكامل، دون أن يتحوّل شيء منها إلى عصبيّةٍ جاهلية.

حـ ـ لا تتحقّق تنمية هذه الروابط الإيمانيّة، وحمايتها إلا على أساس من صدق الإيمان وصدق العلم، وصدق العزيمة. كما عرضنا سابقاً.

لقد استعرضنا هذه الأهداف أو بعضاً منها في كتابنا دور المنهاج الربّاني في الدعوة الإسلامية: الباب الرابع ـ الفصل الثاني. لقد عرضناها هناك لنبرز دور المنهاج الرباني في تحديد النهج كله، القواعد والأسس، والأهداف والمدى، وغير ذلك. لقد كانت الغاية هناك إبراز دور المنهاج ذاته. إننا هنا نعيد العرض لنبرز الأهداف ذاتها في مسيرة الدعوة. والهدف والغاية هنا هو التركيز على أهمية هذه الأهداف، لتنهض الطاقات المؤمنة العاملة المدرّبة. فتضع الدراسات المنهجيّة المفصّلة، ليظلّ العمل نامياً متطوراً، غنيّا قويّا. فإذا

(١) الفتح الربانّي: كتاب الحج والعمرة (١٠) باب الخطبة اوسط أيام التشريق (٤) جـ ١٢ ص ٢٢٦.

تخلّفت الدعوة عن ذلك، فالعجز في طاقتها البشّرية، في إيمانها، في علمها، في وعيها، فيها نفسها، ليس في غيرها. فلاتلمْ إلا نفسها، حتى تؤوب وتستقيم.

١٠ ـ المساهمة في بناء الأُمة:

إن بناء المسلمين في صف مرصوص على هذه الروابط، في لقاء واحد، هو لقاء المؤمنين، يحمل الخصائص الإيمانيّة، كما يعرضها منهاج الله، لتقوم منها في الأَرض أُمة الإسلام، أُمّة واحدة، تعبد رباً واحداً.

إنَّ هذا البناء هو ميدان واسع للموهبة المؤمنة، لتمارس إيمانها وعقيدتها، في تحقيق هذه الروابط، وتنسيق هذه القوى، في مجرى واحد من الخير والنّور. إننا نحتاج هنا إلى خصائص الإدارة، النامية المتطوّرة على أُساس منهاج الله، لتصح مسيرة اللقاء، وتكون أُمّة الإسلام أُمّة واحدة، تعبد رباً واحداً.

من أَجل هذا البناء، يجب التنزّه من العصبيّات الجاهليّة، المغلّفة بشعارات مُحبّبة للنُّفوس، مدغدغة للعواطف، تجمع النَّاس إلى حين، ثم يتفرّقون هوًى وجهلاً. إن الإيمان الصافي، النقيّ الطاهر، والعلم المتمكّن، والموهبة النامية، تستطيع أَن تفعل الكثير في أَقسى الظروف. وإن الضربة قد توجّه للمسلمين من خلال: إيمان ضعيف، أَو علم خفيف، أَو جهل، أَو هوى، أَو أَن تكون القدرات في غير موضعها. فيعجز الرجل عن أَمانته، ويبرّر عجزه بإخفاء ضعفه، واتهام غيره. فيؤذي نفسه، ويؤذي المسلمين، جارياً وراء هواه، يحمل أَثقال الجهل، والأَنانيّة، والمصالح الشخصية. فيحطم دعوة، ويفجّر فتنة، ويمزّق قوى، ويدمّر أُمّة.

إن جمع القوى على ضلال وفتنة، قد يكون أَخطر من تفرّق القوى المسلمة المضطربة. إن الصفاء والطهارة، والوضوح، والصدق والأَمانة، وسائر ماسبق أَن عرضناه، شرط أَساسي لبركة اللقاء وخير الجمع. إن لقاء المؤمنين هو لقاء صدق مع صدق، وطهر مع طهر، وعلم مع علم، وإيمان مع إيمان، وجلاء مع جلاء.... وقوّة مع قوة.

١١ ـ الإدارة والنظام، والنهج والتخطيط:

إنّ من أَهداف التربية الإيمانيّة، إعداد الموهبة الإدارية، والطاقة المنظّمة، والقدرة المنسِّقة. إنّ من أَبرز ميادين التنافس في حياة الأُمم، في التاريخ الطويل، هو التنظيم. إنّ

التنظيم ذاته، ثمّ نموّه وتطوره، كان مجال جهد بشريّ عظيم، في مختلف ميادين الحياة. فالنظام ليس قاعدة عسكرية لا تصلح إلا في الجيش الذي يقف جنوده صفاً مرصوصاً، وحركة متناسقة وأوقاتاً محددة، وعملاً معيناً، لا. . ! إن النظام وممارسته ضرورة أساسيّة لحياة الإنسان. وهي ضرورة في كل ميدان من ميادين نشاطه. ومن هنا كانت الإدارة والتنظيم هدفاً بارزاً من أهداف التربية الإيمانية. وتتضح لنا الصور العظيمة لنظرة الإسلام في التنظيم في العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج. فكل واحدة من هذه العبادات، تجمع الأُمّة على نظام مقرّر، وقواعد محكمة. وفي الناحية العسكرية تجد القرآن الكريم يصف المؤمنين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾ ولقد نظم الإسلام في قواعده العامّة، كلّ نواحي حياة الفرد والأمة. نظّم طعامه وشرابه ولباسه، ونظم مأواه وسكنه، ونظم أسرته، ونظم العلاقات بين أفراد الأُسرة الواحدة، ونظم علاقة الجوار وأدب السير والتحية، وإعطاء الطريق حقّه مما لا نستطيع أن نتابعه هنا، ولكن التنظيم امتد بقواعده العامّة حتى شمل كلّ حياة الأُمّة، من أدقّ شئونها، إلى أعظم أُمورها. ثم تُرك للمؤمنين، بعد ذلك، مهمّة تنمية ممارسة النظام على أساس الواقع النامي، والحاجة المتجدّدة.

واليوم، ننظر في واقعنا، فنرى أن روح النظام تكاد تختفي، وأنّ مهمة الإنسان المؤمن كأنّها جمدتْ أو توقّفت عن متابعة النموّ والاستجابة لحاجات الواقع المتجدّدة. إن الإنسان ليعجب حين يرى المؤمنين صفوفاً مرصوصة في المساجد على نظام محدّد، وحين يراهم يصومون أُمّة واحدة على قواعد ثابتة، ويحجون ملايين على مناسك متتابعة، ومع ذلك كله اضطرب النظام في البيت والشارع، وهنا وهناك. وفي نفس الوقت، نرى في ديار الغرب والشرق نظاماً ملحوظاً في معظم شئونهم الدنيويّة. إذا نزلت المطار، أو جئت عبر الحدود، أو راجعت دائرة أو شركة، أو فندقاً أو متنزها، تجد في معظم الأحيان نظاماً يتبعه الطفل والفتى والشيخ. إنهم يُدَرَّبون على ذلك كله منذ طفولتهم، كما يُدَرَّبون على الانحلال والفساد. يُدَرَّبون منذ نعومة أظفارهم على هذا وذاك، وتتعهدهم وسائل المجتمع كلها في ذلك كله: البيت، المدرسة، وسائر المعاهد العلميّة، ووسائل الإعلام.

إننا اليوم بحاجة إلى النظام، إلى سلامة الإدارة في كل شئون حياتنا، حتى يستبدل الموظف في دائرته بسمة مشرقة بعبوسه المكفهر، حتى يتذكر حديث رسول الله ﷺ: **عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك**

بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة». رواه الترمذي[1]

إننا بحاجة إلى النظام حتى تصبح الآيات والأحاديث ممارسة إيمانية وعملاً صالحاً، يدفع النظام بركتها وإشراقها في حياة الأمة، على جدٍّ وعزيمة. إننا بحاجة ماسة إلى خير الإدارة المؤمنة الواعية، والنظام الإيمانيّ العادل، يقوم هذا كله على الإيمان والمنهاج الرباني: نموّاً وتطوراً، وبشرى وتيسيراً، وعزة وفرحة، وقوة وتمكيناً.

ونحن بحاجة إلى دفع عجلة النظام والإدارة في حياتنا، بكلّ ما نستطيع من جهد، في معركتنا الدائرة في أرض الإسلام، والتي لا تكاد تهدأ. إننا نسابق الزمن، إننا بحاجة إلى أن نكسب كلّ ثانية، لنحقّق دُنوًّا أسرع إلى السلامة والنّجاة، ثم النصر والعزّة. إنّ النظام يختصر لنا الوقت، ويقصّر الدرب، ويقرّب الهدف. إنّ ما ننتجه في شهر بدون نظام نستطيع أن ننتجه بأيّام مع حسن الإدارة ودقة النظام.

إننا بحاجة إلى أن نستفيد من كلّ جهد وطاقة مثمرة. والنظام يجمع الجهد، وينسّق الخطا، لتشقّ درباً واحداً يرسمه الإيمان، دون أن تتبعثر في تيه وظلام، ثم تطوى لا تترك أثراً ولا ثمراً.

إن التربية الإيمانية تقوم على الإيمان والعلم، كما عرضنا سابقاً، وعلى سائر الأهداف التي عددناها. فإذا لم يحقق الإيمان والعلم في نفوسنا حبّ النّظام والتعاون، فهناك خلل في أنفسنا نحن، وليس في ما تعلمناه فلنراجع أنفسنا، ولنحاسبها. والمحاسبة من أول أبواب الإيمان والعهد مع الله، والجهد والجهاد في سبيل الله.

إن الإسلام، منهاج ربّانّي، دين الرسل والأنبياء كلهم، يحمل معه الدعوة إلى مكارم الأخلاق: من صدق، وعدم غيبة أو نميمة أو سوء ظنّ، وتجرد وصدق نيّة، والبعد عن الحسد والتناجش والظلم والافتراء، . . . . إلى غير ذلك مما أرسى قواعده الإسلام من مكارم الأخلاق. وإنَّ مكارم الأخلاق نفسها قاعدة عظيمة من قواعد النظام المتماسك والإدارة السليمة والتعاون المنسّق.

---

(١) سنن الترمذي. كتاب البر والصلة (٢٨). باب ما جاء في صنائع المعروف (٣٦). حديث رقم (١٩٥٦).

إنّ الإدارة والنظام أساس من أُسس الشورى، أساس يحفظ حسن ممارستها، وسلامة نتائجها. فمن النظام أن يعرف المؤمن حدوده، وميدان ما يعنيه، ومستوى قدرته، ومنازل الناس، حتى يستطيع أن يدلي برأي، أو يقدم نصيحة.

التربية الإيمانيّة عمل عظيم في حياة الإنسان، وتظلّ أهدافه العظيمة النظيفة تتجدّد في حياة الأُمة العاملة، الأُمة المؤمنة، الأُمة المجاهدة. والمنهاج الذاتيّ هو جزء من التربية الإيمانية، يساهم في تحقيق أهدافها.

التربية الإيمانية، بهذه الأهداف المتجددة، تقود لقاء المؤمنين، إلى منارة مشرقة، وهدف من الأهداف الثابتة التي سبق عرضها، على طريق ممتد إلى الهدف الأكبر. . . . الجنّة. والمنهاج الذاتي يهدف إلى ذلك ويساهم في تحقيقه.

إن التربية الإيمانيّة بكل وسائلها ومناهجها، حين تنضم إليها الدعوة بكل وسائلها ومناهجها، تدفع لقاء المؤمنين، لتصوغ له الجيل المؤمن، والطاقة المؤمنة، والموهبة المؤمنة، بكلّ خصائصها الربّانيّة فإن تحقّقتْ هذه الخصائص فذاك، وإن لم تتحقق فلننظر في أنفسنا لعلّ الهزيمة كانت من أننا أصبنا من الكذب، والظلم والافتراء، والغش والخديعة، وقطع الروابط والصلات الإيمانية، ونبذ العهود والركون إلى جهل طاغ، وظلم باغ، وتنافس الدنيا، وفتنة الظن والغيبة والنميمة، وموالاة عدو ونبذ صديق. فلننظر في أنفسنا وكم أطعنا الله وكم عصيناه دون أن تخدعنا المظاهر، مهما حملت من زخرف، أو تفتننا الأهواء مهما حملت من شهوة.

إن الله حق، عادل، حكيم، خبير، يعلم ما تخفي الصدور. ومن ظن أنه يخدع الله فإنما هو يخدع نفسه. والعاقبة للمتقين، والعزّة لهذا الدين.

١٢ ـ بناء الرأي العام المؤمن :

إن الرأي العام هو خلاصة لبنات يتكون منها المجتمع والأُمة. إنه القوة التي تحمي الأُمة وعقيدتها وأرضها وثرواتها. إن الرأي العام ينتج عن حركة من هذا المسلم وذاك.

الأُمة هي لقاء المؤمنين في حمى عقيدة ودين. ومن هذا اللقاء تتكون قواعد وحصون، وأُسس وقلاع، كلها تقوم على أساس من العقيدة. والأُمة كلها، أفراداً وجماعة، يستندون على هذه الأُسس، ويحتمون في هذه القلاع. ولقاء المؤمن بالمؤمن تظلله الملائكة ويباركه الله

وتحميه جنود الرحمن. فلقاء المؤمنين الصادقين هو حاجة الإنسان أينما كان. وهو حاجة العصور ومطلب الكبير والصغير. إنه رحمة الله بعباده، حين يتصل هذا اللقاء بحقيقة الحياة نوراً للناس، وصدقاً للبشرية.

إن لقاء المؤمنين لا يمضي معزولاً عن الحياة، منقطعاً عن الناس. فالناس منه، وهو منهم. والرأي العام جزء من كيانه، وجمعه، وإعلامه، وقوته. ولكنّ لقاء المؤمنين ينهض ليبني الرأي العام المؤمن، بكلمته الصادقة ورأيه الأمين، ومواقفه الواضحة، ونهجه المشرق، وسلوكه الذي يطابق ما يدعو إليه. ثمّ يساهم الإعلام المؤمن في توجيه الرأي العام، ليظل في جوّه المشرق، الواضح الجليّ. ليظلّ بعيداً عن زوايا العناكب، وهمسة الظلام.

«الرأي العام المؤمن» هدف من أهداف لقاء المؤمنين. إنَّ بذل الجهد لبنائه واجب وأمانة، وضرورة وحاجة. ذلك حتى نغلق أبواب التجار المفلسين، والمخادعين المضلّين، ونطوي الإشاعة الكاذبة فتدفن في أرضها وتجلو الحق بنور اليقين.

«الرأي العام المؤمن» لا تعيش فيه الظنون والأوهام، ولا هو يعيش معها. إنّه يبحث عن الحقّ في وضح النهار. إنه «رأي عام» لا تعيش فيه الغيبة والنميمة، والافتراء والظلم، والكذب والغش. إن جميع ما يحمله الإسلام من بركة في أساليب الدعوة ومناهجها، ووسائلها وعدتها، وكذلك ما يحمله من نور في أهداف التربية والبناء، هذا كله ـ يهدف بصورة أو بأخرى إلى أن يصوغ الرأي العام النظيف، الرأي العام المؤمن.

إن قصة حديث الإفك تبرز لنا بقوة عظمة البناء الذي بناه الرسول ﷺ، حين ثبت المؤمنون في نور واطمئنان ويقين، إلاّ النفر القليل، أمام إشاعة وفتنة، وظلم وعدوان. ولقد عرضنا ذلك في كتابنا «**ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية**». وتبرز لنا هذه القصة أهميّة الرأي العام، وخطورة تضليله وخداعه، ووسائل بنائه وحمايته.

إنَّ صياغة الرأي العام هي مسئولية لقاء المؤمنين. إنها مهمة العقيدة والإيمان والمنهاج الربانّي الذي يَمْلأ القلوب والصدور علمًا ونوراً، المنهاج الربّانّي الذي لا ينحصر في طبقة أو فئة، المنهاج الربّاني الذي يحكم أمّة، ويصوغ أمّة، ويصنع الرأي العام المؤمن. ثم إنها مهمّة الكلمة الصادقة، والموقف الصادق، والجهاد الصادق، والجنود الصادقين، والنهج الصادق. ثم إنها مهمة الوسائل والعدّة التي تقودها الطاقات المؤمنة، وتوجّهها الموهبة العاملة. ثم إنّها ثمرة الجهد والبذل، والسعي والعمل، دون ملل أو كلل، والأبصار معلّقة في الجنّة.

١٣ - الإعلام الإيماني :

إن لقاء المؤمنين يحتاج إلى إعلام إيمانيّ قويّ، يعرض للنّاس، للبشريّة كلها: منهاج الله، وعظمة ممارسته، في الواقع المؤمن. يعرض هذا، ويدعوا إليه، ليساهم في إنقاذ البشرية من الضلال والوهم، والدنس والوحل، والعتمة والظلمة، والخوف والقلق، والمرض والفساد، والجوع والعطش، والظلم والعدوان. إن الإعلام المؤمن نور يمتدّ في الأرض ليفتح العيون فتبصر، ويفتح القلوب فتخبت.

والإعلام الإيماني يساهم في عرض القضيّة وحلّها. ويظلّ مع الإنسان، صاحباً رشيداً، وناصحا أميناً، وفكراً معيناً. ولقد كان للعرب في الجاهلية أسواق كسوق عكاظ وسوق مجاز وغيرهما. وكان لهم مواسم عبادة ومواسم تجارة، فاتخذ الرسول ﷺ من هذه الأسواق والمواسم منابر دعوة، وصوت إعلان، ووسيلة بيان.

ولقد كان للبلاغة أثر آسر في النفوس، ونبضة قويّة في القلوب. وكان الشعر والخطابة بابين واسعين للإعلام في الجاهليّة. فجاء الإسلام وحول الإعلام إلى إعلام إيمانيّ وفتح أبوابَه: شعراً، وخطابة، ورسائل، وأدباً، يُدوّي في الأرض كلّها. وكان أبلغ ذلك كله وحي السماء، قرآناً يتنزّل، فيهزّ القبائل هزّا، وتمتدّ آياته على الألسنة والقلوب. وكذلك أحاديث شريفة، لا يعلو بيان أحد من الناس عليها، وقد أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم وأصبح ذلك كلُّه بلاغاً وبياناً وإعلاماً. وامتدت وسائل الإعلام مع امتداد الإسلام.

واليوم يملك الأعداء أقوى وسائل الإعلام في الأرض. يستفيدون من جميع الوسائل التي قدَّمتها الحضارة الماديّة، من خلال غيبوبة المسلمين، وغيابهم، من خلال سُباتهم وأحلامهم.

لذلك يُصبح الإعلام هدفاً في حياة المؤمنين، وقوّة في يَد العاملين، إذا صدقوا الله ما وعدوه. ويظل الأدب كله، شعراً ونثراً، وسيلة من وسائل الدعوة والإعلام. والأدب قوّة في الأمم كلها، وكذلك في العرب. لقد استفاد الإسلام من قوة الأدب وأثره في النفوس استفادة واسعة كما ذكرنا. وستظل هذه الاستفادة قائمة. وإننا نرى اليهود وهم يحاولون إحياء لغتهم، وبعث أدبهم، ونراهم لا يستعملون إلا لغتهم في كثير من المحافل الدولية، والمواقف العالمية، ونراهم يرفعون من شأن الأدب، ويدفعون مسيرته، على ضعف زادهم. . . !

ولقاء المؤمنين، يسعى بنهجه ووعيه، إلى دفع الإعلام الإسلاميّ دفعة إيمان، ويغذيه بنتاج الموهبة.

١٤ ـ دفع أدب الإيمان، أدب الإسلام وتنميته :

إن أهداف المنهاج الذاتـيّ في البناء والتربية لا تقف عند حد تربية الفرد المؤمن. فالمؤمن يلتقي المؤمن، وصف المؤمنين ينمو، والمؤمنون أمة واحدة.

ولابدّ لهذه الأمة من أدبها. إنه أدب الإيمان والعقيدة، إنه أدب الإسلام.

ولابـدّ للأمـة من هذا الأدب ليكـون صورة بيان، وصوت إعلام، وقوة لقاء، وجمال صدق، وطهـر تعبير. إن الأمة الإسلامية يجب أن تنهض بأدبها إلى مستواه العالمي، إلى مستواه الإنساني، ليخاطب الأمم كلها، والعصور كلها.

والأدب الإسلامي قوة من قوى الإعلام ووسيلة من وسائله وقوة من قوى الدعوة ووسيلة من وسائلها، وباب من أبواب الجهاد والجلاد. وقد سبق الحديث عن الأدب الإسلامي في الفصل الثالث من الباب الأول.

الفصل الثاني
مراحل التربية والبناء

لا تمثل مراحل المنهاج الفرديّ أو الذاتيّ التي سبق ذكرها في الفصل الثالث من الباب الأول ، جميع مراحل التربية والبناء والإعداد والتكوين. إنها تمثل مراحل في جهد المسلم وهو يبني نفسه، وبذلك يساهمَ في بناء غيره وأُمته، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

إن مؤسسات متعددة تعمل في الأُمة في سبيل البناء والتربية والإعداد والتكوين. فالمعاهد في مختلف مراحلها تمثل لوناً من ألوان هذه المؤسسات، ومراكز الإعلام تمثل لوناً آخر، والمؤسسات الاجتماعيّة تمثل لوناً ثالثاً.

فالأساس إذن أن يكون هنالك نظرية عامة، وقواعد مقررة، يقوم عليها نشاط جميع الميادين والمؤسسات في الأُمة، حتى تتناسق الجهود وتتحد، وتتعاون القوى وتتكامل، وتمضي مسيرة الأُمة نامية متطورة، في جميع أوجه الحياة وساحات النشاط.

ومن ناحية أُخرى فإن مجتمعنا الإسلاميّ اليوم يشمل، بامتداده العالميّ الواسع، نماذج من الأفراد متباينة في قدراتها ومواهبها، وعلمها وثقافتها، ونشاطها، وعزمها، وكذلك يشمل أفرادا متباينين في قربهم أو بعدهم عن حقائق الإسلام وقواعده. هذه نظرة سريعة في الواقع لا نستطيع أن ننكرها، ولا نستطيع أن نتجاهلها.

ومهمة الجهود المؤمنة مهمة الدعاة، مهمة الدراسات والأبحاث، أن تقدِّم الإسلام والإيمان للناس جميعاً، للنماذج جميعاً، حتى يقوى الضعيف ويشتد عوده، وحتى يدنو القريب ويطيب قربه. وكم من ضعيف نما واشتد حتى جاوز من عرفته قوياً، وكم من بعيد دنا حتى كان أرحم وأدنى وأكثر حناناً.

«إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن»، وإنّ الله يهدي من يشاء، ويرفع من يشاء، ويذني ويبعد على حكمة غالبة، وعلم وعدل ورحمة.

ولكن مهمة الإنسان أن يبلّغ ويدعو ويتعهد، والله يقدِّر مايشاء، له الأمر وحده.

ومهمة الإنسان ومسئوليته تتركز في أن يتقن عمله، حتى يستوعب عمله إيمانه وعلمه، وخبرته وجهده. فيضع على أساس من ذلك خطة ونهجاً حتى تُساعد الخطة ويعين النهج في أداء المهمة والأمانة وإتقانها.

ويمكن بصورة عامة أن نتصور التربية والبناء جزءاً من عمل الدعوة وأن نتصور المنهاج الذاتي جزءاً من التربية والبناء، أو مرحلة من مراحلها.

ومن هذا التصوّر نستطيع أن نضع مهمة البناء والتربية، أو بعض مراحل الدعوة في ثلاث دوائر:

الدراسة والتخطيط
الاعداد والتوجيه
العلم والتدريب

فلابد من مرحلة تتمّ فيها الدراسة وتوضع فيها خطة العمل، حتى يكون العمل عملاً منهجياً لا يفقد الطاقة في جهد تائه، ولا يتبدّد في فلاة واسعة.

ولابـد من مرحلة إعداد وتجهيز، وتوجيه ودفع، حتى تتوافر القوى العاملة، والنفسيّة الراضية، والإمكانات الضرورية.

ثمّ يفـرغ ذلك كله في تنفيذ وإجراء، وجهد مصبوب، وسعي ومعاناة، في بذل علم وإقامة تدريب.

وعنـدمـا يكون المسلم في الميدان، في المجتمع، يرى من خلال حركته ونشاطه نماذج الأفـراد فيه. إنـه يرى نماذج الإنسـان، وهي تقـدم الخطوط الكبرى لطبيعة الإنسان في خصائص التلاقي والتشابه وخصائص الافتراق والتباين. ولكنها كلها تمثل الخطوط العامة في طبيعة الإنسان. وفي الوقت نفسه يرى نماذج من الناس، يمثّل كل نموذج منها جوانب متميّزة غالبة، حتى كأن كل إنسان نموذج خاص.

من دراسـة هذه النماذج أو من التعرّف عليها، يدرك المسلم أهمية فهمها ودراستها في ميدان الـتربية والبناء. ويدرك كذلك أهميّة هذه الدراسة والفهم في تحديد الأسلوب لهذا النموذج أو ذاك. ويبدأ مع هذا تصوّر العمل المنهجي، العمل المرحلي، حين تصبح كل

مرحلة تمهد للمرحلة التي تليها، على نهج واضح، ودرب مستقيم، وطريق ممتد إلى أهداف محدَّدة مشرقة.

ومن هذا التصور تنبثق المراحل التي نعنيها في عملية التربية والبناء، والإعداد والتوجيه، حتى تقودنا هذه المراحل إلى المنهاج الذاتيّ، المنهاج الذي يتطلب قسطاً من الاعتماد على النفس، وقسطاً من الوعي والإدراك وقسطاً من القوة والوضوح. ويمكن أن نوجز هذه المراحل كما يلي:

١ ـ المرحلة الأولى: الدراسة والتخطيط.

وفي هذه المرحلة يدرس المسلم جميع الجوانب التي تساعده على اختيار أسلوب التربية والبناء، والدعوة والتكوين. يدرس البيئة والمجتمع، ويدرس الأفراد والنماذج.

حين يتعهد المسلم إنساناً في هذه المرحلة، وهو يهدف إلى أن يبلغه دعوة الله، أو يُدنيه من سلامة الفهم والممارسة، فلابد من دراسة هذا الإنسان دراسة واعية إيمانيّة، تساعد على اختيار أطيب ما يناسب، وأكرم ما يُقرِّب، وأنقى مايصلح.

ولا يستطيع المسلم أن يحقق ذلك إلا بجهد واع مؤمن، ونيّة خالصة لله سبحانه وتعالى، وعلم دقيق متبيّن. لابدّ من دراسة الإنسان دراسة تستوعب الجهد والعلم، وتبرز على صورة إيمانيّة دقيقة. ومثل هذه الدراسة تجتمع إلى دراسة أخرى، حتى تنمو هذه الدراسات فتقدم للمسلمين علماً جليلاً، وثروة عظيمة. فهي تضم الجهد للجهد، والخبرة للخبرة، والعلم للعلم، حتى يتحول هذا كله إلى زاد ينقله جيل إلى جيل. فيظل جهد المؤمنين نامياً، لايبدأ مع كل محاولة من نقطة الصفر. وإنما يجد الجيل الواحد جهود الأجيال السابقة مرتبة منسقة في خدمته، ليبني عليها ثم يمضي، دون أن يهدم جيل جهد جيل سابق، فيمضي النماء، ويعلو البناء.

ومن أجل ذلك لابُدَّ من أن يكون هنالك تعارف أمين واضح، تعارف بين المسلم ومن يتعهده، تعارف يقرِّب النفوس، ويؤلف بين القلوب، وينشىء الودّ والاحترام، والثقة والتعاون.

وكأن المرحلة هي مرحلة تعارف وتآلف، كما هي مرحلة دراسة وتخطيط. والمسلم محاسب بين يدي الله سبحانه وتعالى على ما يقدّم لغيره من علم وما يبلغه من دين. ومحاسب على

مستوى الجد والعزيمة، وعلى طهارة الأُسلوب وصدقه. إن المسلم محاسب على ذلك كله بين يدي الله. فهـو أعجز من أن يصدق في هذا كله إذا لم يكن هو يتعهد نفسه محاسبة وتذكيراً، ودراسة وعلمًا، وممارسة ونصحاً.

فالمسلم، حين يتعهد غيره من خلق الله، يجب أن يظلّ يتعهد نفسه، ويراجع أُسلوبه، ويمحّص عمله، حتى يصدق ويفوز عند الله.

في هذا الجو الطاهر المشرق تتعارف النفوس على أطهر ما يتعارف عليه إنسان مع إنسان. وفي هذا الجو الكريم تتآلف القلوب على حقائق لا على ظنون، وعلى يقين لا على وهم، وعلى واجبات لا على أمانٍ.

فيعرف المسلمُ من يدعوه معرفة إيمان لا معرفة شيطان، معرفة تقدِّم الخير وتنفي الأَذى، وتبني الصدق والجهد.

ويدور التعـارف بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وغيرهم، على أُسـس تنشىء التعارف حقيقة لا وهماً، تنشىء التعارف الذي يقُيم التفاهم وينفي الظنّ، على أساس من حقائق وصدق، وتقوى وإيمان.

فدراسـة المعدن والفطرة، ودراسة المواهب والقدرات، ودراسة الروابط ومدى التزامها بالإيمان، ومعرفة السيرة والحياة، وغير ذلك من الأُمور الذاتيّة التي تعين على خير، وتقرِّب إلى طاعة، وتجمع النفوس، كل ذلك يحدد الأُسلوب ويمهد لدرب مشرق في الحياة، وطاعة وإنابة، وصدق وإخبات.

٢ ـ المرحلة الثانية : البلاغ والإيمان.

إن الرعاية والتعهد، والبناء والتكوين يقتضي بلاغ الرسالة وبيان الدعوة. ولكن ذلك يجب أن يكون على أُسلوب استقرّ في المرحلة الأُولى، حتى يدخل الإيمان إلى النفوس بإذن خالقها، فهو هاديها، ﴿يهدي من يشاء ويضلُّ من يشاء﴾.

ويمكن أن نوجز الأمر هنا بإحدى حالات ثلاث. فإما أنك تدعو رجلاً إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، تدعوه دعوة واضحة إلى الإسلام الذي لم يكن يعرفه أو يدين به. وإما أنك تعلم مسلمًا جاهلاً، أو متفلتاً، أو غير ذلك، وأما أنك تدعو مسلمًا يلتزم بجانب ويقصر بجانب فتنصح له، وتذكر وتعين.

ومدار حديثنا هنا هو الحالة الثالثة. ونخصها بالذكر هنا لأنها يمكن أن تفيد في الحالتين الأخريين.

ففي هذه الحالة نتعهد رجلاً مسلمًا يعلن إسلامه، ويقيم الشعائر كلها أو يقصّر فيها أو في بعضها، قليل العلم، مضطرب التصور، حائر النظرة.

فيكون أهم القضايا هنا هو الإيمان، الإيمان كما أراده الله سبحانه وتعالى، لا كما تتوهمه بعض النفوس. ولتوضيح الأمر نبين الخطوات التالية لتكون معينة ومساعدة في هذه المرحلة.

أ ـ تقديم حقيقة الإيمان وأسس العقيدة من خلال آيات كريمة وأحاديث شريفة، لتكون هي مصدر العلم والمعرفة، والتصور والتدبّر. ويقدّم المسلم في هذه المرحلة خصائص الإيمان وصفاته من خلال المنهاج الرّباني آيات وأحاديث لتقوّم سلوكاً وتصحح نهجاً.

ب ـ تقديم معنى التوحيد وأُسسه من خلال آيات وأحاديث من خلال المنهاج الربانيّ، ليقـدِّم المنهـاجُ الربّانيّ التصوّرَ الكامل للتوحيد فتُدرَس آياتٌ وأحاديث لتُبيِّن وحدانيّة الله سبحانه وتعالى، ولتفهم من خلال الآيات والأحاديث فهمًا يحرّك العقل والتصوّر، والفكر والشعور لمن يريد الله له الهداية. وآيات واحاديث أخرى تعرض أسماء الله الحسنى وصفات الله سبحـانـه وتعـالى، لتقدم الآيات والأحاديث أوسع صورة وأدقها لدلالات أسماء الله الحسنى، دون أن يدخُلهـا تأويل بشَريٌّ يُعـارض قواعـد الإيمان. وهنـا تصبح الآيات والأحـاديث تفسر الآيات وتمدّ من ظلالها. ويتسع النور ويمتد في قلب المؤمن كلما ازداد ارتبـاطـه بالآيات والأحاديث. وآيات وأحاديث أخرى تقدِّم نموذجاً لآيات الله في الحياة والكـون، ولسننـه ومشيئتـه، ونـرى مثـل ذلك من آيات الله في خلق الإنسان، والسماء والأرض، والنبات والزرع، والحيوان وغيرها من المخلوقات، تجتمع كلها، أو نماذج منها لتقدّم أدق معاني التوحيد، وأوسع تصور له. ومن خلال ذلك نرى أن كل آية تضيف ظلاً جديداً. ومع امتداد الآيات يصبح التصور أدق وأعمق وأوسع، ويدخل في شغاف القلب، وأحناء الصدر.

بهذا يرتبط الإيمان والتوحيد في قلب المسلم بالآيات والأحاديث ارتباط عقيدة، حتى كأنها تجري في دمه خيراً، وتموج في صدره نوراً.

جـ ـ تقـديم معنى الـولاء من خلال الآيات والأحـاديث، وربط ذلك في واقع حياة الإنسان مع العوامل التي قد تؤثر في اضطرابه، ذلك كله من خلال تصور قرآنّي متكامل.

د ـ تقديم معنى العهد كذلك من خلال المنهاج الربانّي، وتوضيح العهد الأول الأساسي بين الله والإنسان، ليكون هذا العهد أساس عهود الإنسان في حياته، وتوضيح سبيل ممارسته في الواقع كذلك.

هـ ـ التصور العام للحياة والكون من خلال منهاج الله، يتلقاه المسلم آيات وأحاديث كذلك، حتى ينمو هذا التصوّر في قلبه ونفسه كلما امتدّت الآيات والأحاديث.

و ـ معالجة ما يكون قد نشأ عليه من عادات أو أفكار تخالف أسس الإسلام. وتكون المعالجة كذلك من خلال آيات وأحاديث. والخطوات الثلاث السابقة تساهم في هذه الخطوة نفسها. ولكن هذه الخطوة تطرق الانحراف مباشرة لتعالجه. ومن أهم القضايا التي يجب معالجتها: الولاء لله سبحانه وتعالى، إخلاص النيّة، تكامل الممارسة الإيمانية، وغير ذلك من القضايا التي تثور مع هذا الفرد.وقد لا تثور مع ذاك.

ز ـ أهمية دور المنهاج الرباني ـ قرآنا وسُنّة ـ في بناء العقيدة والتصور، والنهج والتخطيط، والسلوك والممارسة.

حـ ـ أهمية دراسة الواقع من خلال منهاج الله في سبيل سلامة الممارسة الإيمانيّة.

ط ـ متابعة الدراسة والتخطيط، وبناء النهج النامي القويّ.

٣ ـ المرحلة الثالثة: التدريب والإعداد.

وتهدف هذه المرحلة إلى ترغيب الشباب المسلمين على دراسة منهاج الله، وتحبيبه إلى قلوبهم، وتيسيره إلى نفوسهم.

وأدنى أُسلوب نقترحه هو اختيار نماذج من القرآن الكريم يتدرّب المسلم على تلاوتها، ونماذج يتدرّب على دراستها، ونماذج يتدرّب على حفظها.

ويمكن للمؤمن أن يتعهَّد نفسه في هذه المرحلة، ويثابر عليها بثقة واطمئنان، حتى يزين الله له في قلبه الإقبال على منهاج الله. ويمكن للمؤمن كذلك أن يتعهد غيره وينصح له، ويمكن لسائر المؤسسات الإيمانيّة والمعاهد العلميّة أن تأخذ من هذه القواعد والمراحل ما تراه يناسب حالة أو واقعاً، أو يعين في تحقيق هدف إيمانيّ.

هذه المرحلة تهدف أساساً إلى إعداد المؤمن لمصاحبة المنهاج الذاتيّ مصاحبة عمر وحياة، وتدبر ووعي. ولكنها في الوقت نفسه تكون امتداداً للمرحلتين السابقتين.

فهي امتداد للدراسة والتخطيط، حيث تستمر الدراسة، وينمو النهج، ويقوى الفهم والتعارف، ويصدق الودّ في جو صافٍ طاهر نقـيّ. تمتد مرحلة الألفة والودّ في نور متدفّق، وصحبة حانية، وكلمة طيبة، وتنمو النصيحة بعيداً عن تتبع العيوب والعورات.

وفي هذه المرحلة يمتد البلاغ والبيان، والتوحيد والإيمان، نوراً يشرق من منهاج الله، فيغسـل النفـوس والصدور والأضلاع. ويظل الإيمان ينمو والنهج ينمو من خلال الجهد البشريّ المؤمن، بإذن الله وعلى ما يقدِّره الله سبحانه وتعالى.

٤ ـ المرحلة الرابعة: المنهاج الذاتيّ:

هنا يمكن أن يبدأ المؤمن في مرحلة من مراحل المنهاج الذاتيّ، على صحبة دائمة لمنهاج الله، ودراسة ووعي للواقع، وانطلاق في العمل الصالح والممارسة الإيمانيّة.

في هذه المرحلة يكون المؤمن قد نال قسطاً من التدريب والتوجيه والإعداد وعسى أن يكـون قد حبَّب الله إليه مصاحبة منهاج الله، وعرف أهميتها ودورها، وبادر لفهم الواقع مبادرة ذاتيّة واعية، مبادرة مؤمنة ترجو الله واليوم الآخر.

هنا تبدأ مصاحبة المنهاج الذاتيّ مصاحبة واعية على أساس من المرحلة الأولى من مراحل المنهاج الذاتيّ، أو على أساس أي مرحلة يصوغها المؤمن لنفسه على ضوء واقعه من عناصر وفقرات وبنود المنهاج الذاتيّ.

ويمكن إيجاز أهداف هذه المرحلة بالنقاط التالية:

١ ـ متابعة أهداف المرحلة الأولى وتنميتها.
٢ ـ متابعة أهداف المرحلة الثانية وتنميتها.
٣ ـ متابعة التدريب والإعداد ومتابعة أهدافه.
٤ ـ دراسة الأبـواب التـالية دراسـة موسعة: النيّة، الإيمان، الولاء، العهد، الروابط الإيمانيّة، وربط ذلك كله بالواقع.
٥ ـ دراسة الشعائر واتقان ممارستها فقهاً وتطبيقاً وخشوعاً.
٦ ـ دراسة موجزة لمهمة المنهاج الرباني ودوره.

٧ ـ دراسة موجزة لأهمية دراسة الواقع .

٨ ـ اتقان أحكام التجويد وتلاوة كتاب الله ، والتدرب على قواعد الدراسة والتدبّر، والحفظ والتدبّر، على أساس منهجي .

٩ ـ استكمال التصوّر الإيماني للعناصر الأساسيّة للمنهاج الذاتيّ : المنهاج الربانيّ، الواقع، الممارسة الإيمانيّة .

١٠ ـ استكمال التصور الإيماني لسائر عناصر المنهاج الذاتيّ: فقه الدعوة، العلوم المساعدة، مع جميع فقرات المنهاج الذاتيّ وبنوده .

ويمكن أن تستفيد هذه المرحلة من المرحلة الأولى من مراحل المنهاج الذاتيّ، أو من المرحلة الثانية ، أو من كليهما، أو من أي مرحلة من مراحل المنهاج الذاتيّ، على ضوء الواقع والوسع والإمكانات .

يجب أن نؤكد هنا أن التربية والبناء ، والإعداد والتكوين أمر هام ، يحتاج إلى جد وجهد وبذل. كما يحتاج إلى وعي وعلم وخبرة ، وإلى كفاءة ومقدرة .

٥ ـ المرحلة الخامسة : مرحلة التزام المنهاج الذاتيّ صحبة عمر .

في هذه المرحلة يكون قد استوعب المنهاج الذاتيّ نظريّة وفكرة، وتدرب على ممارسته : عناصر وفقرات وبنوداً، واستوعب ارتباط ذلك كله بمنهاج الله .

لذلك يصبح المؤمن في هذه المرحلة قادراً على أن يضع منهاجه الذاتيّ خاضعاً للشروط التي تدرب عليها، ليكون منهاجه هذا صحبة عمره ورفقة حياته .

يمضي المؤمن في هذه المرحلة على نور يمتدّ معه عمره كله ، وبركة تحوط أيّامه ، وخير ينتشر في أعماله .

إنه على خير ما صدق الله إيماناً ونيّة وجهداً . لا يرجو الأجر إلا من عند الله .

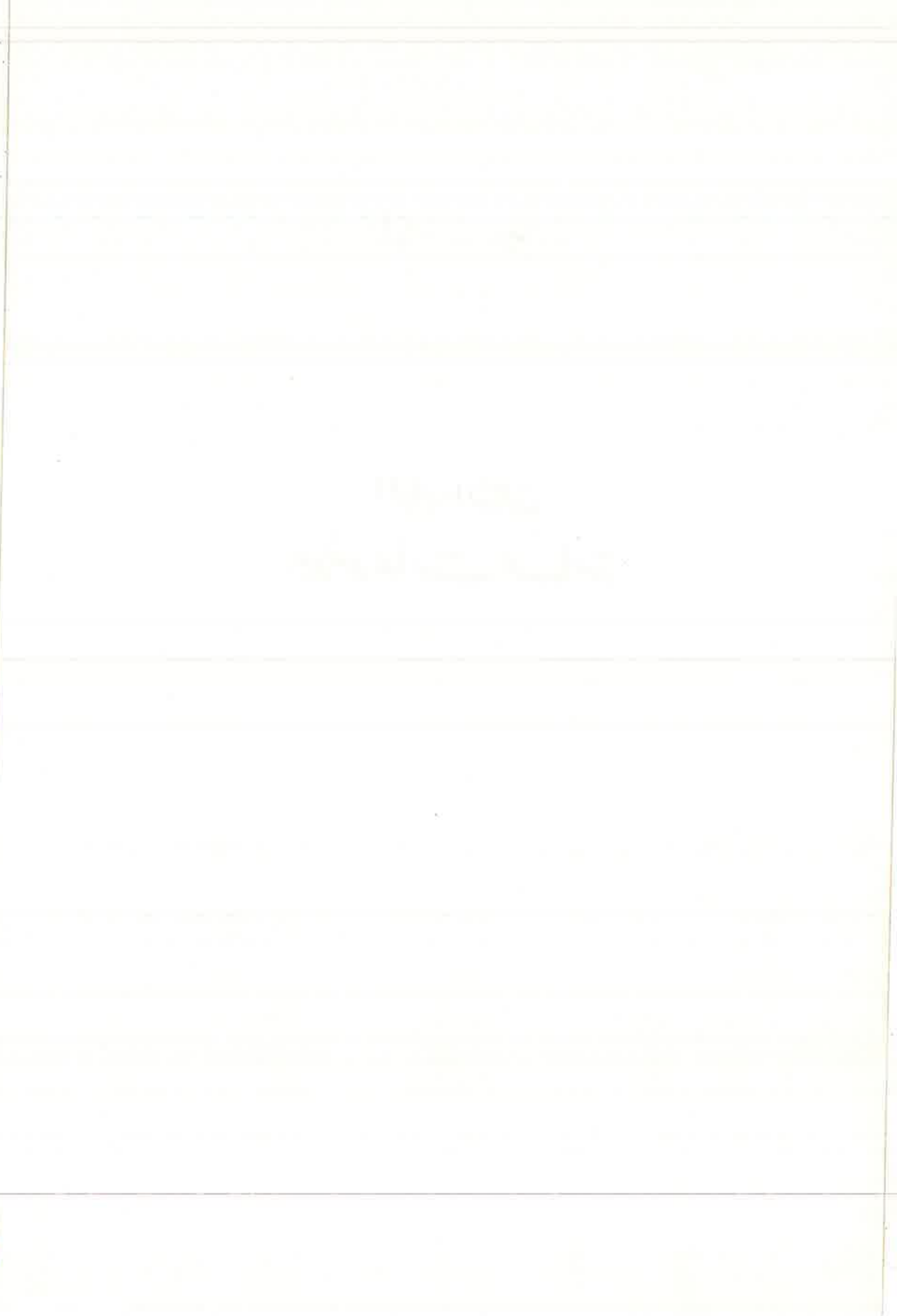
يمضي المؤمن وهو موقن أن هذا النور يمتدّ معه كله ، ما صدق الله ، ويمتدّ معه في قبره ما أخلص النيّة والعمل ، ويسعى به إلى الجنة إن كتب الله له النجاة والفوز.

﴿ . . . وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ . (المطففين : ٢٦) .

﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ . (الصافات : ٦١) .

الباب الثالث

موضوعات عامة



الفصل الأول

منازل المؤمنين بين الحقوق والواجبات

عندما يساهم المنهاج الذاتيّ في بناء الفرد المؤمن، فإنه يساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في لقاء المؤمن مع المؤمن، وفي بناء الأُمة. ويمضي المؤمن مع منهاجه الفردي، كما رأينا، يمارس إيمانه وعلمه من اللحظة الأُولى. يمارس ذلك في مجتمعه وفي أُمته. ويمارس ذلك بين أَهله وعشيرته، ويمارس ذلك بين المؤمنين.

وعندما يمارس المؤمن إيمانه وعلمه بين المؤمنين يكون أول ما يجب عليه هو أن يعرف مكانه ومكان غيره، ومنزلته ومنزلة غيره، وحقوقه وواجباته، وحقوق وواجبات غيره.

ولم أر خطراً يهدِّد سلامة المؤمنين أشد من أن تضيع المنازل، وتختلط الحدود، وتتطاول الأعناق، وتتزاحم الأكتاف، في أمواج التحاسد والتناجش والتباغض والغيرة والجهل، حتى يطمع الكثيرون في ما ليس لهم، ويثب الطامعون إلى أبعد من حدودهم، وأوسع من طاقتهم، وأعلى من أقدارهم، أو تموت المواهب التي لا تجد مكاناً لها.

إن هذا الخطر يشعل الفتنة بعد الفتنة، وينشر الظلام فوق الظلام، وتتآكل الأُمة في ذاتها، وتهلك من داخلها، وتضيع قُدراتها، وتموت مواهبها، وتصبح بعد ذلك فريسة سهلة لكل عدو طامع، أو غاز مستبيح، أو متآمر معتد.

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يكون عباده المؤمنون صفّاً واحداً، صفّاً كالبنيان المرصوص. وإن الله سبحانه وتعالى يعلم أن المؤمنين لا يستطيعون أن يحملوا الأمانة، ويسيروا على الدرب، ويبلغوا هدفاً، وهم أحزاب تتآكل وقوى تتصارع. لذلك أمر الله عباده المؤمنين أن يكونوا صفّاً كالبنيان المرصوص، حتى يستطيعوا أن يمضوا في عبادة صادقة، ودعوة ماضية، وجهاد مورق، ونصر كريم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ .
(الصفّ : ٤) .

هذا ما يُحبه الله ، وهذا ما يريده ويأمر به . ولقد جاءت الآيات السابقة لهذه الآية في سورة الصف تكشف في تعبير عام ما يعطل هذه القاعدة في حياة المؤمنين وما يخلخلها :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . (الصف : ٢ ، ٣) .

إن هذا التعبير القرآني الجامع : «**لم تقولون ما لا تفعلون**» ، ضَمَّ في ثناياه جميع الأسباب التي تهزّ الصفّ المؤمن المرصوص . إن جمال القول من الناس وبراعته يترك تأثيره العظيم في النفوس ، وفي النفوس المؤمنة بصورة خاصّة . ذلك لأنها تتلقّى الكلام الطيّبَ والقول الكريم بصدر سليم ، وقلب مفتوح ، وتصديق أكيد ، وظنّ حسن . فإذا قصَّر الفعلُ عن الشّعار أو على الأصحّ ، إذا خالف القولُ الفعلَ فإن الخديعة كبيرة ، والإثم عظيم ، وكان مقت الله لذلك مقتاً كبيراً .

إن المخالفة بين القول والعمل شرٌّ عظيم . وهو شرٌّ في الدنيا وشرٌّ في الآخرة . وحديث رسول الله ﷺ يبينّ لنا هول هذا الأمر :

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال : أترون أني لا أكلمه إلا أُسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أُحب أن أكون أول من فتحه ، ولا أقول لأحد يكون علـيّ أميراً إنه خير الناس ، بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يافلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه» .

رواه مسلم[1]

وهكذا جاء القرآن الكريم والحديث الشريف يعرضان هذه القضيّة على هذا النحو من القوّة والتصوير ، والبيان والإيضاح ، والتحذير والإنذار . إنه مقتٌ كبير عند الله ، وإنه عذاب

(١) «صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ـ باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله . . .» حديث رقم (٢٩٨٩) .

شديد في النار يوم القيامة. ولولا أنّه خطر عظيم وشر كبير لم يأت التعبير على هذا النحو من التحذير والتنفير، على قوّة وعنف وشدّة.

وهذه المخالفة بين القول والعمل تصدر في أغلب الأحيان عن أُناس أَخذوا مكاناً أعلى من قدرهم، وجازوا مسافات أبعد من حدودهم، وحملوا أكثر من وسعهم. فدفعتهم مكانتهم إلى بهرج القول وزخرفه، يستترون بعده وراء أسوار وحجب تمنعهم من حساب أو عتاب، ومحاكمة أو عقاب. ثمّ قصّرت بهم همتهم وهبط وسعهم، فلم يبلغوا ما قالوا، أو غرتهم أحلامهم فخالفوا ما ذكروا. وقد يكون الدافع إلى المخالفة بين القول والعمل أسباباً أُخرى غير ما ذكرنا، ولكن هذا السبب هو الأعم الأغلب، وهو يطوي معه سائر الأسباب إن وجدت.

هذا المرض الخطير ينتشر بين الناس كثيراً، ويزينه الشيطان للناس حتى يقعوا فيه. وقد جعل الله سبحانه وتعالى الشرَّ والفجور في طبيعة الإنسان إذا انحرفت عن جادة الإيمان، واتبعت الشيطان:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾. (الشمس: ٧، ٨).

فالنفس أمارة بالسوء إلا من رحمه الله واعتصم بالإيمان، واستقام على الحق:

﴿ ... إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.
(يوسف: ٥٣).

إنه من الفجور، وإنه من السوء. ولكنّ الإيمان يعصم، ورحمة الله تصون. ولا يَترك الإسلامُ الإنسان لفجوره ولا لشرّه وسوئه. ولكنه يهيء له كل أسباب النجاة والعلاج، والاستقامة والفوز، وهذه هي من رحمة الله سبحانه وتعالى. ومن خلال ما يهيِّئه الإيمان من أبواب السلامة ومنافذ النجاة، من خلال ذلك يبتدىء الابتلاء الذي خُلِقَ الإنسان له، وكتبه الله عليه، وجعله سنّة من سننه التي لا تتبدّل في الحياة الدنيا:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.
(الكهف: ٧).

وعلى أساس من نتيجة الابتلاء يتمايز الناس عند الله درجات ومنازل. ومع الابتلاء تظل دائماً رحمة الله واسعة، ومغفرته ممتدة، وعدله ماضياً، فهو العليم الحكيم.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أن بعث محمداً ﷺ معلمًا للناس كافة، ومربّياً. وأنزل منهاجه الحق ـ قرآناً وسنة ـ ليرشد الإنسان، وينير له طريق الخير، ويحمي فطرته، ويرعى نفسه، ويوجه طاقته، ويهيء للفرد والجماعة والأمة، وللبشريّة كلها، من أسباب التربية والبناء والإعداد والتكوين، ما يعالج الطباع والنفوس، ويدفع الخطر والفتنة، لمن آمن وصدق، وتاب وأناب.

ويعالج الإسلام هذه القضيّة، قضية منازل المؤمنين حين تتحدد على أساس من حقوق وواجبات، ووسع وطاقة. يعالج الإسلام هذه القضية كما يعالج سواها من القضايا، علاجاً مرتبطاً بكل أجزائه بالعقيدة والإيمان. بالتوحيد وإشراقته. وترتبط القضايا كلها، مع ارتباطها بالعقيدة، بمنهاج ربّاني واحد متكامل متناسق.

وحين نعرض ما ندركه من منهاج الله في معالجة هذه القضيّة، فإننا نعرض قبسات، ونشير إلى أسس، فمنهاج الله وحده هو الذي يعرض الصورة الكاملة المتناسقة. وإننا نعرض كذلك موجزاً، فكل قاعدة نعرضها تحتاج إلى بحث مستقل مفصل، يجمع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، مما لا يتسع المجال له هنا في هذه الكلمة.

ونعرض هنا أربع قواعد من قواعد الإسلام، بسطها منهاج الله لمعالجة هذه القضيّة، ليأخذ بها الدعاة ورجال التربية، والعلماء والسلطان. ولكننا نؤكد ثانية هنا أن هذه القواعد لا تؤخذ وحدها، ولا يؤخذ بعضها، منعزلة عن منهاج الله، ولكنها تؤخذ مع تكاملها وتناسقها في منهاج الله الحق ـ قرآناً وسنة ـ، منهاج الله الذي يؤخذ كله نهج حياة للبشريّة كلها.

١ ـ معالجة النفس البشرية :

لقد تحدث منهاج الله بتفصيل عن طبيعة الإنسان وخصائصه، وكشف عن نواحي ضعفها وقوتها. ولقد جعل الله في فطرة الإنسان خصائص يتشابه فيها الناس جميعاً، وخصائص أخرى هي مدار التباين والتمايز. فخصائص التشابه والتماثل تبتدىء من الأصل الواحد، إلى الخلق، إلى التوالد والتكاثر، إلى الشكل العام والهيئة، إلى صفات مميزة في الفطرة: محب للخير، على تقوى وفجور، هلوع، جزوع، منوع، إلا المصلين، عجول، ضعيف، شحيح، يحب الجدل، ونفسه أمارة بالسوء، يفرح للخير، ييأس في الشر، فيه

نسيان، وفيه رغبات وشهوات، ولقد كرم الله الإنسان، وجعله قادراً على العلم. والإنسان خطاء، يميل إلى الغيبة والنميمة وسوء الظن. ولكن الإيمان والشعائر والعلم بمنهاج الله، والتربية الإيمانيّة تخفف من الشرور وسقطات الضعف، وسعير الشهوات والرغبات.

أما خصائص التباين فمنها: اختلاف الآجال والرزق، والاختلاف في الوسع والقدرات، وتفاوت الدرجات، وتباين في الطبائع، وفي امتداد سمات الضعف وعلائم القوة وسورات الشهوة[1].

هذه الطبيعة البشرية، وقد بسط منهاج الله خصائصها، يضع القواعد لمعالجتها وتهذيبها، وبنائها وإعدادها. ونشير إلى بعض وسائل معالجة النفس البشرية:

١ ـ أ ـ الإيمان بجميع معانيه وقواعده وظلاله، والعلم بمنهاج الله:

فالإيمان يهب النفوس الأمن والقوة، ويخفف من حميًّا الشهوات والغرور والكبر، ويوفر للإنسان كوابح تعمل فيه وتظل تردّه إلى حدوده، وإلى ساحات الخير. ونكتفي هنا بهذه الإشارة السريعة لهذا العامل، لأنه هو أساس جميع العوامل، وهو قاعدة سائر الوسائل، وهو مدار الآيات والأحاديث. ونربط العلم هنا بالإيمان. ذلك أن العلم يضعف عن أن يكون وسيلة معالجة إذا انفصل عن الإيمان. أما حين يقوم العلم على الإيمان، فعسى أن يزداد الإيمان بالعلم لمن يشاء الله له ذلك، فيشرق العلم بالإيمان ويمتد فضله وشرفه.

١ ـ ب ـ معالجة النفس من شرورها وفجورها بقواعد مباشرة:

وتولى الإسلام النفس البشريّة يعالج فيها ما ركب من فجور، وما طبعت عليه من خصال، وما جبلت عليه من فطرة تكون مدار الابتلاء والاختبار، والامتحان والتمحيص، يعالجها بقواعد تبينّ لها ما تحذره، وتكشف لها ما يجب عليها أن تتجنبه، ويحبِّب إليها ما يجب أن تقبل عليه. بينّ الحلال وبينّ الحرام، وبينّ كذلك ما بينهما من أمور مشتبهات. ومن خلال الأمر والنهي، والترغيب والترهيب يعالج الإسلام هذه النفس البشرية لينمّي فيها نوازع الخير ويوهن نوازع الشرّ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «إياكم والحسد. فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. أو قال العشب». رواه أبو داود[2]

(١) يُراجع كتاب ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ـ باب الاختلاف، لتفصيل ذلك.

(٢) سنن أبي داود ـ كتاب الأدب (٣٥) ـ باب الحسد (٥٢) حديث رقم (٤٩٠٣). جزء (٥).

وفي الحديث الجامع لرسول الله ﷺ نجد التربية الفذّة والبناء الكريم، والمعالجة القوية لنفس الإنسان:

«فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظنّ، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً». وفي رواية: «ولا يبع بعضكم على بيع بعض».

رواه مسلم[1]

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى هٰهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات. «بحسب امرىءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

رواه مسلم[2]

قرع للنفس البشرية قويّ، وإيقاظ لنوازع الخير في الفطرة وتزكية لها «وكونوا عباد الله إخوانا»، وإطفاء لنوازع الشر والفجور ولهيبه: من حسد، وظنّ، وتحسس، وتجسس، وتنافس، وتحاسد، وتباغض، وتدابر، وغير ذلك.

وتمضي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تعالج نفس الإنسان وطبيعته وتقرعها قرعاً قوياً، وتربيّ وتبني، حتى تستقيم النفس المؤمنة في رعاية حادبة، ومراقبة حانية.

الحسد، والظنّ، والتحسُّس، والتجسُّس، والتنافُس على الدنيا، والتباغض، والتدابر، هذه كلّها إذا تمكنَتْ من الإنسان دفعته دفعاً عنيفاً ليتجاوز حدوده، ويطمع فوق قدره، ويزاحم على ما ليس له. إنها تدفعه ليسعى إلى مناصب الدنيا وأموالها ونسائها، لهواً وترفاً وغروراً، لا يلتزم بحدود شرع، ولا قواعد دين، ولا ضوابط أخلاق. فإذا الحياة صراع على الدنيا، والدنيا أهون عند الله من جناح بعوضة، وأهون عند الله من جيفة حقرها الناس. وإذا الدنيا تنافُسٌ يُحيل الناسَ إلى ذئاب تفترس، ووحوش تنهش. فإذا الناس لا يعرفون حدوداً يقفون عندها، ولا يأخذون منازل يقنعون بها، ولا ينتظمون في مراتب تجمع.

---

(١) صحيح مسلم ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) ـ باب تحريم الظن... ونحوه (٩). حديث رقم (٢٥٦٣).

(٢) المرجع السابق ـ نفس الكتاب ـ باب تحريم ظلم المسلم.... (١٠) ـ حديث رقم (٢٥٦٤).

فبمثل هذه المعالجة الكريمة القوية. يمكن لمن كتب الله له الهداية أن يستجيب لعلاج وأن يستقيم على نهج كريم.

وقد تكون هذه الدوافع من ظنٍّ، وحسدٍ، وتنافس، وتناجش، وتدابر، مخفيّة في طيّات النفس، مستورة بمظاهر وزخرف، مدفونة تحت ركام هائل من الرايات والشعارات، والبريق والبهارج، لا يكاد يحس بها العامّة من الناس، أو الخاصة أحياناً. وإن مثل هذه الأستار تنجح في كثير من الأحيان في أجواء الجهل وقلة الزاد من العلم، وفي غياب النصيحة وصدق الرأي، وفي غياب الشورى ووضوح الكلمة، وفي غياب النظام وحسن الإدارة، واضطراب المحاسبة والمراقبة.

في مثل هذه الأجواء المظلمة بالجهل، يندسُّ كثير من الضعفاء إلى منازل الأقوياء، ويأخذ بعض الجهلاء بعضاً من أماكن العلماء، وتنحدر المواهب في الأمة وتطوى، وتغيب الطاقات وتدفن، وتختلط المنازل والحدود، وتضطرب الموازين والأمور.

ولكنّ المنافق ينكشف بين الأتقياء، والجاهل ينفضح بين العلماء، والضعيف لا يتوارى بين الأقوياء، هذا إذا جمع الأتقياء والعلماء والأقوياء نور الإيمان وبركة التقوى، وزاد العلم وأدب النصيحة، ووضوح الكلمة.

إن دوافع الفتنة قد تختفي تحت طلاء المكر والخداع والنفاق. ولكن الأمة المؤمنة، والصف المرصوص، والأخوة المتعاونة، في أجواء الإيمان والعلم تكشف الزيف كله، وتصون الجوهر حتى يشع.

١ ـ جـ ـ محاسبة النفس ومراقبتها:

يربط الإسلام التقوى بأمور كثيرة في حياة الإنسان، من خلال الآيات والأحاديث. ومن جملة ما يربطها به هو أن ينظر المؤمن التقيُّ في نفسه، يراقبها ويحاسبها على ما أعدت لغدها، ليوم الحساب، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾. (الحشر: ١٨، ١٩).

فالإسلام طلب من المؤمنين أن يَتَّقوا الله وينظروا في أنفسهم حتى يعرفوها ويعرفوا ما قدّمت لغد، وما وافق من عملهم منهاج الله وما خالفه منه، حتى يستطيعوا أن يدركوا التوبة والأوبة، ولا يكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فأولئك هم الفاسقون.

نعم **﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ﴾**، **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾**، فلم ينظروا ما قدمت نفس لغد. هذه هي عظمة التوجيه الربّاني حين يدعو المؤمنين ﴿ياأيها الذين آمنوا . . . ﴾ لأن يتقوا الله ولأن تنظر نفس ما قدمت لغد. والنظرة المطلوبة هي نظرة محاسبة وتدقيق، ومراجعة وفحص، ومطابقة مع منهاج الله. ولن تتم هذه النظرة المطلوبة على صورتها الإيمانيّة إلا إذا توافر شرطان رئيسيان هما: الإيمان أولاً والعلم بمنهاج الله ثانياً. ودون هذين الشرطين ستظلُّ النظرة ضائعة تائهة، أو عاجزة مُقصِّرة.

إنها القاعدة الأولى للبناء والتكوين والتربية والإعداد. إنها نظرة المؤمن في نفسه وفي عمله ليزنه بميزان الإسلام، بميزان منهاج الله. وتتوالى الآيات الكريمة لتعطي محاسبة النفس ومراقبتها عمقاً أبعد، ومعنى أوسع، وممارسة أدق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾[2].

وفي حديث رسول الله ﷺ عن عمر بن الخطاب، الذي يعرف فيه الإسلام والإيمان والإحسان. . . . . ففيه: «قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». رواه مسلم[3]

فهنا تبرز مراقبة النفس، وتعمل الكوابح واللجم حتى تحفظ النفس من الهوى، وحتى تستقيم على أمر الله.

وكذلك حديث رسول الله ﷺ عن أبي ذرّ جُنْدَب بْن جُنَادَة، عن رسول الله ﷺ، قال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيّئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

رواه الترمذي[4].

---

(١) آل عمران: ٥.
(٢) الفجر: ١٤.
(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الأيمان (١) ـ باب (١). حديث رقم (١).
(٤) سنن الترمذي ـ كتاب البر والصلة (٢٨) ـ باب ماجاء في معاشرة الناس (٥٥). حديث رقم (١٩٨٧).

وكذلك عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف النبيّ ﷺ يوماً فقال: «ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك........».

رواه الترمذي[1] وقال حسن صحيح.

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كثيرة في هذا الباب، تظل تقرع النفس المؤمنة حتى لا تهبط عن المحاسبة ولا تغفل عن المراقبة، ولتظلّ تنظر في ذاتها وعملها وكلمتها وتزنها بميزان منهاج الله عن إيمان وعلم وتقوى.

٢ ـ تكامل القواعد في ميدان الممارسة والموازنة بينها:

ومع هذه المحاسبة والمراقبة، ومع هذه المعالجة والتربية، فإن الإسلام يضع قواعد يلتزمها المؤمنون فيلتزمون بذلك حدوداً ومنازل، حتى يُعرَفَ لكل رجل قدره وفضله، وحتى لا تضطرب الموازين ولا تظل خاضعة للأهواء والرغبات. تأتي القواعد لتحدد للمسلم سلوكه واتجاهه، ومداه ومكانه، وما يفعله وما لا يفعله. وهذه القواعد تأتي في مختلف الميادين والساحات، ومختلف أساليب التوجيه والتربية. ولا نستطيع أن نجمعها هنا، ولكننا، كما ذكرنا سابقاً، نأخذ قبسات وأمثلة لنوضح الفكرة والرأي. ولابدّ من أن نؤكد هنا أن أي قاعدة من قواعد الإسلام لا تعمل عملها الكامل المتناسق إلا مع عمل سائر قواعد المنهاج الرباني مترابطة، متناسقة، متكاملة. وما نذكره هنا من القواعد والنماذج إنما هي أمثلة فقط فيجب أن نعلم أن هنالك قواعد غيرها في منهاج الله يجب الموازنة بينها كلها متناسقة، وأنّ هذه القواعد كلها يجب أن نربطها بسائر قواعد منهاج الله، ليظل منهاج الله في قلوبنا وتصورنا منهاجاً متكاملاً مترابطاً متناسقاً.

٢ ـ أ ـ مِن قواعد الإمارة وحدودها:

عن أبي سعيد عبدالرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ياعبدالرحمن بن سَمُرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها، وإن أُعطيتها عن مسألة وكلت إليها. وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فائت الذي هو خير، وكفر عن يمينك». أخرجه البخاريّ ومسلم[2].

(١) سنن الترمذي ـ كتاب صفة القيامة (٣٨). باب (٥٩). حديث رقم (٢٥١٦).

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الأيمان (٢٧). باب ندب من حلف يميناً... (٣) حديث رقم (١٦٥٢) وكتاب الإمارة (٣٣). باب النهي عن طلب الإمارة (٣).

ففي المجتمع المؤمن المتراص، يُعْرَف النّاس وتعرف منازلهم وأقدارهم، ويَعرفُ الرأي العام كذلك أهل الفضل فيقدّم الناس إلى منازلهم دون أن يطلبوها أو يسعوا لها. ففي هذا المجتمع المتماسك القويّ الواعي، جاء توجيه النبوّة لعبدالرحمن بن سَمُرَة كما رأينا. ولكن يجب أن نطمئنّ إلى كفاية الأمة وقدرتها على معرفة منازل الناس. فإن خُشيَ أن تقع الإمارة في يد ضعيف أو منافق أو غير كفء وجب طلبها حماية للأمّة. والله يعلم ما تخفي الصدور. ومن طلب الإمارة حبّا لها ورغبة في الدنيا ساء طلبه وذهب أجره، وسقط فضله.

ولننظر في صورة أخرى من صور طلب الإمارة وتوجيه النبوّة لها:

«عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت: «يارسولَ الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «ياأبا ذرّ، إنك ضعيف، وإنّها أمانة، وإنها يومَ القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقّها، وأدّى الذي عليه فيها». رواه مسلم[1]

فهنا تظهر عظمة قيادة النبوّة، والدِّقّة والصدق والوضوح في التوجيه النبويّ، وربط الأمر بمنهاج الله وقواعده، وليس بشيء آخر. وإرساء قواعد متينة ليعيَها الفرد وتعيها الأمّة: **«إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقّها وأدّى الذي عليه فيها»** ومنهاج الله يُفصّل كلّ كلمة في هذا الحديث الشريف، يفصلها ويبيّن حدودها ومداها: أمانة، حساب يوم القيامة، حقُّ الأمارة، وما على المسلم من واجب فيها.

وتوجيه آخر وقواعد أخرى في الإمارة:

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ياأبا ذرٍّ، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرَنّ على اثنين ولا تولّين مال يتيم». رواه مسلم[2]

نعم، إنه توجيه النبوّة، وقواعد منهاج الله. فالإمارة تحتاج إلى قوّة وصلابة في الحق. والإمارة تتولى حقوق الناس وفيهم الضعفاء والأيتام. فلابد من أن يكون الأمير قويّاً يرعى حقوق الضعفاء والأيتام وسائر الناس، ولا يضيعها بضعفه، مهما كان لون ضعفه.

فمن هذه القواعد وحدها نجد أن من شروط الإمارة: الإيمان والتقوى، والعلم والخبرة، والقوة والمران، وأن يعرف المؤمن سبيل الإسلام الذي يرسمه لها. هذه بعض قواعدها وليس

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة (٣٣). باب النهي عن طلب الإمارة (٣). حديث رقم (١٨٢٥).
(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة (٣٣). باب النهي عن طلب الإمارة (٣). حديث رقم (١٨٢٦).

كلها. ونؤكد ثانية أن جميع القواعد يجب أن تعمل كلها معاً لا بعضها. وأننا هنا نقدم أمثلة وقبسات، ومنهاج الله وحده يقدِّم الصورة المتكاملة.

٢ ـ ب ـ من قواعد متابعة الأمور:

عندما يقفو الإنسان أمراً يجب أن يكون له علم به ودراية، حتى يكون تدخله بالأمر صادقاً عادلاً أميناً. ومن يتبَعْ مالا يعلم يهلكْ ويُهلكْ. ولذلك جاء القرآن الكريم مبيّناً لهذه القاعدة العظيمة:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾. (الإسراء: ٣٦).

وهذه قاعدة واحدة من جملة قواعد عديدة ترد في سورة الإسراء لتبينّ للمسلم حدوده في الإنفاق، وتربية الأبناء، وحقوق وليّ المقتول، واليتيم، والوزن والكيل، وعدم الكبر والغرور والخيلاء. . . قواعد تأتي كلها متماسكة فيما بينها، متماسكة مع منهاج الله حتى يعرف المسلم حدوده في مختلف شئون حياته، وحدوده في علاقاته مع الناس، وحدوده مع أمته ومجتمعه. ويسمّى القرآن هذه القواعد «من الحكمة»: «**ذلك مما أوحى إليك ربّك من الحكمة. . . .**».

وعندما يتأدب المسلم بأدب الإسلام، بأدب منهاج الله، لا يدفع نفسه في ما لا علم له به، حتى يتقِيَ الله في قوله وعمله. ولذلك جاءت تعليمات الإسلام واضحة قوية تطلب من المسلم أن يتثبّت من كل ما يقول ويفعل، وأن يتبينّ حتى لا يقع في إثم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكلّ ما سمع». رواه مسلم[1]

٢ ـ جـ ـ معرفة المسلم لحدود مايعنيه وما لا يعنيه:

إن من أهم ما يجب على المسلم معرفته هو ما يعنيه وما لا يعنيه، حتى يستطيع أن يقترب من أمور يحسنها وينال أجره من الله سبحانه وتعالى عليها، ويكسب محبة المسلمين واحترامهم. ولا يتيسّر هذا الأمر لجاهل أو لصاحب هوى. فكلا الصنفين من الناس يتورّط في ما لا يعنيه، هذا بجهله، وهذا بهواه. فيؤذي نفسه، ويؤذي الناس، ويؤذي الأمة.

(١) صحيح مسلم ـ المقدمة ـ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (٣). حديث رقم (٥).

والجهل الذي نعنيه هو الجهل بمنهاج الله قرآنا وسنّة، وكذلك الجهل بالواقع الذي يعيش فيه ويمارس إيمانـه فيه. فتدبّر منهاج الله عن إيمان يدفع المسلمَ ليفهم واقعه فهمًا إيمانياً، وبذلك يصبح فهمه وتدبره لمنهاج الله والواقع عوناً له على كبح هواه إذا تحرك، وضبطه إذا أراد أن يتفلت.

لهذا كله نجد عظمة حديث رسول الله وهو يضع هذه القاعدة العظيمة التي تساعد المؤمن على معرفة حدوده فلا يتجاوزها، ومعرفة حدود الناس فيعينهم فيها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه». رواه الترمذي ومالك[1]

وقد يحسب بعض الناس أنه يجد في هذا الحديث ما يبرِّر إدباره عن بعض واجباته وأمانته ومسئوليته: في حياته، أو حياة أسرته، أو أصحابه، أو أمته. إن الحديث واضح جليّ، وهو مرتبط، متماسك، متناسق مع سائر قواعد منهاج الله. فلا مجال لمسلم في أن يتفلت من أمانته ومسئوليته. ولكن المسلم يجب عليه أن يعرف مسئوليّته وواجباته وأمانته من منهاج الله أولاً. فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي وضع الأمانة، وحدد المسئولية، وشرع الأحكام. فمن العبث أن يضيع المسلم وقته وجهده ليقرّر هو لنفسه حدوداً يرسمها هواه ورغباته. على المسلم أن ينهض إذن إلى منهاج الله ليعرف من هناك ـ لا من أهوائه وأهواء الناس ـ مسئولياته وأمانته وما عهد الله إليه به من واجبات. وليذكر المؤمن دائمًا أنه على عهد مع الله وميثاق، وأن هذا العهد مع الله وهذا الميثاق يعرضه منهاج الله مفصّلاً[2].

لذلك كان من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. إنه من حسن علمه بالإسلام، وحسن ممارسته للإسلام، حين يعرف معرفة إيمان وعقيدة، لا معرفة ظنون وتخمين. إنه يعرف حدوده وواجباته معرفة إيمان ويقين، ومعرفة تصديق ووعي.

بهذه القاعدة الإيمانيّة العظيمة تنتظم أُمور المسلمين، وتغيب بواعث الفتن، وتستقيم الخطا على نهج قويم ودرب كريم، ويعرف الناس حدودهم، وتنهض العزائم متكاتفة، والنفوس متراحمة، والقوى متناسقة.

---

(١) سنن الترمذي ـ كتاب الزهد (٣٧) ـ باب (١١) ـ حديث رقم (٢٣١٧) موطأ مالك ـ كتاب الجامع ـ باب ما جاء في حسن الخلق ـ حديث رقم (١٦٢٩).

(٢) يُراجع كتاب لقاء المؤمنين الجزء الأول باب: الإيمان والعهد.

٢ ـ د ـ إنزال الناس منازلهم :

من البداهة إذن بعد هذه التوجيهات التي عرضناها، أن يستقيم الناس إذا اتبعوها، فيأخذ كل إنسان منزلته، ويعرف لكل إنسان قدره. فإن هذا هو باب من أبواب العدالة والحق، والأمانة والأمن، والمروءة والشرف، ولا يُظلم أحد.

فجاء حديث رسول الله ﷺ يثبت هذه القاعدة في المجتمع، ويبني النفوس على إشراقها ووضوحها :

عن ميمون بن أبي شيبة رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مرَّ بها سائل فأعطته كِسْرَة، ومرّ بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته، فأكل فقيل لها في ذلك. فقالت: قال رسول الله ﷺ : «أنزلوا الناس منازلهم». رواه أبو داود[(١)]

لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة. وذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال: «**وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: «أَمَرَنَا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم**». وذكره الحاكم أبو عبدالله في كتابه: «معرفة علوم الحديث» وقال: هو حديث صحيح.

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون منازل بعضهم بعضاً، ويعرفون أقدارهم، ويرتبط سلوكهم بهذه المعرفة، فيصوغ الإيمان أخلاقهم وأساليبهم :

عن أبي سعيد سَمُرَةَ بنِ جُندَبٍ رضي الله عنه قال: لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنّ هٰهنا رجالاً هم أسنّ مني».
رواه البخاري ومسلم[(٢)]

ولا يضطرب سلوك المؤمنين وهم في مدرسة النبوّة، ونور الإيمان وجلاء العلم. لا يهبط بهم أبداً زخرف شعارات كاذبة، وحميَّة جاهلية مطليّة بأصباغ وألوان.

ولا يضطرب سلوكهم والقرآن الكريم يتنزل على الرسول ﷺ، يتلونه، ويتعلمونه، ويتدبرونه، ويعملون به :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

---

(١) سنن أبي داود. كتاب الأدب (٣٥). باب تنزيل الناس منازلهم (٢٣). حديث رقم (٤٨٤٢).
(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الجنائز (١١) باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه (٢٧). حديث رقم (٦٩٤).

غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. (الأعراف: ٨٥).

وهكذا كان توجيه شعيب رسول الله عليه السلام لقومه مرتبطاً بالعقيدة والتوحيد: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾. إنه تعبير عام يرد عادة بخصوص البيع والشراء. ولكن الميزان أمر وضعه الله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾. (الرحمن: ٧، ٨).

فالميزان تعبير عام يدل على ضرورة وزن الأموركلها بمنهاج الله، ووزن حقوق الناس كذلك بمنهاج الله. وجاء التعبيز القرآنّي، في الآية الكريمة بعد الكيل والميزان، عامّا يشمل أشياء الناس كلها: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾. جميع أشيائهم، جميع حقوقهم، أموالهم، ومنازلهم، وعلمهم، وشرفهم، وغير ذلك.

إنّ هذا التوجيه هو أساس هام يقوم عليه المجتمع، وتنهض عليه الأُمة. والأُمة العزيزة الشريفة تحفظ للناس شرفهم ومروءتهم، وتعرف للناس منازلهم، ولا تبخسهم أشياءهم.

بمثل هذا التوجيه تحفظ الأُمة قوّتها من أن تتبدّد، وتصون طاقتها من أن تتمزّق، وتحمي مواهبها من أن تموت وتدفن. وينتظم الناس على منازل أمينة، ومواقع عادلة، ويصبح المؤمنون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص. وخلاف ذلك فإنه فساد في الأرض وإفساد. نعم..! إنها قاعدة عظيمة: **﴿وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾**.

إنها قواعد الإيمان، يتمسّك بها المؤمنون. ويقوم عليها مجتمعهم، ويستقرّ بها أمنهم، وتتنزّل عليهم رحمة الله بها.

٣ ـ معرفة المسلمين بعضهم بعضاً:

إن معرفة المسلمين بعضهم بعضا أمر هام وضروريّ في حياة الأُمة المسلمة. إن كثيراً من قواعد الإسلام في الحياة العامة تقوم على أساس من معرفة الناس بعضهم بعضاً. ومن أخطر هذه الأمور هو معرفة منازلهم وحدودهم، وإنزال الناس منازلهم. وهذا أمر واسع ممتد في

نشاط الحياة العامة، لا ينحصر في زاوية ضيّقة مخنوقة، ولا ينحصر في نظرية ورأي. إنه أمر ممتد في الممارسة العملية التطبيقية في حياة الجماعة المؤمنة.

كيف يكون المؤمنون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص إذا لم يعرف المؤمنون بعضهم بعضاً؟

كيف يستطيع المؤمنون أن ينزلوا الناس منازلهم الأمينة إذا لم يعرف الناس بعضهم بعضاً؟

كيف يصدق التعاون الذي يأمر به الإسلام، وكيف تصدق الأُخوة في الله، وكيف تقوم سائر روابط المؤمنين وموالاتهم، إذا جهل بعضهم بعضاً؟

لا تقوم قواعد الإسلام على جهل. ولا تُمارس في جهل، ولا تنجح حياة المؤمنين في ظلمات الجهل. إن الإسلام نور ووضوح وصدق، فهو يعمل في نور ووضوح وصدق.

ولذلك جاءت تعاليم الإسلام وقواعد الإيمان لترسي هذا المبدأ العظيم في حياة المؤمنين، مبدأ معرفة بعضهم بعضا في حدود ما تطلبه أمانة الممارسة الإيمانيّة، وسلامة المجتمع الإيماني. ونورد هنا موجزاً سريعاً لأهم هذه القواعد، ويظلّ منهاج الله وحده هو الذي يعطي الصورة الكاملة المترابطة المتناسقة لهذه القاعدة وغيرها من قواعد الإسلام والإيمان:

٣ ـ أ ـ الاختلاط بالناس وفضله :

في الحديث المرفوع عن ابن عمر رضي الله عنه: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

رواه أحمد والترمذي وابن ماجة[(١)]

فالاختلاط بالناس هو أول أبواب المعرفة، وأول المسالك لفهم الناس ودراستهم، ومعرفة أُصولهم، وأخلاقهم، وعلمهم، ونفوسهم، ونشاطهم وهذه المعرفة نفسها تساعد على الاتصال بالناس والاختلاط بهم، والاختلاط نفسه ينمّي هذه المعرفة، حتى يظلّ التأثير متبادلاً، يَقْوَى هذا بقوّة ذاك، فتشتدّ روابط المؤمنين، وتقوى عُراهم.

ولا يدعو الإسلام إلى هذا الاختلاط دون أن تكون هنالك أهداف نظيفة مشرقة واضحة من ناحية، وأساليب نظيفة مشرقة واضحة من ناحية أُخرى. وبذلك يكون التعارف مرتبطاً بالإيمان وأُسسه، وبالعقيدة كلها: نيّة وأهدافاً وأساليب.

---

(١) سنن ابن ماجة. أبواب الفتن (٣١). باب الصبر على البلاء (٢٣). حديث رقم (٤٠٨١). سنن الترمذي كتاب صفة القيامة (٣٨). باب (٥٥). حديث رقم (٢٥٠٧).

وأهم أهداف دراسة الناس والتعارف إليهم هي : الدعوة إلى الله ورسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يسر الممارسة الإيمانيّة في الواقع، للإصلاح بين الناس، أداء الواجبات الاجتماعية من شفاعة، وشهادة، ونصيحة، وبرٍّ، وزيارة، وتعاون، وإنزال الناس منازلهم، والحذر من خطأ المسلم حتى لا يتسع الخطأ ويتراكم إلى شر وفتنة، والحذر من خطر المنافق، وكيد الكافر، ومكر شياطين الإنس والجن.

وأهم الأساليب تعتمد على صفاء الأخوة بالله، صفاء مبنيّاً على صدق في الإيمان وقوة في العلم، تيُسِّر ممارسة الأُخوة ربّانيّة واعية. وتعتمد الأساليب بذلك على حقيقة فهم الحبّ في الله فهماً صافياً كذلك، لا يقعد بالمسلم عن واجب، ولا يدفعه إلى فتنة وظلم، ولا إلى عصبية وجهل.

٣ ـ ب ـ الروابط الإيمانيّة:

والروابط الإيمانيّة التي وثق عراها الإسلام هي من أهم العوامل التي تيسر معرفة المسلمين بعضهم بعضاً، ومن ثم تساعد على معرفة المسلم لحدوده وحدود الآخرين، ومنازل الناس وأقدارهم.

ولقد سبق أن درسنا أهم هذه الروابط الإيمانيّة في كتابنا دور المنهاج الربّانيّ في الدعوة الإسلامية (الباب الرابع ـ الفصل الثاني ـ البند السابع): فالناس أولاً وقبل كل شيء من أصل واحد، من آدم عليه السلام، يعبدون رباً واحداً هو الله سبحانه وتعالى، على دين الإسلام. ثم رابطة الولاء بين المؤمنين، الرابطة النابعة من صدق الولاء لله سبحانه وتعالى. فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض في أُخوة واعية وحب طاهر في الله. وينشأ عن الموالاة والأُخوة في الله حقوق شرعها الإسلام وواجبات بيّنها. ثم رابطة العائلة والأسرة، وبرّ الوالدين وصلة الأرحام كلها. ثم حق الجوار وإكرام الضيف، ثم برّ أصدقاء الأب، والأهل والأقارب على طاعة لله وعلم بدين الله.

هذه الروابط الإيمانيّة كلما اشتدت عراها دَنا المسلمون بعضهم من بعض، وسهل تعارفهم، وتيسر تآلفهم، في إشراقة إيمان، ووضاءة حب، وطهارة تعاون، ووعي لا يضيع في غفلة حمقاء، ولا في فتنة ماكرة. وهذا العامل يرتبط ويتناسق مع سائر العوامل، ويعمل معها بدون أن يعمل وحده، حتى يتحقق إيمان ويصدق إسلام.

والأنساب من الروابط الإيمانيّة، حين يصوغها الإسلام برًّا وإحساناً، وحتى ينفي عنها الإسلام عصبيات الجاهلية، يوجه أبناءه إلى هدف الأنساب، وغايتها الإيمانيّة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم. فإن صلة الرحم محبّة في الأهل، مَثْرَاةٌ في المال، منسأة في الأثر».

رواه الترمذي وقال عنه حديث غريب[1]

٣ ـ جـ ـ الآداب الاجتماعية:

ولقد أقرّ الإسلام آداباً اجتماعية ترتبط مع سائر قواعد الإيمان ارتباط عقيدة ونهج. وتأخذ هذه الآداب الاجتماعية دورها في تحقيق سلامة تعارف المسلمين، وقوة تحقيق أهداف هذا التعارف. فالزيارات في مختلف وجوهها الاجتماعية، حين يصوغها المجتمع صياغة إيمانية تحقق أهـداف التعارف الكريم. وعيادة المرضى تأخذ دوراً عظيمًا في الحياة الاجتماعية في أسلوبها الإيمانيّ النظيف، والنيّة الصادقة الواعية، علاوة على الحافز الرئيسي وهو الأجر من عند الله والثواب. والرفقة في السفر قاعدة أوصى بها الإسلام، وهي تغذّي التعارف وتنميه بصـورة لا تتوافر في السكن والإقامة، وتنشىء من صور التعارف ما لا يتيسَّر في غيرها، والسـلام وردّ السـلام وإفشاؤه قاعدة عظيمة أخرى تقرِّب المسلمين بعضهم من بعض، وتربط القلوب برباط الألفة والمحبة.

٣ ـ د ـ الشعائر:

وجاءت شعائر الإسلام تركز على هذا العامل الهام من تعارف المسلمين وربطهم في صف واحد كالبنيان المرصوص.

فصلاة الجماعة في المسجد خمس مرّات في اليوم، وصلاة الجمعة مرة كل أسبوع، والحج مرّة كل سنّة، والعمرة كذلك هي تجمُّعٌ وتعارف خلال العام، هذه كلها تؤدي دورها العظيم في تعارف المسلمين وربطهم. وتؤدي دورها في بناء التعاون والتّراحم وحماية روابط الإيمان، وصون الآداب الاجتماعية.

والـزكـاة تجمـع الأغنياء والفقـراء في بوتقـة الإيمان، وتراحم الإسلام، وجمع القلوب السليمة. والصدقة عامة تؤدي الدور العظيم في هذا المجال.

---

(١) سنن الترمذي ـ كتاب البّر والصلة (٢٨) ـ باب ما جاء في تعليم النسب (٤٩). حديث رقم (١٩٧٩).

إن جميع شعائر الإسلام التعبدِّية تساهم مساهمة واسعة في حقيقة تعارف المسلمين على نحو متميّز. إنها تهيّيء الجوّ النظيف الطاهر لهذا التعارف الكريم.

٣ ـ هـ ـ الأخلاق الإيمانيّة:

وتساهم الأخلاق الإيمانيّة بدور عظيم في تحقيق تعارف المؤمنين على أهدافه الطاهرة وأساليبه الطاهرة. وتستمر أخلاق الإسلام تقدم الريّ والغذاء الدائمين لهذا الأمر الهام. إن أخلاق الإسلام كلها، واحدةً واحدةً، تساعد في ذلك. وأخلاق الإسلام تمتد إلى جميع ميادين الحياة، وجميع أشكال الممارسة الإيمانيّة. ومن هنا كانت أهميتها وعظمتها. وأخلاق الإسلام نابعة كلها من الإيمان، مرتبطة بعقيدة ونهج. فهي أخلاق متكاملة متناسقة. وهي تستلّ الضغائن والشحناء، وتورث المحبّة والألفة في عناصر الخير ومعادن الرجال.

فالتواضع وخفض الجناح للمؤمنين، والرفق وعدم الغلظة، وتحريم الكبر والغرور والإعجاب، وإقرار التوادّ والتراحم، وتحريم الغيبة والنميمة والظنّ والافتراء والظلم كله، والتعاون والكرم والإحسان في العمل كله، هذا كله يقرّب النفوس ويربطها، ويحفظها ويصونها، وييسّر تعارفها في جوّ مشرق واضح كريم، لا دسيسة فيه ولا خيانة، ولا تجسس ولا كيد.

وأمثلة الأخلاق الإسلامية كثيرة. ونكتفي هنا بالإشارة التي عرضنا، على أن تظل الأخلاق الإسلامية موضع الدراسة والتربية، والإعداد والتدريب، حتى تؤدي حقيقة دورها في بناء الأمة.

وأخطر ما يصيب الأخلاق هو أن تصبح شعارات برّاقة تملأ الكتب والصفحات، والحناجر والهتافات، ولا تجد لها رصيداً كريمًا في الواقع، تحت ضربات معاول الغيبة والنميمة، ومُدَى الظن والدسيسة، وخناجر المكر والافتراء. إنَّ أخطر ما يصيب الأخلاق حين يعلنها جبناء وضعفاء وأهل كيد، يخفون جرائمهم تحت طلاء الشعارات والزّخارف.

إن معرفة المسلمين بعضهم بعضاً ضرورة حتمية حتى تُرعى المنازل والحدود، وحتى يقف كل مسلم عند حدوده وقدره، وحتى ينتظم المؤمنون منازل يشدّ بعضها بعضا، صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، كالجسد الواحد.

بدون هذا يضطرب صفّ المؤمنين، فيتقدّم منافق ويتأخر صادق، ويعلو عدو ويهبط صديق، وينتهي حال المسلمين إلى مأساة بعد مأساة، ومحنة بعد محنة، تحت خدر الشعارات، وبريق المظاهر.

بدون معرفة المسلمين بعضهم بعضاً ينسلّ جهلاء، ويندسّ ضعفاء، يوردون الأُمة موارد الهلاك. والمعرفة يجب أن تكون بوسائل نظيفة وعلى أُسس نظيفة، تصدر كلها عن منهاج الله. فالاختلاط الكريم بالناس، والروابط الإيمانيّة، والآداب الاجتماعية، والأخلاق الإيمانيّة هي جزء من وسائل الإسلام التي تحقق هذه الغاية.

٤ ـ ميزان عادل أمين للحدود والمنازل:

مع هذه القواعد التي سبق عرضها، وضع الإسلام ميزاناً عادلاً أميناً تقاس به الرجال، ويُنْزَل بموجبه الناس منازلهم الأمينة العادلة إنه الميزان الذي ينظم الصفوف، ويضبط الرغبات، ويكبح الهوى، ويجمع العزائم.

إنها سنة من سنن الله أن جعل الناس درجات، ورفع بعضهم فوق بعض. فالناس درجات في الوسع والطاقة، والموهبة والمقدرة، والخبرة والمران، والإيمان والعلم، والحكمة والعقل، والسعة والرزق، والخلق والسلوك، والحلم والصبر، والرحمة والتواضع، وسائر ما يهبه الله للناس من نعم. إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس يتفاوتون في هذه القدرات على حكمة ربّانيّة بالغة، وعدالة ربانيّة ماضية.

ومن هذا الاختلاف في الوسع والقدرة، وما يهبه الله لعباده من أرزاق ونعمة يقع الابتلاء ويجري التمحيص، وتمضي أقدار الله غالبة عادلة.

ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى هذه الحكمة الربانيّة أدق بيان:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾. (الأنعام: ١٦٥).

فارتبطت الدرجات هنا بالابتلاء الذي ينتهي بعقاب سريع أو رحمة ومغفرة من الله. وارتبطت الدرجات كذلك بوجه من وجوه مهمة الإنسان على الأرض **﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض. . . ﴾** فخلائف الأرض والدرجات والابتلاء قواعد تترابط وتتناسق في منهاج رباني متكامل.

والآية الكريمة في سورة الزخرف تضيف ظلالاً جديدة:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾. (الزخرف: ٣٢).

فارتبطت الدرجات هنا بالرزق من ناحية، وبتسخير الناس بعضهم بعضاً من ناحية أُخرى، وذلك كله يمضي على سنن ربانية. ويظلّ السعي إلى رحمة الله خيراً من جمع المال وكنزه. وتظل الأُمور كلها مرهونة بأمر الله وقضائه فهو الرحمن الرحيم، وهو الذي يقسم الرزق بين عباده ويرفعهم درجات بعضهم فوق بعض. ويبقى الميزان الأول هو رحمة الله، وليس المال والرزق.

وفي سورة آل عمران:

﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾. (آل عمران: ١٦٣).

أما هنا فارتبطت الدرجات برضوان الله. والدرجات هنا تحمل ظلال الدار الآخرة. وتصبح سنّة الله مشرقة أمام الناس، واضحة، بيّنة. إنها درجات في الحياة الدنيا، وإنها درجات في الدار الآخرة. وتزداد الصورة وضوحاً مع آيات أُخرى:

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾.
(الإسراء: ٢٠، ٢١).

فهي درجات في الدنيا، وهي كذلك درجات في الآخرة. ولكن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً.

﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾. (طه: ٧٥).

إنها الدرجات العلى في الآخرة حيث تقوم الموازين القسط ليوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً، وتأخذ كل نفس درجتها ومنزلتها العادلة الحقّة بميزان الله الحق العادل. ودرجات الدنيا درجات ابتلاء وتمحيص، ودرجات تبرز من بين عقاب عادل لله، أو ورحمة واسعة منه.

وهي تمضي على سنن ربانيّة ماضية في الحياة الدنيا حتى تتحقق كلمة الله، وينفذ أمره. أما درجات الآخرة فهي نعمة محضة ورحمة سابغة للذين يأتون يوم القيامة مؤمنين، قد عملوا الصالحات في الحياة الدنيا، والذين نالوا رضوان الله، وفازوا برحمته.

وجاء منهاج الله ليبينّ للناس الميزان الذي يجب أن يقوم بينهم في الحياة الدنيا لدراسة الناس وفهمهم، ولإنزال الناس منازلهم. وجعل الله تطبيق هذا الميزان العادل الأمين في الحياة الدنيا باباً من أبواب الابتلاء، ولوناً من ألوان التمحيص، حتى لا يقع من يسعى للحق في ظلم تدفعه إليه عصبيّة جاهلية، من قرابة أو مال أو منصب، أو عامل من رغبة أو رهبة، وحتى لا يكون لأحد حجّة على الله يوم القيامة وقد فصّل لهم منهاجه تفصيلاً.

ونستعرض هنا ملامح هذا الميزان العادل، ملامح منه وقبسات فقط. ونؤكد أن الصورة الكـاملة لهذا الميزان لن يجدها المؤمن إلا في منهاج الله. فهناك يبحث المؤمن عن الصورة الكاملة مشرقة جليّة، واضحة بيّنة. وهنا نحن نذكر أنفسنا والمؤمنين فحسب.

وأهم قواعد المفاضلة والميزان نعرضها فيما يلي:

٤ ـ أ ـ الإيمان والتقوى:

ولقـد بحثنا في هذا الموضوع في أكثر من موضوع فهو العامل الذي يؤثر في كل أوجه النشاط الإيماني، وعوامل الموازنة، ومنهاج العمل. ولكننا نعرض هذا الركن الأساسي كعامل رئيسي في ميزان تقويم الناس وإنزالهم منازلهم. فالإيمان أمر يستقِرُّ في القلب، ثم يبرز في حياة المؤمن الصادق عملاً وسلوكاً، وفكراً ونهجاً، وطريقة وأسلوباً. أما النيّة فإننا في هذا المجال نكلها إلى الله، ولا نستطيع أن نحاسب الناس على نيّاتهم، ولا أن ننزلهم منازلهم على أساس ما يمكن أن يدعيه الناس من أمر نياتهم. ولكنّ العنصر الذي يعنينا، والذي نتحمل مسئوليته في الحياة الدنيا مسئولية ابتلاء وتمحيص، هو العمل والسلوك، والفكر والنهج، والطريقة والأسلوب، وما يحمل ذلك كله من ارتباط بمنهاج الله وقواعده وأسسه، بعيداً عن الهـوى، بعيداً عن موازين المصـالـح والعصبيات، ومـوازين الجهـل والغفلة، ومـوازين الشعارات والزخارف.

إن الإيمان والتقوى، حين يستقران في القلب عن يقين وعلم ينتقلان إلى العمل والممارسة الإيمانيّة. ويبرز ذلك في حياة المسلم في أمور عدة مما يمكن أن يراه الناس، ويزنونه بميزان الإسلام.

فشعائر العبادات حين تؤدى بخشوع، والمحافظة على السنّة الثابتة محافظة وعي وعلم وفقه، والتوبة والاستغفار والدعاء عامة، ذلك كله يمكن أن يشير إلى إيمان وتقوى:

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨).

وفي الحديث الشريف: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان». رواه الترمذي[١]

ثم السلوك عامة من مبادرة واضحة إلى الخيرات، ومجاهدة النفس على طاعة الله، والابتعاد عما حرّم الله، والصبر، والانقياد لحكم الله ولمنهاجه، والتعاون على برّ وتقوى، والنصيحة الصادقة الأمينة، والأمانة والاستقامة، وحفظ حقوق الناس عامة، وبر الوالدين والأرحام والجار والمؤمنين عامة، ذلك كله مما يشير إلى إيمان وتقوى. ولا ننكر أن الوسع والفطرة وما نشأت عليه تؤثر في كثير من نواحي السلوك، ولكنّ الإيمان يجلو ذلك حتى من وسع ضيّق، ليبرز صفاء الإيمان وجمال الخشوع، ورونق العبادة. ولا نأخذ أمارة واحدة نكتفي بها لتشهد لصاحبها بالإيمان وصدقه إذا كانت سائر الأمارات معطلة أو متناقضة مع الإيمان. فاعتياد المساجد اعتياد صدق وإيمان يقضي بأن ينعكس ذلك على سائر السلوك حتى تصح الشهادة بالإيمان. فمن اعتاد المساجد صادقاً يكون قائمًا على سائر العبادات، أميناً، لا يكذب ولا يغشّ ولا يخدع ولا يفتري ولا يأكل حقوق الناس ولا يظلم عباد الله.

وكذلك فسائر ما يرد من قواعد وأُسس لهذه الموازنة يرتبط بالإيمان حتى لا تصحّ بغيره، ولا تستقيم في موازنة إذا انفصلت عن الإيمان.

ولابدّ من أن نوضح قضيّة تكون أحياناً موضع لبس واختلاط. فالرجل المؤمن لا يعني أنه أصبح بإيمانه فحسب صالحاً لأن يُسنَد إليه أي عمل، أو يُعهد إليه مسئوليّة. فلكل عمل قدرة خاصة يحتاجها، ولكل مسئوليّة وسع لازم لأدائها. فالإيمان لا يجعل الجاهل عالماً إلا إذا نهض إلى العلم واستوعب وسعه فيه، فينال منه بقدر ما وهبه الله من وسع. والإيمان كذلك لا يجعل الرجل خبيراً اقتصادياً، وعالماً رياضياً، وأديباً عبقرياً، أو رجل سياسة، أو طاقة إدارة، إلا إذا وهبه الله مع الإيمان موهبة تتسع لهذا التخصص أو ذاك. وعلى قدر ما يكتسب من علم وخبرة تصقل موهبته يصبح أهلاً لهذا العمل أو ذاك.

(١) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ باب ومن سورة التوبه (١٠) حديث رقم (٣٠٩٣).

نقول ذلك لأن كثيراً من الناس يطلب من الرجل الصالح ما لا يقوى عليه. فأما المؤمن الصادق فلا يقفو ما ليس له به علم، ويلزم حدوده، ويعرف منزلته. وأما الضعيف فإن الشيطان يزيّن له بضعفه شهوة الوثبة إلى ما ليس هو له بكفء. فإذا بلغ ذلك أخذ الشيطان يزيّن له الفتنة بعد الفتنة، والغرور بعد الغرور، فيقع في آثام ومعاصٍ كان يمكن أن ينجو منها لو عرف حدوده.

ولذلك نجد القرآن الكريم يربط الإيمان والذين آمنوا بعنصر آخر من عناصر الموازنة. وترتبط هاتان اللفظتان غالباً بالعمل أو العلم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس: ٩).

ويتكرر هذا التعبير القرآني كثيراً في كتاب الله، يقرن الإيمان بالعمل، بالعمل الصالح، فتصبح الموازنة بعد ذلك أوضح صورة.

وفي سورة المجادلة تتضح المنازل على صورة بينة لتقدم كذلك عنصرين من العناصر التي تساعد على تحديد المنازل والدرجات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١١).

٤ ـ ب ـ العلم:

ولا يصحُّ العلم في ميزان الإسلام إلا إذا قام على الإيمان. ويكون أساس العلم هو العلم بمنهاج الله قرآنا وسنّة. عندئذ يصبح العلم عنصراً يقدّم المؤمن ويرفعه، ويزكيه وينفعه.

ولقد سبقت الآية الكريمة من سورة المجادلة قبل أسطر قليلة وفيها: ﴿... **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات...** ﴾.

وتأتي المقارنة والموازنة قويّة جليّة في سورة الرعد:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. (الرعد: ١٩).

وكذلك:

﴿ .... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ .... ﴾.
(الرعد: ١٦).

وفي سورة الزمر تأتي الموازنة مباشرة بين العلم والجهل مرتبطة بالإيمان وأداء الشعائر قنوتاً وخشوعاً وخشية اليوم الآخر:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾. (الزمر: ٩).

وفي حديث رسول الله ﷺ تأتي الموازنة العادلة والقواعد الأمينة كذلك في واقع الممارسة والتطبيق:

عن جابر بن عبدالله قال كان النبيّ ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أُشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصلّ عليهم .

رواه البخاري[1]

«أيها أكثر أخذاً للقرآن؟» هكذا يرد التعبير ليضع الميزان في صورته الصحيحة. فالأخذ لا يعني التلاوة وحدها، ولا التجويد وحده، ولا العلم وحده. ولكنّ الأخذ يجمع ثلاثة أُمور في لفظة واحدة: العلم بالقرآن مع الإيمان والتصديق، ثم العمل به.

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». ثم قال رسول الله ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلّون على معلمي الناس الخير».

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح[2]

وتمضي الأحاديث الشريفة تبين منزلة العلم والعلماء وتؤكد دور العلم في تحديد منازل الناس، دون أن ينفصل العلم عن سائر العناصر في ميزان الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز (٢٣) باب الصلاة على الشهيد (٧٣). وفي كتاب المغازي (٦٤) باب (٢٦).

(٢) سنن الترمذي ـ كتاب العلم (٤٢)، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (١٩) حديث رقم (٢٦٨٥).

والـذي نودّ أن نشير إليه في موضوع العلم، وما يتصل بذلك في تحديد منازل الناس ومعرفة حدودهم ودرجاتهم، هو التخصص العلمي في العمل الذي يسند إلى هذا الرجل أو ذاك. فمع أنه من واجب المسلم أن يتعلم كتاب الله وسنّة نبيه، لأن هذا هو المنهاج الربّاني الذي يرسم للمؤمن نهج حياته كلها، فلابدّ للمسلم كذلك من أن يتقن العلم الذي يرتبط بما يعهد إليه من عمل. فالتخصص العلمي ضرورة في تحديد الدرجات والمنازل في هذا الميدان أو ذاك. وتبرز هذه الناحية في عصرنا الحاضر بروزاً قوياً. ولكنها لا تعني أن هذا التخصص العلمي ينفع في ميزان الإيمان، إذا تجرد صاحبه من إيمان وعلم بمنهاج الله قدر وسعه وطاقته.

وكذلك حديث رسول الله ﷺ:

عن ابن عمر رضـي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». متفق عليه[1]

وتمضي أحاديث رسول الله ﷺ توضح الآيات الكريمة.

٤ ـ جـ ـ القرآن الكريم والسنّة الشريفة:

لقد مرّ معنا بعض الأحاديث الشريفة عن دور العلم بالقرآن الكريم والسنّة الشريفة وما يقدّمان لصاحبهما من درجات. فإذا كان هذا العلم مرتبطاً بالإيمان نفع صاحبه في الدنيا والآخرة، ورفع درجاته وأعلى مرتبته.

فعن عمر بن الخطاب رضـي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين». رواه مسلم[2]

فالمنهاج الرباني هو أساس كل علم. وهو يرفع الناس درجات مع قوة إيمانهم وتصديق عملهم. وتنخفض درجـات النـاس بضعف علمهم بالمنهـاج الربـاني، وضعف إيمانهم وعملهم، أو مخالفة عملهم لمنهاج الله. هكذا يكون الميزان العادل الأمين. وهذا هو أساس كل ميزان.

---

(١) صحيح مسلم ـ كتـاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) ـ باب فضل من يقوم بالقرآن... (٤٧). حديث رقم (٨١٥).

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين (٦) ـ باب فضل من يقوم بالقرآن.. (٤٧) حديث رقم (٨١٧).

وعن أبي مسعود عقبةَ بن عَمْرٍو البَدْرِيِّ الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنّاً. ولا يؤمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه». وفي رواية فأقدمهم سِلْماً. أي إسلاماً. رواه مسلم[1]

فهذا موضع تظهر فيه الدرجات، وموقف تتميز فيه المنازل وهو الإمامة في الصلاة ومن أحق بها. فلقد جعل الإسلام لها ميزاناً واضحاً عدلاً أميناً: القرآن، السنة، الهجرة، السنّ، ثم أدب التعامل وحقوق صاحب السلطان. ميزان عادل لا يحقّ لأحد أن يبدّل فيه أو ينقص منه. ميزان يوضح الدرجات والمنازل في موقف من المواقف، ومثل من الأمثلة.

ومع الصفوف في الصلاة ودرجاتها:

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». رواه مسلم[2]

وهكذا يظل ميزان الإسلام العادل الأمين هو الذي يحدد المراتب والمنازل والدرجات. وهنا يأتي التعبير على نفس النسق من البيان والقوة: «**أولو الأحلام والنهى**» إنهم البالغون أهل الحلم والفضل والعقل.

ويظل أهل الحلم والفضل والعقل، وهم بالنتيجة أهل الإيمان والعلم كذلك، يظلون هم الأقرب للإمام في الصلاة وفي غيرها. فالإمام لا يحتاج أهل الأهواء وأرباب المصالح حوله، وإنما يحتاج أهل الإيمان والتقوى، وأهل الحلم والفضل، وأهل العلم والنصيحة.

٤ ـ د ـ الفطرة والمعدن، والموهبة والوسع:

ويتمايز الناس بمعادنهم وفطرتهم، ويتمايزون بمواهبهم ووسعهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «الناس معادن كالذهب والفضّة،

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) ـ باب من أحق بالامامة (٥٣) ـ حديث رقم (٦٧٣).

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الصلاة (٤) ـ باب تسوية الصفوف (٢٨) حديث رقم (٤٣٢).

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواحُ جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» . رواه مسلم[1]

فارتبطت الموهبة والمعدن والفطرة والوسع في هذا الحديث الشريف بأمرين: أولهما الإسلام «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»، والثاني هو الفقه. والفقه يقوم على العلم بالمنهاج الربانّي أولاً ثم العلم بالواقع، ثم هو مرتبط بالمعدن والفطرة، والموهبة والوسع. وذلك كله يقوم على الإيمان الذي فطر عليه الإنسان، إذا حافظت فطرته على سلامتها ولم تنحرف إلى جاهلية وضلالة.

والحديث الشريف يقارن الناس ويبينّ لنا عنصراً من عناصر المفاضلة لا يؤخذ وحده. إنه المعدن الذي جُبل عليه الإنسان، والفطرة التي ولد ونشأ عليها. إنها عنصر يقدم الخيار من الناس، يقدم أهل الجود والشجاعة، والوسع والقوة، والموهبة والسداد، إذا وهبهم الله ذلك في فطرتهم. وإن العلم والفقه ليجلو الموهبة والوسع، ويجلو الفطرة والمعدن حتى يشعّ ذلك كله في نور الإيمان وضياء الإسلام.

ويرتبط هذا العنصر من خلال الآيات الكريمة بكل عناصر القوة والخير المغروسة في الفطرة لتتقدّم «**أُولو الألباب**» كما يعرفهم القرآن الكريم فأُولو الألباب هم الذين يمتد وسعهم إلى أن يجمع العلم والحكمة والتدبر والذكرى والهدى. . . . وسائر ما يغرسه الله من قدرات ونوازع للخير والقوة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. (الزمر: ١٧، ١٨).

وهكذا يبرز المعدن والفطرة، والوسع والموهبة لتكون عاملاً من تحديد المنازل والدرجات. ويظل هذا العمل، مثل سائر العوامل، لا يعمل وحده، وإنما يرتبط بسائر العوامل الأخرى، لتعمل كلها معاً، فتتضح الدرجات والمنازل.

وكل عامل من هذه العوامل يظلّ يذكرنا بأهمية معرفة الناس ودراستهم، وفهمهم وتجربتهم، حتى تنجلي معادنهم وسجاياهم، ووسعهم وقدراتهم، وسائر خصائصهم، فيوفى كل إنسان حقه.

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) ـ باب الأرواح جنود مجنده (٤٩) ـ حديث رقم (٢٦٣٨).

٤ ـ هـ ـ الخبرة والمران، والعمل والممارسة:

في معظم مواقف التقدير والدراسة، يكون الرجل صاحب الخبرة والمران، أقرب إلى التوثيق والاعتماد من غيره. فالخبرة تنمي على أساس الإيمان والعلم موهبةَ الإنسان ووسعه وطاقته، وتجلو مداركه ومعدنه، وتبرز حقه ودوره.

وإذا اجتمعت الفطرة والمعدن مع الإيمان والعلم والخبرة فإن عناصر الخير تلتقي لتقدم للأمة بذور النماء والغناء. ولا تأتي الخبرة إلا عن عمل وممارسة، وجهد وبذل. فإن العمل هو الذي يقدم الخبرة وينميها ويغذّي الزاد ويعظمه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لا حليم إلا ذو عَثْرةٍ، ولا حكيمَ إلا ذو تَجْرِبَةٍ». رواه الترمذي[1] وأحمد والحاكم

٤ ـ و ـ الحكمة والحجّة:

والحكمة ثمرة طيبة مباركة، ونعمة وارفة خيّرة، وزاد هنيء كريم. إنها لقاء الإيمان والعلم والموهبة والخبرة، تجتمع كلها في إنسان نعمة عليه من الله، فيؤتى خيراً كثيراً، وما يبلغها إلا أولو الألباب.

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. (البقرة: ٢٦٩).

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾. (النحل: ١٢٥).

وترتفع الحكمة في منزلتها حتى تكون زاد الأنبياء ومدار بلاغهم ونعمة الله عليهم:

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ .... ﴾ (الإسراء: ٣٩).

﴿ ... وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ... ﴾.
(المائدة: ١١٠).

﴿ ... يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ... ﴾.
(البقرة: ١٢٩).

وتتوالى الآيات الكريمة لتحمل كلّ آية ظلاً جديداً من معانيها، وبعداً أعمق، ومدى أوسع.

---

(١) سنن الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في التجارب ـ حديث رقم (٢٠٣٣).

وفي حديث رسول الله ﷺ :

عن ابن مسعود رضـي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحقّ ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» .

متفق عليه[1]

فالحكمة نعمة واسعة من الله على الإنسان، وخير كثير ممتد. وهي عامل هام في معرفة الناس وتقديرهم، وإنزال الناس منازلهم. وهي عامل هام في معرفة الحدود والدرجات، تعمل مع سائر العوامل لتكون كلها الميزان العادل الأمين.

والحجـة هي ثمـرة الحكمـة وعـطاؤها، وهي كذلك نعمة من الله يرفع بها الدرجات والمنازل. ذلك ما دامت الحجة قوة للحق، قائمة على الإيمان، جامعة لسائر عناصر ميزان الإسلام، ليمضي الحقّ في الأرض قوياً عزيزاً.

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام : ٨٣).

والحجـة لا تكون ثمرة الحكمة ولا عاملا من عوامل ميزان الإسلام، إذا كانت حجة باطل، وعدة منافق، وكلمة مفتر. ومن هنا ترتبط الحجة بالإيمان والعلم والخبرة والوسع، إنها ترتبط بالحكمة.

٤ ـ ز ـ الجهاد والعمل :

والجهاد في سبيل الله قاعدة كبيرة في الإسلام، ولكننا ندرسه هنا من حيث أنه عامل في معرفة الحدود والدرجات والمنازل، حتى لا يُظلم الناس وحتى تعرف حقوقهم. ولقد توالت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في بيان منزلة الجهاد. ونود أن نستعرض قبسات من كتاب الله تبينّ دور الجهاد في تحديد الدرجات والمنازل بين المؤمنين. ولكننا نبادر لنستدرك هنا أن الجهاد الذي نعنيه ليس القتال العسكري تحت أي راية وأي شعار، أو في ظل أي عقيدة وأي مبدأ. إنه الجهاد في سبيل الله فقط مستوفياً جميع شروطه التي وردت في منهاج الله شرطاً شرطاً. وبإيجاز إنه جهاد الأمة المسلمة التي تشقّ طريقها إلى الجنّة لتجعل كلمة الله هي العليا.

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين ـ حديث رقم ٨١٦، وفي صحيح البخاري في كتاب العلم.

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ .

(التوبة : ١٩ ـ ٢١) .

فهذه الآيات الكريمات تبين مقارنة بين المنازل والدرجات : ﴿**أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون**﴾ ، في موقف من مواقف التقدير والمقارنة . وفي سورة النساء تأتي المقارنة بين درجتين أُخريين خلاف ما عرضتْ الآيات السابقة .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . (النساء : ٩٥) .

إنها درجات عند الله ، وإنها مغفرة ورحمة من الله . وإننا نتأدب بأدب القرآن الكريم لنجعل ميزاننا في الحياة الدنيا هو ما نتعلمه من كتاب الله وسنّة نبيه ، لا ما توحيه أهواؤنا ، وتزينه شياطين الإنس والجنّ .

والعمل كله يقدم الإنسان أو يؤخره . يقدمه العمل الصالح الدائب المرتبط بالإيمان وبمنهاج الله . ويؤخره الباطل والعمل الفاسد . ويصبح العمل عنصراً من عناصر التقدير والتقويم ما دام مرتبطاً بعناصره الإيمانيّة .

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ . (الأنعام : ١٣٢) .

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . (الأحقاف : ١٩) .

فالعمل عنصر من عناصر التقدير وعامل من عوامل التحديد ، يرفع الإنسان درجات . ولكن إذا أخطأ الناس في التقدير والتحديد ، وفات على الإنسان حقه من عمله ، ولم يوفَّ درجته ومنزلته ، فإن الله عالم بعمله ، سيوفيه حقّه ، ويبلغه درجته ولن يُظْلَمَ أبدا .

وَيرى الله عمل الناس ليوفيهم أُجورهم ، ويرى المؤمنون ذلك أيضاً حتى لا يبخسوا

الناس أشياءهم وحتى ينزلوا الناس منازلهم في الدنيا، ولكن منازل الآخرة أعظم درجة.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. (التوبة: ١٠٥).

والإنفاق من أبواب الجهاد والعمل، بل ومن أهم أبوابها. ويضع الإسلام قواعد مترابطة للإنفاق حتى يكون الإنفاق باباً من أبواب الجهاد والعمل الصالح، وعنصراً من عناصر التقدير والميزان.

ونرى في سورة الحديد كيف تتحد المنازل والحدود، وتقوم الدرجات والمراتب على أساس من الإنفاق، وقته ومكانه، ومدى تأثيره على مسيرة الدعوة، ودوره في دفع خطواتها.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾. (الحديد: ١٠).

لقد كانت الدعوة في أول خطواتها، تمضي والمحنة تتلوها محنة. وجنود الدعوة لا يملكون الثروة الطائلة لينفقوها في سبيل الله، ففي تلك المرحلة وتلك الظروف كان الإنفاق على الدعوة يمثل خطوة هامة وعملاً كبيراً. ذلك لقلة القادرين على الإنفاق ولعظم الحاجة إلى المال كذلك. وأما بعد فتح مكة فقد هيأ الله للدعوة مصادر واسعة، وأفرادا أعظم عدداً وأوسع مالاً. ولقد استقرت الدعوة وظهر أمرها.

فجاءت المقارنة بين الإنفاق في مرحلتين لتعطي درجة أعلى لمن أنفق من قبل الفتح وقاتل. وارتبط الإنفاق هنا بالقتال ارتباط إيمان وعقيدة. فأصبح الميزان عادلاً دقيقاً.

٤ ـ حـ ـ السنُّ والشيبة:

وللسنّ والشيبة دور في تحديد المنازل في بعض المواقف. فللسنّ حقّه في التوقير والاحترام، والمساعدة والعون، والتقديم والتقدير على حسب الأمر الذي يعرض. ويزداد دور السنّ والشيبة في تحديد المنازل إذا اقترن مع عنصر أو أكثر من العناصر السابقة، كالعلم والموهبة والخبرة وغيرها.

ولقد مرّ معنا حديث رسول الله ﷺ عن أبي مسعود عقبةَ بن عَمْرٍو البدريِّ الأنصاري عن الإمامة في الصلاة ومن هو أحق بها (بند ٤ . جـ .) ورأينا في الحديث الشريف أن «أقدمهم سنّا» يُقَدَّم للإمامة في الصلاة إذا كانوا سواء في القراءة لكتاب الله، وفي السنّة، وفي الهجرة، وفي الإسلام. ونأخذ أحاديث شريفة أخرى لنرى حقّ السنّ والشيبة في الإسلام، ودورها في تحديد المنازل والدرجات.

عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «أراني في المنام أَتَسّوك بسواك فجذبني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر فقيل لي: كَبِّر. فدفعتُه إلى الأكبر منهما».

رواه مسلم[1] والبخاري

وهنا نرى دقة الإسلام في تأديب أبنائه وجنوده. ففي الأمر الذي قد يراه بعض النّاس هيّنا، لا يستحقُّ تأديباً أو توجيهاً، رفع الإسلام من دوره وجعل له أدبا وقواعد، وجعل للسنّ حقوقاً ودرجات في الأمور الهيّنة، وفي ما هو أجلّ منها.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إنَّ مِنْ إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط».

رواه أبو داود[2]

ميزان عادل أمين. ودرجات بيّنة واضحة. وحقوق كريمة وأدب كريم. إنه الإكرام الذي يستحقه ذو الشيبة المسلم وحامل القرآن بشروطه، ذُو السلطان المقسط. وهكذا يتأدب المسلمون بأدب القرآن والسنة، حتى يعرف الناس فضل بعضهم بعضاً، وتزداد مودتهم، وتقوى عراهم، ويقومون صفاً واحداً كالبنيان المرصوص.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّهِ رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يعرف شرف كبيرنا».

رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3]

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الرؤيا (٤٢) - باب رؤيا النبيّ ﷺ (٤) - حديث رقم (٢٢٧١).

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب إنزال الناس منازلهم.

(٣) سنن أبي داود. سنن الترمذي - كتاب البر والصلة (٢٨) - باب ما جاء في رحمة الصبيّ. حديث رقم (١٩١٩).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكرم شابٌّ شيخاً لسنّه إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنّه». رواه الترمذي وقال حديث غريب[1]

وعن أبي سعيد سَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنّ هٰهنا رِجالاهم أسنّ مني». متفق عليه[2]

ونلاحظ هنا أدب سَمُرَةَ بن جُندُبٍ في مجالس المؤمنين حين تذكر أحاديث رسول الله ﷺ. ولكن إذا تحدّث من هو أصغر سنّاً في علمه المختصّ به، أو فيما يعلمه ويجهله غيره، فلا بأس في ذلك، وقد يكون الحديث من الصغير في بعض المواقف واجباً عليه حتى لا يكتم علمًا. وإنما هنا يعرض الحديث الشريف أدب المسلمين في مجلس يدور فيه ما يعلمه الكبير والصغير أحياناً. فيكون حق الكبير أن يتكلّم. ويجب أن نلاحظ هنا أن من يتكلم من كبير وصغير يحتاج إلى أن يتجه بنيته إلى الله حتى يكون كلامه تَعبُّداً لله تعالى، يبحث المسلم فيه عن الأجر والثواب، لا عن السمعة والرياء، وحب الدنيا، ومزاحمة الدرجات والمراتب.

وهكذا نرى قواعد الإسلام تتوالى لتتناسق فيما بينها من ناحية، ولتتناسق مع منهاج الله كله من ناحية أخرى، حتى يتكامل ميزان الإسلام في إنزال الناس منازلهم، وإعطائهم حقوقهم، وتأخذ كل قاعدة قدرها المحدد، وحجمها المبيّن، ودورها العادل.

٤ ـ ط ـ القوّة الإيمانيّة:

قد يأتي هذا العنصر أو ذاك، هنا أو هناك، ضعيفاً في أثره، واهياً في عطائه. فيكون لكل عنصر دوره بقدر قوته وفضله وأثره. فكلما ازداد المؤمن علمًا علت مرتبته وارتفعت منزلته.

ذلك لأنه أصبح أكثر قوّة وأبعد خدمة لدين الله. فالإسلام يُعدُّ جنوده ليكونوا أقوياء في إيمانهم، وعلمهم، وخبرتهم، وموهبتهم، وأجسامهم، وسائر ما يهبهم الله من نعم القوّة، ليضعوا ذلك كله في طاعة الله ونصرة دينه. وكُلُّ عامل من العوامل السابقة يفقد دوره وأثره ومكانته، إذا لم يكن عامل قوة لدين الله ونصرته، وإعلاء كلمته. فيسقط دور العلم والخبرة

---

(١) سنن الترمذي ـ كتاب البر والصلة (٢٨) ـ باب ما جاء في اجلال الكبير (٧٥). حديث رقم (٢٠٢٢).

(٢) رواه البخاريّ في الفضائل. ورواه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز (١١) باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه (٢٧) حديث رقم (٩٦٤).

والموهبة وغير ذلك، إذا اتجهت إلى الدنيا تجمعها «سمعة» و«رياء»، و«جاهليّة»، و«عصبيّة». إنها عندئذ تصبح في ميزان الإسلام ضعفاً لا قوّة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. أحرص على ما ينفعك. واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا!، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل. فإنّ لو تفتح عمل الشيطان». رواه مسلم[1]

فالقوّة عامل من عوامل التقدير في المنازل والدرجات. ولكنّ القوّة تؤخذ عندئذ حسب دورها ومكانها في هذا الموقف أو ذاك. ففي الإمامة في الصلاة مثلاً ننظر إلى القوّة في كتاب الله وقراءته أولاً، لا إلى القوّة في البدن وغيره. ويمضي الميزان على ترتيبه الربّاني، كما يعرضه منهاج الله. وتأتي القوّة في المال لتقدّم الرجل في ميدان الإنفاق لينال أجره على قدر نيّته وإنفاقه. ولكنّ القوّة في المال والثروة والغنى لا تقدّم الرجل إلى درجة العالم القوي، ولا إلى مرتبة المسئولية لمجرّد غناه. أما إذا اجتمعت بركة قوة الإنفاق مع بركة قوة العلم، كان الإنفاق عاملاً مساعداً ومميّزاً، حين لا يدفع هذا الإنفاق الجهلاءَ والضعفاءَ، وأهل المصالح والهوى، إلى مراتب أعلى مما وهبهم الله من الوسع والموهبة.

إن ممارسة هذا الأمر في واقع المسلمين ضرورة. إنه يحمي مواهب الأمة وطاقاتها بدلاً من أن تتبدّد في صراع محموم، وفتنة هوجاء. إنه كذلك يجمع الجهود وينسّقها لتعمل كلّها متعاونة صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص. إنه كذلك يجنّب الأمة كثيراً من مواطن الزلل، ويقلل مجال الخطأ، ويضيّق منافذ الشيطان وأبواب الأبالسة. إنه مع هذا كله يصبح محكّاً يكشف المعادن والنفوس، ويميز الخبيث من الطيب.

ومن دون ممارسة هذا الميزان الربّاني العادل الأمين، تُفْتَحُ فُرَجَة بعد فُرجة للضعفاء والمنافقين، يتسللون إلى صفوف المؤمنين ومنازلهم ودرجاتهم، تحت مظاهر من الفتنة والخداع، والتمويه والزخرف. فتُخْدَع بذلك أعداد هائلة من المؤمنين، ثم تقف على أبواب الفتنة التي تحرق الأخضر واليابس.

لقد كانت أعداد المنافقين في حياة الرسول ﷺ غير قليلة وكانوا يعيشون مع المؤمنين دون

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب القدر (٤٦) ـ باب ما جاء الأمر بالقوة وترك العجز. . . (٨) حديث رقم (٢٦٦٤).

أن يكشف الله ورسوله أسماءَهم إلى جميع المؤمنين. ولكنّ السلوك والعمل كشف بعض المنـافقـين، فعـرفهم الناس حين كان الميزان الذي يعمل هو ميزان المنهاج الربّانّي. وأسَرَّ الرسول ﷺ بأسمائِهم لحذيفة بن اليمان الذي لم يكشف السرَّ ومضى معه. وقد يرى بعض الناس أن لو عُرف هؤلاء. ولكن حكمة الله غالبة، وقدره ماض. وهو أرحم بالمؤمنين من أنفسهم بأنفسهم. فما كُشِفت أسماء المنافقين، إلا لتظلّ هي مهمة الصفّ المؤمن أبد الدهر أن يمارس ميزان الله في إنزال الناس منازلهم، ومعرفة حدودهم، وتقدير درجاتهم. فالمنافقون والضعفاء ممتدون في حياة الأمة على مدى العصور كلها. فلا فائدة من معرفتهم في مرحلة محدودة من الزمان معرفةً تقوم على كشف أسمائهم دون أن يتحرى الصفّ المؤمن واقعه، وحقيقتــه، ودون أن يمارس ميزان الإيمان، ميزان الإسـلام ليقـدّر النـاس، والقضـايا، والمـواقف، على أسـاس من إيمان وعلم بمنهـاج الله، وبالواقع الذي يُدْرَسُ ويُوْزَن. إنها مسئولية الصفِّ المؤمن أن يرعى بُنيانَهُ المرصوصَ، حتى لا ينخرَه الفساد والنّفاق والوهن. إنها مسئولية الصف المؤمن أن يمارس منهاج الله عن إيمان وعلم وخبرة ووسع، لا أن يمارس هواه عن مصالح وجهل وتدنٍّ بالوسع والقدرات، ثم يسمّى ذلك عملاً صالحاً تحت طلاء الأصباغ. إنها مسئوليّة الصفّ المؤمن كله، ومسئوليّة كلّ فرد في أن يمارس ميزان الإسلام لا ميزان غيره، ولا ميزان هواه ومصـالحه. فإذا لم يفعل المؤمنون ذلك ـ وهي مسئوليتهم في الدنيا، وهي أمانتهم، وهي مسئولية كل فرد منهم على قدر ما وهبه الله من وسع، وما كسب بوسعه ذلك من علم واجب عليه يستوعب وسعه، وما بذل بعد ذلك من ممارسة أمينة لإيمانه وعلمه، إذا لم يفعل المؤمنون ذلك فإنّهم محاسبون على تقصيرهم في الدنيا والآخرة، تأخذهم الفتنة في الدنيا بما كسبت أيديهم، والحساب الشديد في الآخرة.

ولا يحسبَنّ أحد أن حديث رسول الله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»**، يبرر لأحد من المؤمنين إدباره عن ممارسة ميزان الله في حدود ما وهبه الله له من وسع استوعبه هو في إيمان وعلم. لا يُعذر مؤمن في أن يدبر عن مسئولياته نحو نفسه، وأهله، ومجتمعه، وأمتـه. ومسئوليته يحددها منهاج الله لا هواه، وميزان الله لا مصالحه. وممارسة ميزان الله تكشف الطبائع والسجايا، والمعادن والوسع، والعمل وأماراته.

لذلك جاء توجيه القرآن الكريم ليبين لنا هذه الحقيقة، وليجعل ممارسة المؤمنين لميزان الله ولمنهاج الله ابتلاء يُمحِّص ويختبر، ويكشف ويميز:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ .
(محمد: ٢٩ - ٣١).

إن جميع عناصر التقدير والموازنة السابق عرضها تتجمع كلها لتبرز على صورة جهاد وعمل وبذل. إن الإيمان إذا صدق، والعلم إذا صح، والتجربة إذا نمت، إنّ هذا كله عندما يجتمع يقدّم جهاداً وعملاً يراه الله والمؤمنون، ويصبح بذلك هو مصدر الموازنة، ومدار الابتلاء والتمحيص، وقوة الكشف والتمييز.

ولقد كانت هذه القضية إحدى القضايا البارزة في مدرسة النبوّة. ولم يكن البناء والتوجيه مقصوراً على عرض الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة، مما سبق أن عرضنا قبسات منه، ولكنه كان تدريباً وسلوكاً ومواقف كذلك، تجعل القاعدة الإيمانيّة أثبت في القلب وأعمق في الصدور. ولقد عرف صحابة رسول الله ﷺ هذه القاعدة ووعوها، وضربوا أمثلة كريمة على حسن ممارستها.

فلما آلت الخلافة إلى أبي بكر رضي الله عنه انقطعت سبل الخلاف وسدّت أبواب الجدل، ذلك لأن المسلمين كانوا يعرفون كلهم شرف أبي بكر ومنزلته. ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصعد المنبر قال: «ما كان الله ليراني أني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر. فنزل منزل مرقاة ثم حمد الله وأثنى عليه وخطب في الناس.

ونحن اليوم نحتاج أن تكون هذه القواعد جليّة مشرقة في حياة المسلمين، في مناهج البناء والتربية، وفي ميادين العمل والسعي، والجهد والجهاد، لتتكامل هذه القواعد مع سائر قواعد منهاج الله.

الفصل الثاني

الموازنة بين مسئولية الفرد والأمة

إذا كنا تحدثنا في الفصل السابق عن خطر يهدد سلامة الممارسة الإيمانية، فإننا نعرض هنا مصدراً آخر من مصادر الخطر، حين تضطرب الموازنة عند المسلم بين مسئوليته وبين مسئولية الجماعة والأمة. فمن الناس من يستكين ويغيب في استرخاء وكسل، يحسب أن غيره سيقوم بالأمانة، فلا عليه إذا هو استراح. وينسى أنه يحمل مسئوليةً، هو نفسه سيحاسب عليها يوم القيامة. ومن الناس من يتجاوز مسئولياته إلى مسئوليات الأمة. ويقع الناس بعد ذلك بين رجل غافٍ في أمانيه، ورجل تحرقه الفتنة. ولقد ذكرنا في مواقف متعددة قبل الآن طرفاً من ضوابط هذا الأمر، ولكننا هنا نؤكد القضية ونربطها بنصوصها من القرآن والسنّة، حتى تستقيم الممارسة الإيمانية على نهج صادق.

خلق الله الإنسان وجعله خليفة في الأرض ليقومَ بواجب الطاعة لله والعبادة، وليحملَ مسئوليّـةً ويؤدي أمانة، وليعمر الأرض بما فيها من نعم ظاهرة وباطنة، ويمضي ذلك كله من خلال تمحيص وابتلاء، حتى يَتَحدَّد مصير كلٍ إنسان إلى الجنّة أو إلى النار.

وتمتـدّ المسئـولية في الإسـلام من الفرد إلى الجماعة والأمة ثمَّ إلى الناس كافة. وتنتظم المسئولية في حياة المؤمنين على تناسق كامل وترابط، حتى تتحدَّد الجهود، وتتحقق الأهداف.

وأول ما تبتدىء المسئولية في نظر الإسلام من الفرد. إنها تبتدىء منه، فهو الذي يكون الجماعة والأمة. فما الأمة إلا أفراد التقت على مسيرة واحدة، ودرب واحد، ونهج واحد. وفي نظر الإسلام تكون الأمة المسلمة هي مجموعة الأفراد الذين يخضع كل واحد منهم لمنهاج الله، وتخضع الأمة كلها كذلك لمنهاج الله.

وتبتدىء المسئولية من الفرد حين بيّن القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس

يوم القيامة فرداً فرداً، لا يغني أحد عن أحد شيئاً. إنّ هذه الصورة المتكاملة المتناسقة في منهاج الله تأتي قوية واضحة. وتتكرر في كتاب الله حتى تزداد قوة ووضوحاً، وحتى لا يتفلت منها أحد.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ. وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾. (عبس: ٣٣ - ٣٧).

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ. يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. (الدخان: ٤٠ - ٤٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾. (لقمان: ٣٢).

إن هذه الآيات الكريمة وكثيراً غيرها يكشف عن هول الحساب يوم القيامة، ويوضح بشكل حاسم مسئولية كل فرد أمام الحساب، حيث يكون لكل امرىء شأن يغنيه، ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً، و(**يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً**). وتتوالى الآيات الكريمة لتثبت هذه الصورة من المسئولية يوم القيامة، يوم الحساب:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾. (الأنعام: ٩٤).

صورة مرعبة مفزعة، تجعل الإنسان وحده أمام هول الحساب، فردا تخلى عنه جميع الشفعاء من أهل وأصحاب وسلطان. وصورة أخرى:

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا. أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا. كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا. وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾. (مريم: ٧٧ - ٨٠).

﴿**ويأتينا فرداً**﴾... ! فردا واحدا، تخلى عنه الجميع. فلكل امرىء يومئذ شأن يغنيه.

ويتأكد المعنى في نفس السورة «مريم» بعد آيات قليلة من الآيات السابقة، مع ظلال جديدة:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا . لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ . (مريم : ٩٣ ـ ٩٥) .

وهكذا نرى دقة الصورة وهول الموقف مع كل آية .

ولكن هذا الحساب الذي يقف له كل فرد من بني آدم يوم القيامة، وهذا الهول في هذا الموقف، هو موقف حساب عما فعل هذا الإنسان الفرد من عمل في حياته الدنيا. فارتبط عمل الإنسان في الحياة الدنيا بهذا الحساب يوم القيامة، وبمصير الإنسان إلى جنّة أو إلى نار.

وهكذا تتحدَّد مسئولية الفرد، وتمتد من الحياة الدنيا إلى الآخرة، حيث يكون الحساب، الحق والميزان القسط، فلا تظلم نفس شيئاً.

وفي الحياة الدنيا يبرز الإسلام مسئولية الفرد ودوره كذلك في الأمة والمجتمع .

عن ابن عمر رضـي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيّته. فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم. والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه. ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيّته».

رواه البخاري ومسلم[1]

تحديد دقيق مفصـل بَيِّنٌ لمدى المسئولية . إنها مسئولية الفرد نفسه: الأمير، والرجل، والمرأة، والعبد. مسئوليّة ممتدّة في الأمة كلها.

وكل فرد فيها مسئول ومحاسب: «**ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيّته**». تعبير دقيق للأمانة. إنها رعاية حقوق وأداء واجبات يُسأل عنها الإنسان ويُحاسب عليها.

ويمضي منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ـ يفصّل المسئولية لكل عضو في الأمة. يفصّل مسئولية الأمير، ويبين حقوقه وواجباته، ويبين مسئولية الرجل في مختلف الميادين: تاجراً، عاملاً، زوجاً، إلى غير ذلك من الأمانات، يحـدّد كذلك حقوق الزوجة ومسئولياتها، والعبد كذلك

---

(١) صحيح البخاري. كتاب النكاح (٦٧). باب المرأة راعية في بيت زوجها (٩٠). وصحيح مسلم. كتاب الإمارة (٣٣). باب فضيلة الإمام العادل. (٥). حديث رقم ١٨٢٩. والنصّ لمسلم.

تتحدَّد حقوقه وواجباته، حتى تكون الصورة جليّة مشرقة أمام كل فرد في الأُمة، فينهض إلى واجباته بهمة وعزيمة، دون أن يجد سبباً للاختفاء وراء الأعذار. وترتبط هذه المسئولية الواردة في الحديث السابق مع منهاج الله ارتباط إيمان وعقيدة، وترتبط المسئولية في الدنيا بالمسئولية والحساب بين يدي العزيز الجبار.

وتتركز المسئولية وتتضح، وتغلق أبواب الأعذار، في حديث رسول الله ﷺ عن حذيفة رضـي الله عنه:

عن حذيفة رضـي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تكونوا إمّعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا. ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا». رواه الترمذي وقال حسن غريب[1]

هكذا: **«لا تكونوا إمّعة»** والأمّعة هو الرجل الذي لا رأي له، يتبع الناس على الحالة التي هم عليها من إحسان أو ظلم. والمؤمن يسر الله له هذا المنهاج الربّاني ليكون هو ميزانه، وليُحدِّد بموجبه رأيه وموقفه في ما هو في حدود وسعه وطاقته التي وهبها الله له. وهو محاسب بين يدي الله على نيّته وكلمته وعمله كله، وعلى مواقفه وسلوكه. إنه محاسب على ما وهبه الله من نعمة في الدنيا، من علم ومال وعافية وزوجة وولد وغير ذلك. إنه محاسب حساباً شديداً يـوم الحساب على مدى خضوعه والتزامه لمنهاج الله، في شئون حياته كلها.

وتمضي الآيات والأحـاديث تبيّن مسئولية الفرد بدقة وجلاء، حتى لا يتفلت منها أحد وحتى تقوم الحجة على كل إنسان فرداً فرداً، حين يقف بين يدي الله. ولا يقف مال الإنسان في الدنيا، ولا منصبه، ولا عشيرته، حائلاً بينه وبين الحساب. ولا ينفعه كذلك أن يقول أضلّني فلان، وخَدعَني فلان، وزيّن لي الشيطان هذا الأمر أو ذاك. لن ينفعه شيء من ذلك أبدا فإذا سار على درب فإنها مسئوليته أن يتبيّن وأن يردّ الأمر إلى منهاج الله، فلا يتبع هوًى، ولا يمضي جاهلاً، ولكنّ إيمانه ويقينه وعلمه بمنهاج الله، وفهمه للواقع الذي يمارس إيمانه فيه يمدُّ له نوراً يزيح الظلمة، وضياءً يكشف السبيل.

هذه هي المسئوليّة الفرديّة عرضناها من خلال قبسات من منهاج الله. ولكنّ منهاج الله هو وحده يعرض هذه المسئولية بصورتها الكاملة المتناسقة. وما دورنا هنا إلا أننا نذكر أنفسنا ليهبَّ المؤمن إلى منهاج الله فيرى الصورة المشرقة والحجة الغالبة.

---

(١) سنن الترمذي. كتاب البر والصلة (٢٨). باب ما جاء في الإحسان والعفو (٦٣). حديث رقم (٢٠٠٧).

وهذه المسئوليّة الفرديّة لا تتعارض مع حقّ المؤمن في أن يستعين بصديق أو عالم. وقد يكون التعاون واجباً في موقف من المواقف ولكنّ التعاون لا يبطل المسئوليّة، ولا يلغي التكاليف، ولا يذهب الحساب، ولا يمنع العقاب.

والمسئوليّة الفرديّة لا تتعارض مع مسئولية الجماعة والأمة، ومسئولية القيادة والسلطان. ولكن المسئوليات كلها تتناسق وتتكامل حتى تصبح كل مسئولية أشد وضوحاً وأقوى جلاء بسبب هذا الترابط والتناسق. وحين يكون الفرد في الأمة مسئولاً، فإن مسئولية الأمة تنهض من امتداد مسئولية الأفراد وترابطها.

وتترابط هذه المسئوليات كلها وتتناسق من خلال منهاج الله ـ قرآنا وسنة ـ وعقيدة. فيصبح منهاج الله نفسه هو الذي يوفّر الموازنة الأمينة بين مسئولية الفرد ومسئولية الأمة. فإذا تفشّى الجهل تعذر قيام موازنة بين المسئوليات، واضطربت الموازين، واختلطت الحدود، وعمل الهوى. فيظهر الناس الذين يتبعون عن جهل أو عن هوى، ويظهر الذين «اتَّبَعُوا» والذين «اتُّبِعُوا» وينفذ الشيطان من خلال الجهل والهوى، ليزيّن الفتنة والضلالة، وليمزّق الوشائج. وليستبدل بها وشائجَ الجهل والأهواء، مغلفة بالزخارف والأصباغ.

فمنهاج الله إذن هو مصدر تحديد المسئولية الفردية، ومصدر تحديد مسئولية الجماعة والأمة، وهو الذي يقيم التوازن والتناسق والترابط بين جميع المسئوليات، على صورة لا تلغي أيّ مسئوليّة ولكن تقوّيها وتبرزها.

ويضع منهاج الله قواعدَ تهيِّء هذا التناسقَ والترابط، ويُقيم علاقات وروابط، ويضع مناهج ومسالك، لتؤمن هذه كلها هذا التناسق والترابط.

فالشعائر هي أول ما يقوم بذلك: صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، والزكاة، والحجّ والعمرة، والصيام. إن جميع هذه الشعائر تحمل معها القواعد التي يلتزمها الفرد ويكون مسئولاً عنها، وتحمل معها اللقاء الذي يربط المسئوليات في صورة جماعة وأمة ولا مجال للتفصيل هنا في هذه وإنما نكتفي بهذه الإشارة حتى يتنبّه المؤمن إلى جمال التناسق، وقوة الترابط بين المسئوليات.

والروابط الإيمانية: من أرحام وجوار وأخوة الإيمان وغير ذلك، تقيم كذلك هذه الموازنة الدقيقة، وتقيم التناسق والترابط. ولكن الموازنة تضطرب، والتناسق يبهت، والترابط

يضعف، حين تصبح هذه الروابط شعارات محلولة العرى، تحمل اللفظة والاسم، دون أن تحمل صفاء الممارسة العمليّة الإيمانيّة، من خلال إيمان وعلم.

ووجود ولـيٍّ الأمر يربط الأمة كلها من خلال منهاج الله في مسئوليات محددة واضحة. فقيام السلطان المؤمن ينسِّق هذه المسئوليات ويربطها، ويساهم في قيام الموازنة العادلة الأمينة.

وتمضي سائر قواعد منهاج الله لتحقق هذه الغاية العظيمة في الموازنة بين المسئوليات كلها والتنسيق بينها: فالتعاون الذي يأمر به الإسلام، والنصيحة التي عبّر عنها الحديث الشريف كأنها الدين كله، والشورى التي جعلها الإسلام نظاماً متكاملاً، هذه القواعد كلها تحفظ المسئوليات وتصونها، وتقيم بينها الموازنة الأمينة، وتنشىء بينها التناسق والترابط. فلو أخذنا النصيحة مثلاً، فإن التقصير فيها أو الإخلال بها يسبب اضطراباً في مسئولية الفرد نفسه من ناحية، واضـطرابـاً في علاقـات الأفـراد، ومن ثم خللاً في مسئولية الأمة. وتكاد تكون النصيحـة من أكثـر قواعد الإسلام التي يتفلت منها كثير من الناس، تحت أعذار الجهل والهوى، والنفاق، والمصالح.

ولو نظر أحدنا إلـى نفسه ليرى كم هو نصح لأمته وإخوانه بالكلمة والرأي والعمل، وكم تلقّى هو من نصيحة في حياته من إخوانه وأصحابه ورحمه، لو نظر أحدنا إلى نفسه في ذلك لوجد أن النصيحة التي جعلها الحديث الشريف كأنها الدين كله «**الدين النصيحة** . . . .» هي قاعـدة تكـاد تكون واهية في حياتنا، لا تأخذ شكلها وأسلوبها وقوّتها التي يريدها لها الإسلام. فغياب النصيحة يوهن المسئولية الفردية، ويوهن مسئولية الأمة، ويجعل الموازنة بينهما مضطربة قلقة. فإذا أضفنا إلى هذا ضعف أثر قواعد أخرى، ندرك طرفاً من أسباب اضطراب واقعنا، واختلاط الموازين فيه.

وفي معظم آيات القرآن الكريم يأتي خطاب المؤمنين على صيغة الجمع، ﴿**يا أيها الذين آمنـوا** . . . .﴾، ﴿**إن الـذين آمنوا** . . .﴾. فكأن القرآن الكريم ينظر إلى الجماعة والأمة يحملها مسئولياتها ويبيّن واجباتها.

وفي القتال تظل نظرة الإسلام موجهة إلى الصفّ المؤمن الواحد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1] ولا يستقر هذا الصف الواحد إلا إذا

(١) الصف: ٤.

صدق كل فرد فيه في مسئوليّته. ويكون خطاب الجمع يحمل ظلين: ظلّ يوحي بمخاطبة كل فرد ليُحمِّله مسئوليّته، وظلّ يوحي بمخاطبة الصفِّ الواحد الذي تنشأ مسئوليته من قيام كل فرد بواجبه.

وتأتي بعض الآيات الكريمة لتحدّد المسئولية في الأُمة كلها حتى عندما يكون التقصير أو الإثم في عدد محدود:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾. (الأنفال: ٢٥).

هذه حالة يعمّ فيها العذاب فيطوي الأُمة كلها. وهنالك حالة أُخرى تُبيّن أهمية المسئولية، ولو قام بها نفر من الامة:

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾.

(الأعراف: ١٦٤، ١٦٥).

ولا نجد فرقاً بين الحالتين إلا أن الحالة الثانية قامت فيها طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ﴿فأنجينا الذين ينهون عن السوء.... ﴾ أما الحالة الأُولى فقد كان هناك طائفةظالمة لا يظهر معها في الآية الكريمة طائفة أُخرى تنهى عن السوء، فأخذهم العذاب وأخذتهم الفتنة جميعاً.

ويتضح هذا الأمر عندما يأتي أمر الله سبحانه وتعالى موجهاً إلى المؤمنين جميعاً في سورة آل عمران لتنهض منهم أُمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. (آل عمران: ١٠٤).

مهمّات ثلاث مترابطات: يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. هذه هي أولاً مهمة كل فرد في الأُمة يجب أن يقوم بها قدر وسعه وطاقته، لا يعفى منها أحد:

عن أبي سَعيد الخُدْرِيِّ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان».

رواه مسلم[1]

فالمهمة مهمة كل فرد «**من رأى منكم...**»، والمسئولية هي مسئولية كل فرد. ومن هذه المسئولية الفردية تنشأ مسئولية الجماعة والأُمة، ويأخذها العقاب إن هي قصرت بأَمانتها، يأخذها العذاب كلها. ولذلك نجد الحديث الشريف الآتي يخاطب الأُمة كلها:

عن حذيفة بن اليمان أن النبيّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه... ثمّ تدعونه فلا يستجاب لكم».

رواه الترمذي[2] وابن ماجة

فمن هذا الحديث الشريف والحديث الذي قبله نرى شدة ارتباط مسئولية الفرد ومسئولية الجماعة.

ويخاطب القرآن الكريم الأُمة في مسئوليتها، كما رأينا قبل قليل خطاب القرآن الكريم للفرد في مسئوليته:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ. وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. (الجاثية: ٢٧ ـ ٢٩).

صورة واضحة لقوة ارتباط مسئولية الفرد مع مسئولية الأُمة. ولا تنهض واحدة منها بدون وجود الأُخرى. ﴿**إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾. إنه تعبير عن استنساخ عمل كل فرد في الأُمة، والأُمة كلها جاثية تدعى إلى كتابها.

وجعل الله لكل أمة أَجل، كما لكل إنسان أَجل:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾. (الأعراف: ٣٤).

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان (١). باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (٢٠). حديث رقم (٤٩).

(٢) سنن الترمذي. كتاب الفتن (٣٤). باب ما جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٩). حديث رقم (٢١٦٩).

والأَجل للفرد وللأُمة عامل من عوامل المسئولية والمحاسبة، يستوفي فيه الفرد، كما تستوفي الأُمة، رزقه وعمله حتى لا يعود له حجّة عند الحساب. إن الأَجل هو المدة التي قضاها الله بحكمته وعلمه وعدله للإنسان وللأُمم حتى تحمل خلالها الأمانة والمسئولية فتحاسب عليها.

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

فكل أُمة مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى لينبئها بما عملت وليجري الحساب، وليقضي في أمرها بالحق. وإذا كان الله سبحانه وتعالى جعل لكل أُمة أجلاً رحمة منه وعدلاً وحكمة، وجعل بذلك للأجل دوراً في سبيل الحساب، فقد بعث الله لكل أُمة رسولاً كذلك ليكون الحساب مستوفياً أُسس الرحمة الربانية الواسعة، وعدل الله الممتد، وحكمته الغالبة.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (يونس: ٤٧).

وتمضي الآيات الكريمة تحدد وتبينّ ما منَّ الله به على كلّ أُمة من نعمة تكون موضع الحساب. فجعل الله برحمته لكل أُمة منسكاً هم ناسكوه، وجعل لكل أُمة شرعة ومنهاجاً، وينزع الله يوم القيامة من كل أُمة شهيداً من أُنفسهم.

ويمضي منهاج الله في بناء هذا التلاحم بين الفرد والأُمة بناءً متيناً. فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال وهو على منبر من آجُرٍّ وعليه سيف فيه صحيفة معلقة: «والله ما عندنا من كتاب يُقرأُ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة فنشرها فإذا فيها أُسنان الإبل وإذا فيها المدينة حَرَم من عَير إلى كذا، فمن أُحدث بها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً. وإذا فيه ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخْفَر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا. وإذا فيها من والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». رواه البخاري[1]

فهي الذّمة التي لا تخفر، ذمة تربط الأُمة كلها في مشارق الأَرض ومغاربها، تربطها في رباط متين لا يقطعه إلا منافق أو فاسق أو عدو للمسلمين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩٦) باب (٥).

كما ذكرنا سابقاً فإننا هنا نأخذ نماذج فحسب، لا نعرض الصورة المتكاملة. فالصورة المتكاملة يعرضها منهاج الله وحده.

ولا يستطيع الفرد أن يؤدي أمانته، أو أن يرعى مسئوليته، إلا إذا استوفى شروط القيام بها. ونستطيع أن نضع ثلاثة أسس رئيسية لذلك: الإيمان، العلم بمنهاج الله وبالواقع، الوسع، وعلى قدر ما يقوى كل عنصر من هذه العناصر تقوى المسئولية.

كذلك ترتبط مسئولية الفرد بمعرفته لحدوده ودرجته، ومعرفته لحدود من يتعامل معهم ودرجاتهم. ومن هنا يرتبط هذا البحث بالبحث السابق حتى يكمّل أحدهما الآخر. ويرتبط الأمران بالممارسة الإيمانية ليوفر لها سبيلاً أقوم وموازنة أدق.

إذا كنا عرضنا في الصفحات السابقة أهم العوامل الإيمانيّة التي تقيم الموازنة بين مسئولية الفرد والأمّة مثل: المنهاج الرباني، الروابط الإيمانيّة،السلطة وولي الأمر، التعاون، النصيحة، الشورى، إلى غير ذلك من القواعد الإيمانيّة، فلابدّ هنا، مع ختام هذه الكلمة، من أن نشير إلى عنصر هام كذلك تجتمع في ممارسته العناصر السابقة كلها. هذا العنصر هو التنظيم الإداري الذي يحدد الصلاحيات والمسئوليات والواجبات، والذي تنهض من خلاله مؤسسات إيمانيّة تساعد في هذه الممارسة الإيمانيّة الواسعة.

فالإدارة والتنظيم الإداري والمؤسسات الإيمانيّة تمثل في حقيقة الأمر موهبة الأمة وقدرتها على ممارسة منهاج الله في الواقع البشريّ النامي المتطور، دون أن تتعطل قواعد الإيمان، أو تترك. وإنما تدفع موهبة الأمة الإدارة والتنظيم الإداري والمؤسسات، والنهج والتخطيط، من خلال نور الإيمان وبركة قواعده ومناهجه.

ويمكن على ضوء ذلك أن نضع العوامل الرئيسية التي توفر للمؤمنين موازنة أقرب للتقوى، وممارسة أدنى من الأمانة، على النحو التالي:

١ ـ أن تكون الأمة كلها ملتزمة بمنهاج الله إيماناً وتدبُّراً وممارسة، يردُّون أمورهم كلها إليه عن إيمان وعلم وخبرة.

٢ ـ أن يكون للأمة نهجٌ في كل ميدان من ميادين الممارسة الإيمانيّة، نهجاً يرسم التفاصيل، وتضعه الأمة على أساس من منهاج الله والواقع البشري الذي تعيشه. إن هذا النهج تضعه مواهب الأمة المؤمنة، وقواها العاملة. ويظل هذا النهج ينمو مع الممارسة.

٣ ـ أن يكون هنالك نظام إداري يقوم كذلك على أساس من منهاج الله والواقع البشري، يحدِّد الصلاحيات والمسئوليات في كل مستويات الأمة، من خلال هذا النظام المتناسق.

٤ ـ أن تضع الموهبة المؤمنة المختصة القوانين التي تبين الجزاء والحساب، والحدود والوسائل بشكل تفصيلي لكل حالة في واقع الأمة، لتقوم هذه القوانين على أساس من منهاج الله، والواقع الذي تعيشه الأمة بما فيه من نهج وإدارة.

٥ ـ أن يظلّ عبق الحُرِّية غنيًّا، وطيب الأمن نديًّا، حتى يشعر المؤمن بحقيقة عزة الإيمان، ولحمة الإسلام، حبالاً مشدودة، وعرى موثقة، لا تقطعها عصبيّات جاهليّة.

ونرى أنه بغياب هذه العوامل كلها أو بعضها، تضطرب المواقع، وتختلط الحدود. وعلى قدر غيابها يكون الاضطراب.

ونشعر هنا أنه لابد من التأكيد أن القاعدة هذه أو تلك من قواعد الإيمان لا تعمل وحدها معزولة عن سائر قواعد الإيمان. فقواعد الإيمان تمثل شبكة متلاحمة، ترتبط كلها فيما بينها وتتناسق على نحو رباني معجز. ويأتي هذا الإعجاز على صورتين على الأقل: فهو ترابط معجز من حيث أنه لا تستطيع قوى الإنسان أن تضع من عند أنفسها نظاماً تترابط قواعده وتتناسق على نحو ما هي عليه في منهاج الله، حيث تكاد تتشابك كلُّ قاعدة مع سائر القواعد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه القواعد بالرغم من الإعجاز في ترابطها، فإنها ميسّرة بأمر الله تيسيراً معجزاً كذلك، حتى أصبحت ميسرة لكل إنسان مكلف، لا يجد العنت في فهمها وذكرها، إذا عرف اللغة العربية وصح إيمانه.

إننا نثير هذا الموضوع: «الموازنة بين مسئولية الفرد ومسئولية الأمة» لأن المسئولية تكاد تهبط وتضيع في حياة المسلمين اليوم، ومع أن مسئولية الأمة عامة مضطربة تائهة، فإنها بلغت هذا الاضطراب بسبب اضطراب مسئولية الفرد.

أعداد هائلة في الأمة تعطلت طاقتها وقدراتها، وهي جالسة تنتظر، على أرائك من اللهو والاسترخاء، لا يعرف «الفرد» فيها مسئوليته وحدوده، وواجباته ومدى الأمانة الملقاة على عاتقه. إنه ينتظر العبقريّ المصلح والبطل الملهم ليصلح الأمة كلها، وليعيد فلسطين، وينتصر على الأعداء كلهم، بعبقريته دون أن يشعر «الفرد» بمسئوليته هو، أو بأن عليه قسطاً من المشاركة والواجب. إنه يريد أن يجلس ويسترخي وعلى القائد الملهم العبقري أن يصنع

وحده المعجزات، وحوله نوّمٌ وغفاة وسكارى. وما درى «الفرد» أن الله قد وضع في عنقه أمانة، وفي حياته مسئولية، وأنه مدعو للقيام بأمانته هو ومسئوليته هو، سواء أظهر العبقريّ الملهم أم لم يظهر. وكأن صاحبنا لا يدري أنه لو ظهر هذا العبقريّ فإنه بحاجة إلى قدرات وطاقات، لا إلى نوّم وكسالى، وأن من أول أعماله أن يوقظ من يستيقظ. فأما من استيقظ ورشد فيتخذ فيهم حسناً، وأما من ظلم نفسه وأمته وغاب في سكر وخدر، فإنه يعذبه ثم يُرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا. وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾. (الكهف: ٨٣ ـ ٨٨).

﴿قال أما من ظلم. . . .﴾! وأيّ ظلم أشد من أن يسترخي الرجل في لهو وخدر، وأمته تنهشها الذئـاب وتفـحّ حولها الأفاعي، وتطبق عليها وحوش الأرض، مدت مخالبها وكشرت عن أنيابها، تهدد الأرض والثمر والثروة والأعراض. أي ظلم أشد من ظلم رجل غفا وأمته تتناهبها المحن والنكبات، دماء ومجازر هنا، ولهيب وحرائق هناك، ودمار وأطلال. . . ! أي ظلم أشد؟! أي ظلم أشدّ من أن يجهل أو يتجاهل أحد مسئوليته، واجباته، أمانته، أو يدبر عن واجب، أو ينسى عهداً، أو ينقض ميثاقاً وثقه مع ربّه وخالقه!؟

ولا يستطيع أحد أن يعرف مسئوليته المنوطة به، والأمانة التي حَمَلها، والعبادة التي خُلِقَ لها والخلافة التي جُعِل لها، إلا من منهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ فمن أدار ظهره لمنهاج الله، وهجر القرآن والسنة، ورضـي بالجهل، وقنع بالعجز، واكتفى باللوم، والقيل والقال، وقتل الوقت باللجاج والجدال، أو أقام كل يوم صنمًا يحسب أنه يقرّبه من الله، من فعل هذا وذاك فأنّى له أن يعلم حدوداً، أو يعرف مسئولية.

الفصل الثالث

قضايا في الممارسة الإيمانية

١ ـ بين الأمس واليوم :

لم يكن الرسول ﷺ حين بعث بالرسالة من عند الله، لم يكن يجابه قوماً ضعفاء في قدراتهم. لقد كان يجابه سادة الجزيرة العربية، ويجابه أعظم دولتين على الأرض. وكان سادة قريش رجالاً عُرفوا بين قومهم بكل أسباب السيادة والرئاسة آنذاك. فقد كانوا في ميزان القوم عقلاء، أذكياء، شجعاناً فرساناً، رجال نخوة وحمية جاهلية. وكانوا أغنياء، وكان الناس يدينون لهم بالسمع والطاعة. وكانت قدراتهم ومواهبهم الذاتية بارزة. ألم يدعُ الرسول ﷺ بأن يعزّ الإسلام بأحد العمرين؟ لقد كانوا رجالاً عظماء في كل موازين القوم آنذاك وأشار القرآن الكريم إلى هذه المنزلة التي يراها الناس في سادتهم :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾. (الزخرف: ٣١).

فلم يكن الرسول ﷺ إذاً يجابه قوماً أغبياء ذوي قدرات متدنيّة. لقد كانوا ذوي قدرات متميزة في ميادين شتى. ألم يكن خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، وأبو سفيان، وكثير غيرهم، ألم يكنْ هؤلاء ذوي قدرات متميّزة؟ لقد كانت قدراتهم متميّزة حتى بلغ حرص الرسول ﷺ شديداً على دعوتهم. ولما دخل بعضهم الإسلام كانوا من أعظم طاقات المسلمين وقدراتهم، كل في ميدانه وساحته.

وأما على الصعيد الدولي، فقد كان الرسول ﷺ يعلم أن أمامه أعظم دولتين تتقاسمان الأرض. فجاءت أحاديث الرسول ﷺ تبشر بفتح كنوز هاتين الدولتين، وخضوع شعوبهما إلى الإسلام.

ولقد كانت رؤية النبوّة أبعد من ذلك وأعمق. لقد كانت رؤية تخترق الأجيال والعصور بما يوحيه الله على عبده من علم الغيب، وبما يهبه من عزيمة وقوة. فبشر الرسول ﷺ بفتح القسطنطينية، وبشر بامتداد الإسلام. وانتصر الرسول ﷺ، وانتصر المسلمون، على أكبر أعدائهم كلهم.

حين بُعِث الرسول ﷺ لم تكن مهمته سهلة على الصورة التي يظنها بعضهم اليوم. لقد كانت القوى أمامه أعتى من القوى التي نراها اليوم تحاول منازلة الإسلام. فعندما نقارن بين تلك الفترة وبين أيامنا هذه، فإن قوى الأعداء كانت على عتوها الذي نجده اليوم، وعلى جبروت وكبر وغرور، وسلطان ممتد، وسلاح وعدة، ومال ونفير. عندما نقارن بين الفترتين لا نجد الفرق في هذا الطرف من الفريقين. فهذا الطرف ـ طرف الأعداء ـ متشابه إلى حدّ كبير، مع فروق يفرضها اختلاف الزمن وطبيعة السنن. ولكن الفرق العظيم نجده في طرفنا نحن، في جبهتنا نحن. ففي هذا الجانب ـ جانب المسلمين نلمس الفروق العظيمة بين الفترتين. ومن هذه المقارنة والدراسة نعرف ميدان عملنا الأساسي، ولكنه ليس الميدان الوحيد. إن هذا الميدان هو أنفسنا نحن. فقبل أن نضع اللوم على أعدائنا لأنهم غدروا بنا، ولأنهم كذبوا، وقتلوا، وأفسدوا، قبل أن نقول هذا كله ليكون تبريراً لهزيمتنا، يجب أن نتوجه إلى أنفسنا، لننظر في نيّاتنا، وإيماننا، وعلمنا، وكلمتنا، وخطوتنا، وعملنا كله. فإذا نظرنا في ذلك، عرفنا سبب الهزيمة، ودواعي الخذلان.

كثيرون يريدون النصر من خلال أرائك الراحة واللهو، والبخل والجبن والنوم والحلم. وآخرون يريدونه من خلال الفاحشة والجريمة، وآخرون يريدونه من خلال السهوة والجهل، وآخرون يتطلعون إلى النصر من خلال الفتنة والشقاق والتنازع. ومن خلال هذا الواقع المرّ تمضي معاول الفتنة تهدم وتهدم وتهدم.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها.، وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال لي: إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرَد. وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بِسَنَةٍ عامَّةٍ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها، أو قال مَنْ بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً». أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح[1]

---

(١) سنن الترمذي. كتاب الفتن (٣٤). باب ما جاء في سؤال النبيّ ﷺ ثلاثاً في أمته (١٤). حديث رقم (٢١٧٥).

ولو رجعنا إلىٰ تاريخنا حتى يومنا هذا لوجدنا صدق حديث رسول الله ﷺ. فلقد عجزت دول أوروبا كلها على أن تهدم بناء الإسلام، لولا أن وجدت بيننا من حمل المعاول فهدم، ولولا أن كان بعضنا يهلك بعضا.

لقد كان لنا عدو من أنفسنا. وما كان لهذا العدو أن يظهر، ولا أن ينجح في فتنته، لولا الجهل الذي طغى، الجهل بكتاب الله وسنة رسوله، والجهل بالواقع، حتى اضطربت الموازين فصار الصديق عدواً، والعدو صديقاً، وصار المرض عافية، والعافية مرضاً، وصار الجهل تقدماً، والإيمان جهلاً، فاضطربت الموازين واختلطت الأمور، ودلف الأعداء.

من خلال هذا الواقع الذي نراه، يجب أن تمضي الممارسة الإيمانية، دون أن تتخذ من الواقع مبرراً لكسل وجهل، وتراخ واستسلام. من خلال هذا الواقع يجب أن تمضي الخطوات المطمئنة إلى الجنّة، تشقّ طريقها وهي مطمئنة بالنصر، كما كان الرسول ﷺ وأصحابه مطمئنين إلى الله، واثقين بوعده، وهم يجابهون أعتى القوى وأكثرها ضراوة ووحشية.

والممارسة الإيمانيّة تهدف إلى المساهمة في إعلاء كلمة الله ونصرة دينه، وحماية داره وثرواته وأهله، ودفع الدعوة الإسلامية في الأرض لتبنيَ حضارة الإيمان.

إن الممارسة الإيمانيّة تهدف إلى هذا كله. ولابدّ من أن تنطلق إليه من الواقع مهما كان ذلك الواقع. ومن أجل ذلك لا تستطيع الممارسة الإيمانيّة أن تنطلق، وتمضي من نصر إلى نصر، حتى يغير المسلمون ما بأنفسهم.

﴿ . . . إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾. (الرعد: ١١).

وربما يجنح بعض المسلمين إلى شرح هذه الآية الكريمة من خلال فلسفة وجدل، تموت في حمّياها الممارسة، ويضيع الجهد، ولا يعرف الناس ماذا يفعلون ولا أين يبدأون، بعد أن تخدِّرَهم حلاوة شعار، وبريق مقال. لذلك نسهل الأمر على أنفسنا وعلى غيرنا، ونقول إن على المسلم أن يبدأ بنفسه، عليه أن يبدأ هو ليغيّر ما بنفسه هو، لا أن يجلس في صراع فلسفيّ، ينتظر الناس حتى يغيّروا هم ما بأنفسهم. إن الآية الكريمة هذه نور مشرق في صدر المؤمن، يراها جليّة قويّة تأمره أن يبدأ بنفسه ويدعو غيره. ولكن لا تدعوه إلى أن يركن وهو ينتظر البشريّة كلها حتى يُغيِّر الناس ما بأنفسهم، دون أن يأخذ نفسه بذلك.

لقد اعتاد كثير من المسلمين أن يطلبوا الصلاح في غيرهم، دون أن يطالبوا به أنفسهم، حتى لم يعد يعرف الناس من أين يبدأ الإصلاح.

لهذا كله نقول إن القضيّة الأولى في الممارسة الإيمانيّة هي أن يعرف المسلم أنه هو مطالب ومكلّف، وأنه محاسب بين يدي الله يوم القيامة، لا يغني مولى عن مولى شيئاً.

من هنا يكون المنهاج الذاتيّ منفذاً للمؤمن، وعدة وقوة، ووسيلة وعلاجاً، ودرباً ونهجاً، ونجاة بإذن الله، دون أن تسقط مسئولية الآخرين، ودون أن يضيع واجب الموازنة بين مسئوليات الفرد ومسئوليات الأمة.

٢ ـ تكامل سلوك المؤمن وتناسقه:

من الناس كذلك من تراه ينهض للصلاة، فإذا نظرت إليه وهو في صلاته أيقنت أنه يصلي صلاة المسلمين. ولكنه بعد ذلك إذا خرج من الصلاة ومارس الفكر والسياسة كان اشتراكياً، وإذا عارك الأدب كان شيوعياً، وإذا تاجر كان جاهلياً رأسمالياً، أو بدّل بين المذاهب كما يشاء. كم من الناس تراهم يصلون ثم إذا خرجوا من الصلاة شعروا كأن مهمة الإسلام انتهت، ودوره توقف. فإذا قرأت له في الأدب لا تحس بنبضة الإيمان فيه، ولا حرارة اليقين، ولا ترى أثر خشوع الصلاة. وإذا قرأت له فكراً لا تحس بحلاوة التوحيد ونور العقيدة. قد يصلّي ويصوم، وقد يؤدي فريضة الحج، ثم ترى ولاءه لعائلته قبل كل شيء، أو لمصالحه، أو لعصبته مهما تكن عصبته. إنه لايستطيع أن يكون مسلمًا في شعائره، مسلمًا في فكره، مسلمًا في أدبه، مسلمًا في تجارته ومعاملاته، مسلمًا في وطنيّته إنه يجمع مذاهب الأرض كلها أو بعضها في ميادين سلوكه ونشاطه.

فإذا استطاع في الحياة الدنيا أن يموه بطلاء، وأن يزين بزخرف، فإن الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

نقلت مجلة «المجتمع» في عددها ٧٧٩ للسنة السابعة عشرة تاريخ ٧ ذو الحجة ١٤٠٦هـ (١٢ أغسطس ١٩٨٦م). حواراً دار في ندوة عنوانها «الإسلام والعلمانية». وتحدّث أحد الاساتذة ليحاول البرهان على أن العلمانيّة لا تتعارض مع الإسلام. الأمر الغريب كان في الأدلة التي ساقها. قال: «إن العلمانية كانت في مصر كذا وكذا من السنين، فهل يعني هذا أن مصر كانت كافرة؟». لقد وضع الاستفهام بشكل حساس مغلوط. فإذا كان النظام

الذي طُبِّق في مصر في فترة من الفترات تبنى العلمانيّة فإن هذا التبني لم يلغ وجود المؤمنين العاملين في مصر. فمصر بلد مسلم وشعبها مسلم لا يلغيها قرار نظام. فالاستنتاج خاطىء مثير ومحرج. وقال كذلك «إن النحاس باشا كان أكثر الزعماء تمسكاً بالإسلام ومع ذلك فقد كان علمانياً حتى النخاع». لقد نسي الاستاذ أن حقائق الإسلام تؤخذ من الكتاب والسنّة، وليس مما يقوله أيّ زعيم. فإذا أخطأ إنسان، أو ناقض نفسه، فلا يُفرض هذا التناقض على المسلمين، ولا ينشأ عنه نهج إيمان ولا يكون منه أبواب تبرير. وكان الأحرى بالاستاذ أن يتجنّب هذا الاختيار، وتلك التعبيرات حتى يكون أقرب للبحث العلمي الدقيق، بعيداً عن إثارة العواطف.

ولقد ردّ في هذه الندوة الاساتذة المشتركون وقدموا رأي الإسلام بجلاء وبيان.

وجاء في كتاب الولاء والبراء في الإسلام للأستاذ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني في الصفحة ٣٩٣ من الطبعة الأولى مستشهداً على اضطراب الولاء لله سبحانه وتعالى، ما يلي:

«أما عباس محمود العقاد فيقول في كتابه «التفكير فريضة إسلامية»: ما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديمقراطية أو يعمل للاشتراكية، أو يعمل للوحدة العالمية؟ وما الذي يمنع المسلم من أحكام دينه أن يقبل مذهب التطور أو يقبل الوجودية في صورتها المثلى. . .» انتهى.

نجيب العقاد بكلمات قليلة فنقول له: نعم إن دين المسلم كله يمنعه من ذلك لأن دينه يعلمه أن يعمل إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، يعلمه أن يعمل الخير لا الشر، والحقّ لا الباطل. ونعجب من تناقض العقاد حين يقول هذا، ويكتب كذلك كتبه «العبقريات»، فالديمقراطية والاشتراكية والوجودية تحمل في جذورها وكيانها نظريات فكرية وفلسفية تتعارض مع الإسلام. وما كان لمثل هذه الحقيقة أن تغيب عن العقاد.

من هذه الأمثلة نرى مدى اضطراب الميزان، واضطراب الولاء، واضطراب العقيدة في نفوس الكثيرين. وربما دفع هذا الاضطراب أناساً كي يضعوا ولاءهم لعدو للمسلمين، مع وجود النص الصريح على حرمة ذلك، تحت ضغط الهوى والجهل والمصالح الذاتيّة.

ولو نظرنا في مجتمعنا وتاريخنا لوجدنا نماذج شتى من ذلك، كانت باباً دلف منه الأعداء، وثغرة تدفّق منها البلاء.

ونعتب ونعجب حين يصرح بعض المسلمين، كما نشرت جريدة اللواء الأردنية في عددها رقم ٦٨٥ تاريخ ١٩/١٠/١٤٠٦هـ من «أنه مع الديمقراطية بكل أبعادها ومعناها الكامل

والشامل . . . . فالشعب هو الذي يحكم على الأشخاص والأفكار». ولا نردّ على ذلك، فقد سبق أن رددنا على كل هذه التصوّرات والأفكار في كتابين: «ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، الشورى لا الديمقراطيـة»[1].

هذه نماذج، كما ذكرنا، مما يعانيه مجتمعنا من اضطراب التصورات والموازين. ولقد كان من أهم أسبـاب هذا الاضـطراب هو تعـدد المصادر البشريّة التي يأخذ منها المسلم دينه وعقيدته بعيداً عن منهاج الله، أو قريباً منه قرباً لا يغني.

لذلك كان المنهاج الذاتـيّ يقوم على أساس المنهاج الربّانـيّ ودراسة الواقع من خلاله، حتى تتوحد مصادر الرؤية، وينهل الناس جميعاً من منهل صاف عذب، فنكون نحن قد أدينا واجبنا، واستجبنا لداعي الله، والله يفعل ما يشاء.

لذلك كان المنهاج الذاتيّ حلًّا لهذه المشكلات والتناقضات، حلًّا تَقوم به الطاقة البشريّة وفاء بعهدها، وقياماً بخلافتها، وأداءً لأمانتها والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

إنّ هذا التناقض في حياة المسلم يمزِّق شخصيته، ويترك في داخله صراعاً هائلاً يستنفد طاقتـه وقـدراته، ويبدد قواه ومواهبه، ويسحق نفسيته وشخصيّته. والوضوح والتناسق، والترابط والتكامل، يهب النفس هدوءاً وطمأنينة، ورضا وسكينة، وقوة وعطاء.

٣ ـ تكامل فقه الدعوة:

إن فقه الإسلام يمثل في أساسه صورة متكاملة متجانسة، لا يتمزّق إلى قطع، يحسب بعض الناس أن قطعة منها تغني عن القطع الأخرى.

ربما علق في ذهن الكثيرين أن الفقه هو أحكام الشعائر فحسب، وربما ظن بعضهم أنه أحكام المعاملات فحسب، وربما رأى آخرون أنه هنا أو هناك. والحق أن الفقه أمر عام يشمل ميادين الممارسة الإيمانيّة كلها، على تناسق وترابط وتكامل، وهو يرتبط كله بالعقيدة والتوحيد، وينبثق عنها، ويظل في نورها وبركتها.

عن معاوية رضـي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. . . .». متفق عليه[1]

---

(١) يراجع كتاب الشورى لا الديمقراطية للمؤلف. وكتاب الولاء والبراء في الإسلام للأستاذ محمد بن سعيد القحطاني.

(١) صحيح مسلم. كتاب الزكاة (١٢). باب النهي عن المسألة (٣٣) حديث رقم (١٠٣٧)، كتاب الإمارة (٣٣) باب لاتزال طائفة من أمتي (٥٣). صحيح البخاري. كتاب العلم (٣). باب (١٠).

فالفقه إذن هو خير وهو في الدين. فقه في الدين كله لا في جزء منه. فقه في منهاج الله قرآنا وسنة، ليوفر للمؤمن القدرة على ممارسة دينه وإيمانه في جميع الميادين التي يخوضها وعلى قدر المسئولية التي يحملها. فالمؤمن يحتاج الفقه في بيته، ووظيفته ومهنته، ومع أهله وجاره وصاحبه، ومع وطنه وأمته، إنه يحتاج الفقه ليقيم علاقاته على أسس إيمانيّة واعية في حياته كلها، دون أن يدفعه نصٌّ واحد إلى إغفال نصوص أخرى في القضية الواحدة. ولكنّ الفقه يدفعه إلى سلامة الموازنة بين النصوص كلها، وكذلك بين النصوص والواقع والقضية.

والفقه لغة: العلم بالشيء، والفهم له والفطنة. وغلب على علم الدين لشرفه. ووردت الكلمة في كتاب الله ليعطي لها معناها وامتدادها في حياة المؤمنين، وظلالها ونداها، وبعدها وعمقها. ولنستمع إلى بعض الآيات الكريمة نتلمس فيها الظلال والندى، والمعاني والمدى:

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾. (طه: ٢٨).

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾. (الأنعام: ٦٥).

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾. (الأنعام: ٩٨).

﴿ ... وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾. (التوبة: ٨٧).

﴿ ... وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾. (المنافقون: ٧).

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.
(التوبة: ١٢٢).

وآيات أُخرى في كتاب الله تمدّ من الظلال وتنشر الندى. ومن هذا كله نحاول أن نضع تعريفاً محدَّداً لهذه الكلمة الطيبة، حتى يكون استخدامها واضحاً، وتناولها ميسَّراً.

فالفقه هو العلم والقدرة على ممارسة منهاج الله في الواقع البشريّ ممارسة تقوم على الإيمان والعلم بمنهاج الله والواقع، والموهبة، والخبرة، ممارسة تتميّز بالشمول والامتداد، وبإدراك العلاقة بين القواعد الإيمانية وبينها وبين الواقع، العلاقة التي تقوم على أساس التكامل والتناسق في منهاج الله، ذلك في حدود الوسع والطاقة والمسئولية والأمانة. وبإيجاز فالفقه هو القدرة على ممارسة الآيات والأحاديث رأياً وموقفاً وسلوكاً، ممارسة تخضع للشروط السابق

ذكرها في جميع الميادين التي يعمل فيها المؤمن. ومن هذا التعريف، ومما سبق عرضه، نستطيع أن نتلمس بعض خصائصه. إنه أولاً وقبل كل شيء إيمان وعلم وموهبة. إنه يحتاج إلى فطنة وكياسة. إنه نعمة من عند الله. إنه علم يقوم على قاعدتين أساسيتين: العلم بمنهاج الله والعلم بالواقع. إنه علم يمتدّ مع امتداد منهاج الله وامتداد الحياة، لا ينحصر في ميدان واحد، ولا ينخنق في عصر واحد. وإذا كانت هذه النعمة من عند الله واذا كان يمكن كسب شيء منها بالجهد، فإن أهم الجهد هو الجدّ في العلم بمنهاج الله، والتبصّر بالواقع، والتقرّب إلى الله بالشعائر وسائر الطاعات. ثم بعد ذلك هي قدرات ووسع يهب الله منها لمن يشاء من عباده على حكمة غالبة منه، فله الحمد والفضل والمنّة. وليعرف المؤمن حدّه، وليعلم أن أول قاعدة نتعلمها في الفقه هو أن يعرف المؤمن حدوده فلا يفتي في ما لا يعلم. ونذكر حديث رسول الله ﷺ، حديثه العظيم الجامع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه». رواه الترمذي

والذي لا يعني الفرد المؤمن في خطوطه العريضة هو ما خرج عن حدود مسئوليته وأمانته، مما لو دخل فيه أساء وأفسد. وكذلك هو مما خرج عن حدود وسعه وقدرته. ولكنّ منهاج الله ذاته يدرّب المؤمن ليعرف حدود ما يعنيه وما لا يعنيه. وإنما نحن نشير هنا إشارة لا تغني عن العودة إلى منهاج الله، لأخذ العلم الكامل والتدريب الواسع.

٤ ـ رَدّ الأُمور إلى منهاج الله:

إذا كانت معرفة المؤمن لحدوده هي قاعدة رئيسية أوليّة، حتى لا يتورّط المسلم في ما لا علم له به، أو في ما لا يقوى عليه، وحتى يكون دائماً أقرب إلى التقوى، فإنّ القاعدة الرئيسية الثانية هي ردُّ الأُمور كلها، صغيرها وكبيرها إلى منهاج الله، كل قدر وسعه وطاقته، ومسئوليته وأمانته.

على الفرد المؤمن أن يردّ قضاياه إلى منهاج الله، وعلى الجماعة أن ترد قضاياها إلى منهاج الله، وعلى الأُمة كلها كذلك، علمائها وولاة أمرها، عليهم جميعاً أن يردوا القضايا إلى منهاج الله.

من أجل ذلك نضع القواعد الأساسية التي لابد من أن يعلمها المسلم ويتدرب عليها لتحقيق هذا الأمر:

٤ ـ أ ـ النيّة :

وأول هذه القواعد وأهمها هو صدق النيّة وإخلاصها، وصدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى. وتصدق النيّة على قدر ما يحمل المؤمن من صفاء إيمان. والنيّة هي من أهم القضايا التي يتميّز بها الإسلام عن مذاهب البشر. ولابد من أن يظهر هذا التميّز في المسلم، في كلمته، وفي تصوره، وفي خطوته. والنيّة ممتدة في حياة المسلم كلها، وعليها يقوم نجاح عمله كله، وقبوله عند الله. ولقد سبق أن تحدثنا عن النيّة في أكثر من موقف: ولكننا نعيد ونؤكد أهمية النيّة في نجاح ردّ الأمور إلى منهاج الله. فإن عدم صفاء النيّة يخلط المعاني، ويوقع في الاضطراب، ويدفع إلى سوء التأويل.

٤ ـ ب ـ القضية والواقع :

كذلك يجب أن يدرس المؤمن القضية التي يريد أن يردها إلى منهاج الله، دراسة واسعة كافية توفر له: اليقين والتثبّت، وتنفي عنه الظنّ والريبة. فعندما نردّ قضية إلى منهاج الله يجب أن نعي القضيّة ونحيط بها إحاطة تسمح لنا بردّها. ودراسة القضية تفرض ربطها بالواقع ومعرفة خيوطها وصلاتها، حتى لا تدرس قضيّة معزولة في فراغ. ودراسة القضية والواقع تعني جهداً وسعياً، وحركة ومتابعة، وبحثاً وتنقيباً، حتى يطمئن القلب إلى ما توافر من معلومات. ودراسة القضية تحتاج إلى وقت يستغرقه الجهد. ولكننا لا نعني أن هذه الصورة التي نعرضها على هذا النحو تنطبق على كل قضية فالقضايا تتفاوت أهميتها، وصعوبتها، واتساعها. فالأساس إذن أن تعطي كل قضية ما تحتاج إليه من جهد، من خلال موازنة أمنية.

٤ ـ جـ ـ معرفة الحدود والمسئولية والاختصاص:

فلابدّ للمؤمن أن ينظر في مدى ارتباط القضيّة في دائرته ومسئوليته، أو في حدوده واختصاصه، أو في وسعه وقدرته. يجب أن يطمئن إلى أنه بدراسة هذه القضية أو تلك، يدرس أمراً مما يعنيه على أساس من حديث الرسول ﷺ، وأن يعرف الأساس الذي يرتبط به مع القضيّة، والقواعد الإيمانيّة التي تدعوه إلى دراستها، والاهتمام بها، وردّها إلى منهاج الله. فإذا استيقن من أنها خارجة عن حدوده، ردّها إلى صاحب الاختصاص حتى لا تضيع المصالح، أو ردّها إلى من هو أعلم منه، وسلك فيها السلوك الذي يأمره به دينه، عن علم ويقين، لا عن جهل وتخمين. وبذلك نتعلم أن تظلّ قضايا المسلمين في أيدي أهلها لا في

أيدي أعدائها، وأنها مصونة بالإيمان والعلم، والذمّة الواحدة التي تربط المؤمنين:

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. (النساء: ٨٣).

فالمسلم يهرع إلى حماية أمته. ومن بين وسائل الحماية هو عدم قتل القضايا بالظلم أو الإهمال أو التجاوز.

٤ ـ د ـ جمع الآيات الكريمة:

لابد بعد ذلك من جمع الآيات التي تتعلق بالقضيّة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، جمعاً يقوم على العلم والتثبّت، دون اللجوء إلى تأويل يخرج عن حدود اللغة العربية، أو يعارض قاعدة إيمانيّة. وحين نجمع الآيات الكريمة لا نأخذ جزءاً من آية وإنما نأخذ الآية كلها ليكون المعنى أدق وأوفى. ونحاول كذلك أن نفهم السورة التي وردت فيها الآية فهمًا يساعدنا على وعي أعمق للآية، وإدراك أوسع. ويظل فهم الآيات مرتبطاً بالإيمان والتوحيد، وبمراقبة الله وخشيته، وبالوقوف عند الحدود والوسع والطاقة. وربما يجد المسلم أن آية أو آيتين وضعتا له الحلّ البين فينتهي.

٤ ـ هـ ـ جمع الأحاديث الشريفة:

ثم يجمع المسلم الأحاديث الشريفة التي تتعلق بالقضيّة أيضاً، ويتثبّت من صحة هذه الأحاديث ودرجتها، وسلامة المصدر الذي يأخذ عنه. ولا يتردد من أجل ذلك في أن يرجع إلى أي عالم مختص أو مرجع معتمد حتى يبلغ ذلك، مهما كلفه ذلك من جهد. ولا نعتقد أن المسلم يجد اليوم عنتاً كبيراً، وقد يسر الله من الوسائل ما لم يكن متوافراً في عصور سابقة. وسيجد المسلم متعة طيبة وهو يعتاد البحث عن حديث والتأكد من سنده ونصه. ولكن الأمر سيكون أسهل بكثير إذا اعتمد مرجعاً موثوقاً في هذا الأمر. وندعو الله أن يزيد الأمر سهولة ويسراً حتى تصبح الأحاديث الصحيحة في متناول المؤمن.

٤ ـ و ـ دراسة النصوص:

ثم يقوم المؤمن بدراسة هذه النصوص ليتثبّت من فهمه لها ووعيه لها، وليتثبّت كذلك من ترابطها فيما بينها، ومن علاقتها بالقضية المدروسة.

٤ ـ ز ـ الاستعانة بالعلماء وأقوال أئمة المسلمين:

حين يدرس المسلم نصوص القرآن والسنة، بعد أن درس القضية والواقع، فإنه يعلم عندئذ مدى ما درست هذه القضيّة في تاريخ الإسلام، فيستعين بذلك على قدر ما ترتبط القضيّة بجهود أئمة المسلمين وعلمائهم. وتظل جهود علماء المسلمين على مر الأجيال خيراً يمدّ خيراً، وبركة تتصل ببركة، وعطاءً يبعث العطاء، ونماءً يرفد نماءً.

٤ ـ حـ ـ الشورى:

ويستعين بالشورى ما وسعته القضيّة. ويسمع رأي من يثق في دينهم وعلمهم وتقواهم. فتكون الشورى بذلك خيراً وبركة.

٤ ـ ط ـ الرأي والنتيجة:

من خلال ذلك كله يخلص إلى رأي ونتيجة تكون خلاصة نيّته وتجرده لله سبحانه وتعالى، وخلاصة إيمانه وعلمه وجهده.

عندما يتدرب المؤمن على هذه الخطوات، تتكون لديه القدرة النامية في حدود وسعه وطاقته. وتصبح ممارسة هذه القاعدة تساعد المؤمن على صدق ممارسته لقواعد أُخرى. فهذه القاعدة عند ممارستها في خطواتها السابقة تعرّفه على قدراته ووسعه، وقدرات غيره. إنها تساعد على التعارف والتآلف، والتعاون والحب في الله، عندما يعرف كل مؤمن حدوده ومنزلته.

ولا يحسب المؤمن أن هذه الخطوات تحمل له المشقة والمعاناة في كل قضية. فمن القضايا ما يتضح له الرأي فيها مع بواكير النصوص التي تقدم له اليقين. فيوفر بذلك جهدا. ومن القضايا ما يحتاج إلى مشقة أوسع أو معاناة أشد. فلا يفزع المسلم من هذه المشقة والمعاناة. فله أولاً أجر عليها مبارك إن شاء الله إن صدق النـيّة. وهي ثانياً أخف من معاناته حين يقدم رأياً جاهلاً أو تائهاً، أو رأياً يُبنى على الهوى والجهل. وكذلك فإن المسلم يجب أن يعي أن الإيمان ليس نوماً وراحة، حتى يطلب كلّ شيء يأتيه دون جهد منه.

ولقد أُصبح بعض الناس يريدون من غيرهم أن يفكر عنهم، ويدرس عنهم، ويبحث عنهم، ويقدم لهم الفتوى جاهزة. ونسى أنه في جميع الحالات يحمل هو مسئولية عمله ورأيه وكلمته، ويحمل مسئولية نومه وكسله، يحمل مسئولية ذلك كله بين يدي الله العزيز الجبار.

فلينهض المسلم إلى مسئوليته وليعلم أن كثيراً من القضايا في حياته سيظل هو المسئول عنها في الدنيا والآخرة.

إن المسلم يحتاج إلى هذه الممارسة في جميع أمور حياته على قدر متفاوت من الجهد. فهو يحتاج إلى ممارسة إيمانه، وهو يضع تصميم بناء حتى لا ينهار البناء على سكانه، وهو يحتاج ذلك وهو يضع مواصفات فنية لعمل فني، وكذلك في كل عمل يقوم به لنفسه، أو لأهله، أو لأصحابه أو تنوط به الأمة مسئوليته.

من أجـل ذلك كان المنهاج الذاتّي يساهم مع مؤسسات الأمة في الوفاء بهذه الأمانة، وتقديم هذه الحماية.

ويحسن بنا هنا أن نوجز الخطوات التي نقترحها في سبيل رد الأمور إلى منهاج الله. ونهدف من هذا الإيجاز تثبيت هذه القواعد في الصدور والقلوب، حتى تكون في أسس التربية والبناء.

- النيّة الصادقة والتجرّد لله سبحانه وتعالى.
- دراسة القضية والواقع.
- معرفة الحدود والمسئولية والاختصاص.
- جمع الآيات الكريمة.
- جمع الأحاديث الشريفة.
- دراسة النصوص.
- الشورى.
- الرأي والنتيجة.

٥ - استمرار الممارسة الإيمانيّة وامتدادها:

ربما اعتاد بعض المسلمين أن يؤجل بعض واجباته الإيمانيّة حتى يجد وقتاً أوسع، أو مالاً أكثر، أو ظرفاً أفضل. وهو يبني تصوّره لذلك على رغباته وأمانيه، دون أن يلتزم في تقديمه أو تأخيره لواجب بقواعد إيمانيّة، وعلم صادق، وإيمان صاف.

فلو قلت مثلاً لرجل أن يدرس كتاب الله، وقد وهبه الله القدرة على القراءة والكتابة، ووهبه العلم الدنيوي، أو لو طلبت إليه أن يتفقّه في شعائره التي يؤديها، ومعاملاته التي

يمارسها، أو أيَّ شيء من مثل ذلك، ربما أجاب بأنه ينتظر حتى يتخرّج من الجامعة، ثم يعكف على ذلك، أو يزعم أن دراسته الدنيوية تأخذ منه الوقت. فإذا تخرّج ومنّ الله عليه بفضله، عاد واعتذر بأنه منهمك في البحث عن وظيفة، ثم يعد بأنه إذا استقر في الوظيفة أعطى هذا الأمر جهده. فإذا نال الوظيفة بفضل الله عاد يعتذر بحاجته إلى الزواج، ثم يعتذر بالزواج نفسه، ثم بالبنين، ثم بالجري اللاهث وراء المال. ويظلّ يجد أعذاراً يجعلها مبررات تحول دون فهمه لدينه، أو دون قيامه ببعض الواجبات الإيمانيّة التي قد تكون بعض الشعائر منها. وتمضي الحياة والأعذار تتجدد، والتقصير يمتد، حتى يفارق الإنسان الدنيا، يحمل معه جهله، ولا تنفعه أعذاره.

فلابد إذن من أن نوضح قضيَّة هامة في الممارسة الإيمانيّة، هي أن واجبات المسلم تبدأ من اللحظة التي يدخل فيها المسلم هذا الدين ببلوغ الرشد أو بالشهادتين. وتبدأ الواجبات وتمتد مع العمر كله، كل قدر وسعه وطاقته، ومسئوليته وأمانته. ولكن الوسع الذي نتحدث عنه هنا هو الوسع الذي وهبه الله لعبده، لا الوسع الذي يتوهمه الإنسان في نفسه من خلال أعذاره ورغباته وأهوائه. والأمانة هي الأمانة التي كلفه بها الله سبحانه وتعالى، لا تغيّرها الأوهام والأحلام، ولا الجهل ولا الهوى.

من هنا تبدأ الواجبات وتمضي مع العمر كله. فإذا وعى المسلم هذه الصورة علم أن عليه أن يمارس إيمانه عن يقين وعلم في جميع ظروف حياته. يجب أن يمارس إيمانه وهو طالب وموظف، وهو عازب ومتزوج، وهو غنيّ أو فقير. يجب أن يقوم بواجباته الإيمانيّة من خلال ظروفه وأوضاعه، دون أن يحوِّل هذه الظروفَ إلى أعذار، إنه بذلك يخدع نفسه وحده، ولا يخدع أحداً آخر.

وأول هذه الواجبات التي نراها لا تسقط عن المسلم في مختلف ظروفه، مع الشعائر، هو تدبر هذا الدين، وفهم كتاب الله وسنة نبيّه، وفهم الواقع الذي يعيش فيه، كل على قدر الوسع الصادق. والأمانة العادلة، حتى يستطيع ممارسة إيمانه على كلّ أحواله بصورة أقرب للتقوى.

من هنا كان المنهاج الذاتيّ يقدّم للمسلم عوناً في ممارسة هذا الواجب الإيماني، وتيسيراً له حتى يتخفف من أعذاره، وينهض إلى مسئولياته.

لابدّ من أن يمارس المؤمن إيمانه عن علم لا عن جهل، ولابدّ من أن تتمّ الممارسة من خلال ظروف حياته كلها، على موازنة أمينة بين الواجبات والمسئوليات.

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم نماذج توضح أهمية الممارسة الإيمانية من خلال مختلف الظروف والأحوال. فيوسف عليه السلام لم يمنعه السجن ولا التهمة الباطلة، من أن يبلغ دعوة ربه. فلما دخل معه السجن فتيان، وطلبا إليه تأويل ما رأياه في نومهما، وعدهما بتأويل ذلك. وكان وعده تهدئه للنفس المتعجلة، كان كذلك تألفاً لهما ليسمعا ما سيبلغهما من دعوة ربه. وانطلق مباشرة، وبأسلوب نبوي عظيم، إلى الدعوة والتبليغ لا يصدّه عن ذلك شيء، مستفيداً من كل إمكانات واقعه استفادة طاهرة نظيفة. وسورة يوسف تعرض هذه القصة بالتفصيل.

وأيوب عليه السلام لم يعطل المرض دينه ولا إيمانه ولا دعوته. ومضى صابراً محتسباً، وقد ابتُلِيَ في ماله وأهله وبدنه. مضى نبيّاً داعياً إلى الله، وقد قضى في البلاء ثمان عشرة سنة، حتى منّ الله عليه برحمته، ونجّاه ورزقه:

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ . ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ . وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ . وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾.

(ص: ٤١ ـ ٤٤).

نعم! ﴿نعم العبد إنه أواب﴾. ذلك لأنه كان يرجع إلى الله في كل حاله من نعمة وشدة، وفرج وكرب. والرجوع إلى الله هو المضي على أداء الأمانة، والوفاء بحق الرسالة، لا تهون عزيمة، ولا يقعد عن واجب، يعرف مسئولياته ونهجه.

وتكشف لنا سيرة الرسول ﷺ كيف كان يمضي في دعوته من خلال ظروفه كلها، ومن خلال الواقع الذي تعاني منه الدعوة، دون أن تسقط الدعوة في أحضان الأعذار. ولقد رأينا رسول الله ﷺ وهو يرعى شئون أُمته ودعوته وهو في أشد حالات المرض الذي توفاه الله فيه. فقد صعد المنبر، في مرضه ذاك، عاصباً رأسه، فذكر أصحابَ أُحد واستغفر لهم، وأكثر الصلاة عليهم، ثم تحدّث إلى الناس. وفي السيرة كذلك أنه غُمِرَ ﷺ واشتدّ به وجعه، فقال: «هريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم». ولما

استبطأ الناسَ في بعث أُسامة وهو في وجعه، خرج إلى الناس عاصباً رأسه وحدثهم في ذلك. وهكذا ظل ﷺ يتابع شئون الأمة والدعوة وهو في أشد حالات المرض.

ولم تكن الدعوة وهمومها تمنع الرسول ﷺ من أن يعيش حياة الإنسان، حياة البشر: يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، ويتزوّج، ويسامر أهله، ويلقى أصحابه، ويمرض ويعافى، ذلك كله لترى البشريّة كلها أن أمر الدعوة يمضي من خلال حياة الإنسان وسعيه وعمله، دون أن تصدّ حاجات الرزق عن الدعوة والجهاد. ويصور لنا القرآن الكريم هذه الصورة:

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾. (الفرقان: ٧).

وكذلك في حديث رسول الله ﷺ نجد صورة مشرقة لامتداد الممارسة الإيمانيّة:

عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيّ ﷺ، يسألون عن عبادة النبيّ ﷺ. فلما أخبروا كأنهم تقالّوها. وقالوا: أين نحن من النبيّ ﷺ وقد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أما أنا فأُصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أُفطر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له. لكني أصوم وأُفطر، وأُصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

رواه البخاري[1]

فالعمل الصالح أو الممارسة الإيمانيّة تمتد في جميع ميادين الحياة، كل قدر وسعه، وقدر مسئوليته وأمانته، ولا تنخنق في جانب واحد، حتى ولو كان ذلك الجانب شعيرة من شعائر الإسلام. فشعائر الإسلام كلها تمثل الأساس المتين الذي تمتد عليه الممارسة الإيمانيّة في ميادين الحياة.

ومن هذه النظرة تمتد الممارسة الإيمانيّة من العمل الصغير الذي قد يحقره بعض الناس إلى جلائل الأعمال:

---

(١) صحيح البخاري. كتاب النكاح (٦٧). باب الترغيب في النكاح (١).

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبيّ ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق». رواه مسلم[1]

ومن هذا الشمول والامتداد لطبيعة الممارسة الإيمانيّة، تكتسب الممارسة الإيمانيّة سائر الخصائص، لترتبط كلها مع قواعد المنهاج الربّاني. ولذلك نرى أن المداومة على العمل، ومتابعته والاستمرار فيه، حتى لو كان العمل قليلاً، هي من خصائص العمل الصالح والممارسة الإيمانيّة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة. فقال: من هذه؟ . فقلت: امرأة لا تنام. تصلّي. قال: «عليكم من العمل ما تطيقون. فوالله لا يملّ الله حتى تملّوا وكان أحبُّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه». متفق عليه[2]

فمداومة العمل الصالح هي من خصائص الممارسة الإيمانيّة، حتى يرسم المؤمن بعمله نهجاً مستمراً، وتمضي الأجيال المؤمنة مداومة على العمل الصالح، تبني وترفع البناء وتعلي، حتى يمتدَّ الخير في الأرض من جذور نامية، تصدُّ الشّر وتقطع جذوره. ولا يبقى في الأرض قوة إلا جذور العمل الصالح.

ولا ننسى أن نذكّر أنفسنا بحديث الرسول ﷺ، يعلمنا أساس العمل الصالح ألا وهو الصلاة. فمنها تنطلق الممارسة الإيمانيّة وعليها تقوم، لا لتُخْنَقَ في زاوية ضيقة، ولكن لتمتدَّ، منطلقة من الصلاة وبركتها ونورها، إلى ميادين الحياة، مع مصاحبة منهاج الله إيماناً وتدبراً، وعلمًا وعملاً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح. وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الربّ عزَّ وجلّ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة؟ ثم تكون سائر أعماله على هذا». رواه الترمذي[3]

---

(١) صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب (٤٥). باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٤٣). حديث رقم (٢٦٢٦).

(٢) صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافر. (٦). باب (٣١). حديث رقم (٧٨٥).

(٣) سنن الترمذي: أبواب الصلاة (٢). باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (٣٠٥) حديث رقم (٤١٣).

٦ ـ بين بذل الجهد وجني الثمار :

يضع المؤمن جهده ويصبّ عرقه في دين الله عملاً صالحاً، وممارسة إيمانيّة تستوفي خصائصها، دون أن يتعجل جني الثمار في الدنيا . فكما أن لكل ثمرة في البستان شروطاً وسنناً ومواقيت لنضجها وقطفها، فكذلك ثمار الجهد والعمل لها شروطها وأوانها . أما شروطها فقد عرضنا منها قبسات، وأما أوانها فلله سنن تمضي، «والله غالب على أمره» . ولم يجعل الله سبحانه وتعالى جني الثمار في الدنيا شرطاً لقبول العمل في الآخرة . فالأساس أن المؤمن يعمل وقلبه معلق في الجنّة، ونيّته خالصة لله، وجهده مطابق لدين الله مطابقة إيمان وعلم، لا مطابقة ظنٍّ وتخمين، ورغبة وهوى . فالثمرة الحقيقية التي يرجوها المؤمن هي عند الله، في الدار الآخرة .

أما في الدنيا فالأمر على أحد حالتين . فإما هو سعي طيب لرزق حلال طيب، فسينال منه ما يُقَدِّره الله له، فالله هو يقدر الرزق لمن يشاء على حكمة بالغة . وما على المؤمن إلا أن يسعى وهو مطمئن إلى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ . (هود : ٦) .

وإما هو عمل وسعي لنصرة دين وعزة عقيدة، فهنا يبذل المؤمن جهده على نهج واع، يتجه لأهداف ربانيّة واعية، مطمئناً إلى وعد الله ورحمته ونصرته . فالثمرة هنا هي بلوغ هدف وتحقيق غاية . وهنا كذلك ما على المؤمن إلا أن يضع نهجاً ويحدد هدفاً ويبذل جهداً . والله هو وحده يقدر متى تتحقق الأهداف . ومسئولية المؤمن يمكن حصرها في نقاط : النيّة ومقدار صفائها وتجردها، والإيمان ومدى قوته، والعلم ومدى عمقه والنهج ومستوى سلامته، والأهداف وإشراقة وضوحها . فإذا استوعبت هذه القضايا : النية، الإيمان، العلم، النهج، الأهداف، إذا استوعبت وسع الإنسان وطاقته، وجهده وبذله، على موازنة عادلة أمينة فقد أدى الواجب إن شاء الله، والله يقدِّر ما يشاء .

ونرى في منهاج الله وضوحَ التكاليف وإشراق الأوامر والنواهي، وبيان الحلال والحرام، والحق والباطل، نرى وضوح ذلك كله وإشراقه، وتأكيد التكاليف في هذه الآية وتلك، وهذا الحديث وذاك . فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ الدعوة للناس، والجهاد في سبيل

الله ، هي كلها وكثير غيرها تكاليف بيّنة جليّة. فحين أمر الله عباده أن يكونوا صادقين في عملهم كله ، مستوفين لجميع الشروط والخصائص الإيمانيّة من نية وعلم وإعداد وغير ذلك ، لم يربط الله سبحانه وتعالى النصر إلا به وحده.

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ..... ﴾. (الأنفال: ١٠).

ويتكرر هذا المعنى **﴿وما النصر إلا من عند الله﴾** في أكثر من سورة، دون أن يعني هذا التكرار سقوط التكاليف عن المؤمن. فلو قصر المؤمن في شيء من ذلك فإنه محاسب. ولكن هذا المعنى يؤكد التصوّر القرآنيّ بأن النصر ليس نتيجة حتميّة لجهد يُبذَل مهما كان ذلك الجهد. ولكنّ بذل الجهد تكليف حتميّ. وأما النصر فيهبه الله هو وحده لمن يشاء من عباده على سنن غالبة، وحكمة عادلة، ورحمة واسعة، وعلم يحيط بكل شيء.

من هذا نرى أن على المؤمن أن يعرف حدود مسئولياته، ودوائر جهده وعمله، والثغور التي يقف عليها، فيصدق الله في جهده وبذله على إخلاص نيّة، وصفاء إيمان، وقوة علم. والله يقدِّر ما يشاء.

فإذا لم يبلغ المؤمنون أهدافهم الربّانيّة، أو طال عليهم الأمر، فلينظروا في نفوسهم ونيّاتهم، ولينظروا في إيمانهم، ولينظروا في علمهم ونهجهم، ولينظروا بعد ذلك كله هل استوفى عملهم ونهجهم شروطه الإيمانيّة، وهل استوعب وسعهم وطاقتهم. فإن وجدوا خيراً فليحمدوا الله وليمضوا صابرين. وإن وجدوا خللاً فليهرعوا ليصححوا نيّة، وليصححوا إيماناً، وليصححوا علمًا، وليصححوا عملاً وجهداً، وليصححو نهجاً يرسمونه.

وفي الحديث القدسيّ فيما يرويه النبيّ ﷺ عن الله تبارك وتعالى توضيح لمسئولية الفرد في الحياة، ومسئولية الجماعة، ومسئولية الأمة:

عن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بن جُنَادَةَ رضيَ الله عنه عن النبيّ ﷺ فيما قال عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ياعبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا. ياعبادي كُلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. ياعبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم. ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فتضرُّوني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. ياعبادي لو أنَّ أولكم وآخركم

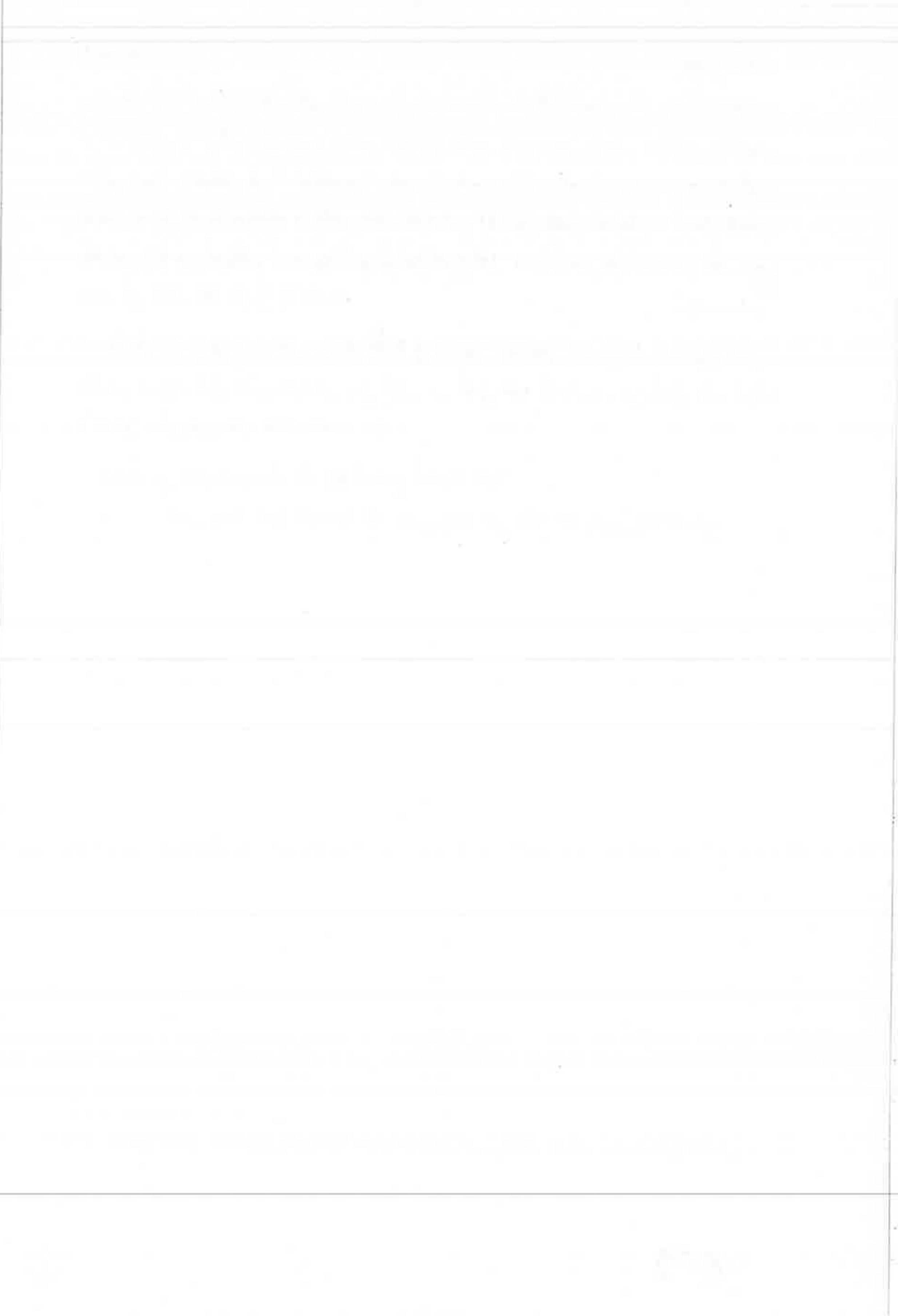
وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. ياعبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. ياعبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر! ياعبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثمَّ أوفيكم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه». رواه مسلم[1]

فلينظر المؤمن في عمله هو، ولتنظر الأمة في عملها. ولينهض الجميع إلى تصحيح عمل، وتقويم مسيرة، قبل أن يبحثوا عن جني ثمار. من أجل هذه المحاسبة، من أجل هذه الوقفة لابد من علم يَقوم عليه ذلك كله... !

ونعيد من حديث رسول الله ﷺ لننصح أنفسنا كلنا:

«.... فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه».

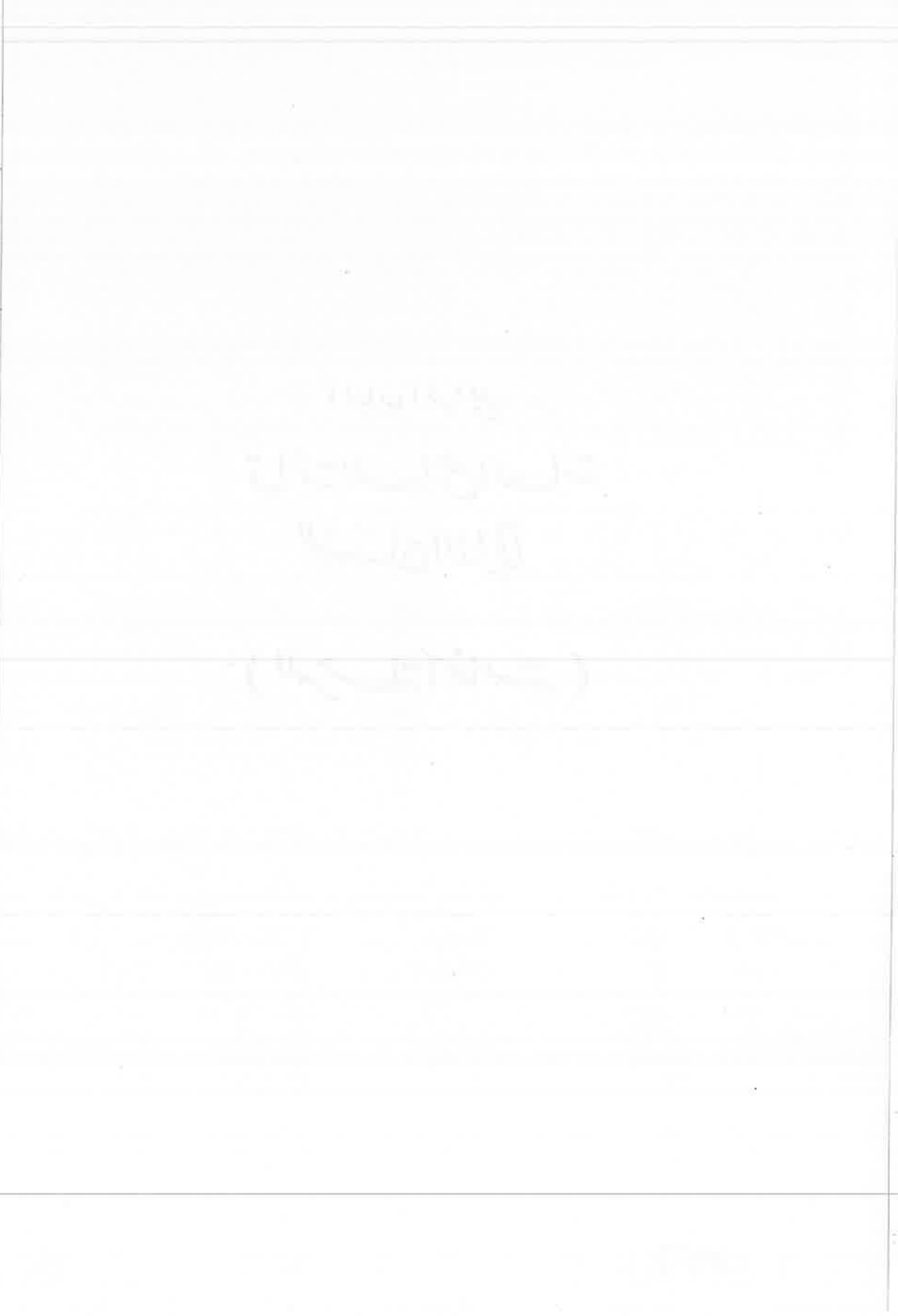
(١) صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) باب تحريم الظلم (١٥). حديث رقم (٢٥٧٧).



الباب الرابع

قائمة المراجع العامة للمنهاج الذاتي

(للمرحلة الخامسة)



تمهيد

لا نقصد بهذه القائمة من المراجع والكتب أن يقرأها المسلم كلها أو معظمها، ولا نقصد أن هذه القائمة من المراجع استوفت الكتب كلها في كل علم، وجمعت ما كتبه السابقون واللاحقون، فذلك أبعد من أن نبلغه، وأبعد من أن نقصده.

هنالك هدف أساسي واضح عرضناه في هذا الكتاب، وجعلنا له مراحل لبلوغه. هذا الهدف هو فهم منهاج الله ـ قرآنا وسنة ـ وفهم الواقع، وممارسة منهاج الله في الواقع البشري على النحو الذي يأمر به الله سبحانه وتعالى. فالهدف إذن هو منهاج الله والواقع، وكل ما عداهما فهو يخدمهما أو يخدم أحدهما.

وبعد أن ينهي المسلم المرحلة الرابعة التي سبق شرحها في مراحل المنهاج الذاتي، تتوافر لديه بإذن الله القدرة على أن يختار اتجاها وتخصصاً، إذا رغب في ذلك، أو أن يختار كتاباً يعينه على تحقيق الهدف السابق.

إن جمع كل ما كتب في الأبواب المطروقة ، يمثل في الحقيقة ما كتبه المسلمون وغيرهم في أربعة عشر قرناً. فلا نهدف أن نمثل للمسلم أن الإسلام أكوام من الكتب لا يصحّ إيمانه ولا علمه إلا إذا وعاها كلها. إن الأمر إن شاء الله أهون من ذلك بكثير. لقد يسّره الله للمؤمنين، وما جعل عليهم في الدين من حرج، فلا يصحّ إذن أن نجعل اليسر عسراً، أو أن نضع على أنفسنا حرجاً رفعه الله عنا. من أجل ذلك نحصر الهدف في تدبّر منهاج الله وفي فهم الواقع حتى تتيسَّر ممارسة منهاج الله في الواقع البشري. وعلى يسر هذا الهدف، فإنه يحتاج إلى همة وعزيمة، وجهد وبذل، ولكن ذلك كله في نطاق وسع الإنسان عامة، وفي حدود وسع كل إنسان حين يتفاوت الناس بالوسع والطاقة.

من هذه القائمة العامة الموسعة نسبياً يستطيع المسلم أن يختار هذا الكتاب أو ذاك في الأبواب التي يطرقها. ويستطيع كذلك أن يختار من كل مكتبة تليداً أو طريفاً. فهذه القائمة أضيق من أن تشمل كلّ ما يمكن أن نوصي به.

فيكـون أمام المسلم ثلاث درجات من الاختيار الدرجة الأُولى تمثلها القائمة المبسطة للمـراحل الأربع الأولى. والدرجة الثانية هي هذه القائمة الموسعة. والدرجة الثالثة هي المكتبة الإسلامية العامة الممتدة في الأرض الإسلامية.

ويجب أن لا ننسى أن الواقع ممتد كذلك، وأنه سريع الحركة كثير الأحداث، مما يجعل كتب الواقع تتبدّل كذلك. فعلى المسلم أن يتابع الواقع قدر وسعه وطاقته في تغيُّره وتجدد أحداثه. ولهذا السبب ولغيره، فإن المكتبة الإسلامية نامية، والمجتمع الإسلامي نام كذلك، والطاقات المؤمنة متجددة، مما يستدعي ظهور طاقات جديدة بين لحظة وأخرى، وظهور كتب جديدة كذلك.

ولهذه الأسباب كلها نعتبر أن هذه القائمة الموسعة هي مرشد ومعين، والميدان واسع ممتد.

ولا ندعي أن هذه القائمة الموسعة شملت جميع الكتب المناسبة في هذا الباب أو ذاك، وإنما هو جهد بذلناه نرجو به طاعة الله. فإذا غاب اسم بعض الكتب أو أسماء بعض المؤلفين فتلك طبيعة الجهد البشريّ أن لا يبلغ الكمال. وهذه القائمة لم تهدف إلى الاستقصاء الذي يحصر كل ما ورد في هذا الباب أو ذاك، وإنما نماذج نقدمها ليختار القارىء منها أو على غرارها من المكتبة الإسلامية الواسعة.

وكذلك فإن ما نورده من أسماء بعض الكتب ـ وخاصة في باب الواقع ـ لا يعني أنها تمثل وجهة نظرنا ورأينا. فكل كتاب يمثل رأي مؤلفه. ويتحمل القارىء المسلم، وخاصة بعد المرحلة الرابعة من المنهاج الذاتّي ـ مسئولية ردّ الأمور إلى منهاج الله، لينخل ما يقرأ. ونشير هنا إلى أن المراجع مرتبة في كل بند من القائمة حسب ترتيب الأحرف الأبجدية لأسماء المؤلفين.

قائمة
المراجع العامة
للمنهاج الذاتي



أولاً

مراجع دراسة المنهاج الربّاني

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ السنة النبوية
٣ ـ اللغة العربية



بنود

دراسة المنهاج الربّاني

١ ـ القرآن الكريم :

أ ـ التلاوة :

أ ـ ١ ـ التفسير الميسر .

أ ـ ٢ ـ معاجم المفردات .

أ ـ ٣ ـ أحكام التجويد والقراءات .

ب ـ التفسير والظلال .

جـ دراسات قرآنية .

د ـ الإعراب .

٢ ـ السنة النبوية .

٣ ـ اللغة العربية .

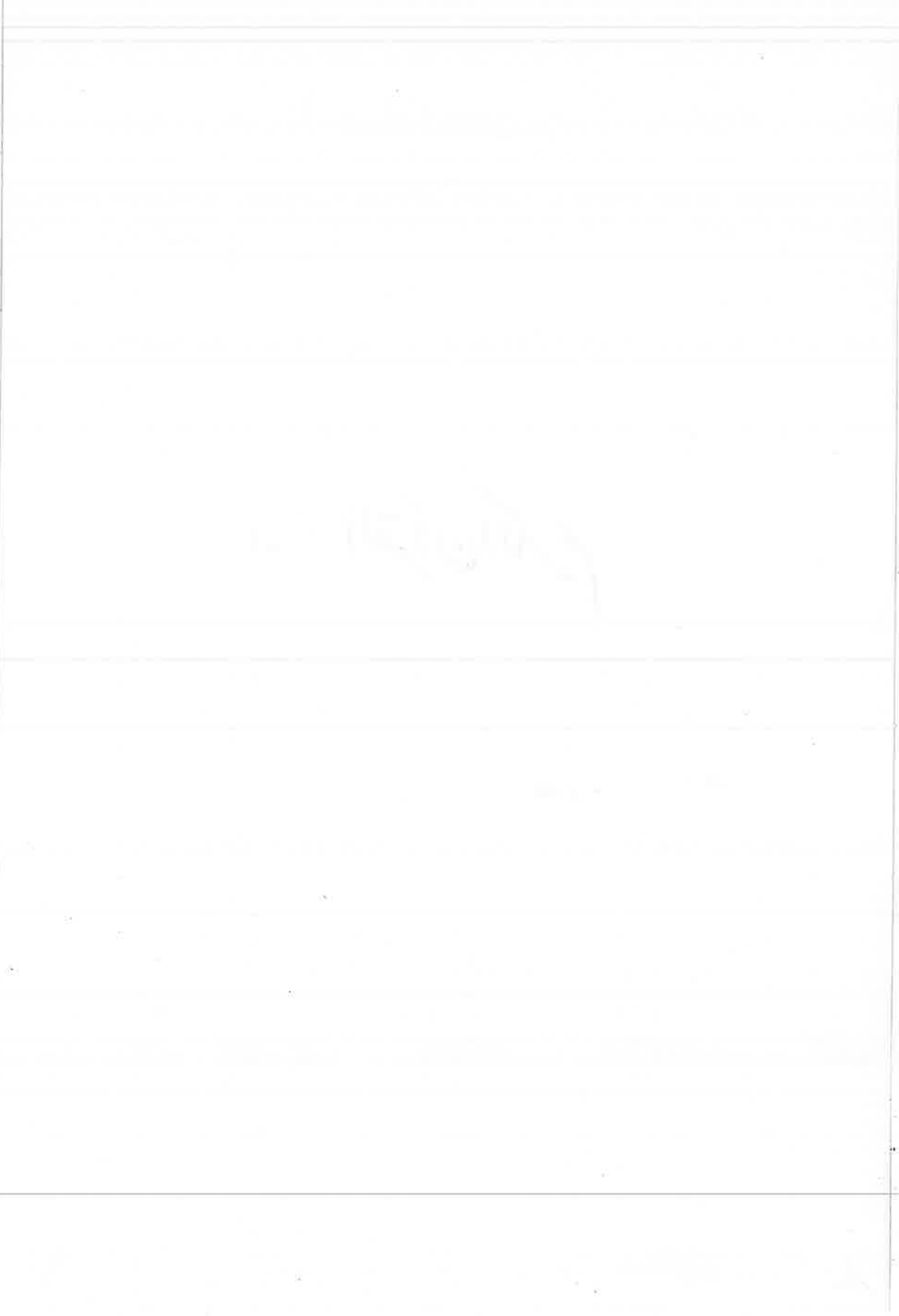
أ ـ القواعد .

ب ـ البلاغة .

جـ ـ مختارات من الأدب الإسلامي .

د ـ المعاجم وكتب أخرى عامة في اللغة والأدب .

١- القرآن الكريم



١ ـ القران الكريم

أ ـ التلاوة :

أ ـ ١ ـ التفسير الميسر :

ابن صمادح الأندلسي :	تفسير الشروق .
أحمد حنفي نصار القوصي :	تفسير القوصي .
جلال الدين السيوطي وجلال الدين بن أحمد المحلي	تفسير الجلالين .
عبدالله الخياط	التفسير الميسر .
عبدالودود يوسف	تفسير المؤمنين .
محمد حسنين مخلوف	أضواء البيان .
محمد فريد وجدي	المصحف الميسر

أ ـ ٢ ـ معاجم المفردات :

الراغب الأصفهاني	المفردات (جزءان) .
الحسين بن محمد الدامغاني	قاموس القرآن .
محمد حسنين مخلوف	كلمات القرآن تفسير وبيان .
محمد فؤاد عبد الباقي	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
نديم الجسر	غريب القرآن ومتشابهاته .

أ ـ ٣ ـ أحكام التجويد والقراءات :

أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي	الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها .
عبدالباري محمد	كيف تقرأ القرآن (أشرطة) .
عبدالعزيز قاري	التجويد الميسر مع ثلاثة أشرطة .
د. عبدالهادي الفضلي	القرآءات القرآنية .

(*) جميع المراجع مرتبة حسب الحروف الأبجدية للمؤلفين.

محمد أحمد معبد	الملخص المفيد في علم التجويد .
محمد بن محمد الجزري	التمهيد في علم التجويد .
محمد الصادق قمحاوي	البرهان في تجويد القرآن .
محمد سعيد محمد علي ملحس	أحكام تجويد القرآن .

ب ـ التفسير والظلال

إبن أحمد الأنصاري القرطبي	تفسير القرطبي .
إبن جرير الطبري	جامع البيان في تفسير القرآن .
أبو الأعلى المودودي	تفسير سورة النور.
أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير	تفسير إبن كثير.
أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري	تفسير الكشاف
أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
سيد قطب	في ظلال القرآن
عبدالرحمن بن ناصر السعدي	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
مجمع البحوث الإسلامية في مصر	التفسير الوسيط .
محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن .
محمد بن عمر التميمي البكري	تفسير الفخر الرازي .
محمد رشيد رضا	تفسير المنار.
محمد علي السايس	تفسير آيات الأحكام .
محمد علي الصابوني	تفسير آيات الأحكام .
محمد علي الصابوني	صفوة التفاسير.
محمد علي الصابوني	مختصر تفسير إبن كثير.
محمد علي الصابوني، د. صالح أحمد رضا	مختصر تفسير الطبري .
د. محمد محمد حجازي	التفسير الواضح .

جـ ـ دراسات قرآنية

حمزة فودة	العلاقة الإنسانية في القرآن الكريم .
د . زاهر الألمعي	مناهج الجدل في القرآن الكريم .
د . زاهر الألمعي	دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .
عبدالعزيز المحمد السلمان	المناهل الحسان دروس في القرآن .
سيد قطب	مشاهد من يوم القيامة في القرآن الكريم .
محمد بن ناصر العبودي	نفحات من السكينة القرآنية .
محمد متولي شعراوي	معجزة القرآن .
صلاح عبدالقادر بكري	القرآن وبناء الإنسان .
محمد عزة دروزة	القرآن والمبشرون .
عبدالرحمن السعدي	فوائد قرآنية .

د ـ الإعراب (في القرآن الكريم)

أبو جعفر النحاس	إعراب القرآن الكريم (خمسة مجلدات) .
د . عبدالفتاح أحمد الحموز	التأويل النحوي في القرآن الكريم .
محيي الدين درويش	إعراب القرآن الكريم وبيانه .
مكي بن أبي طالب القيسي	مشكل وإعراب القرآن .



٢- السنة النبوية



٢ ـ السنة النبوية

المؤلف	الكتاب
أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القنوجي البخاري	عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري . «شرح التجريد الصحيح» .
أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القنوجي البخاري	السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج .
إبن الأثير الجزري	جامع الأصول من أحاديث الرسول .
إبن تيمية	الكلم الطيب من أذكار النبي ﷺ .
أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخراساني	سنن النسائي .
أحمد عبدالرحمن البنا (ترتيب وتأليف)	ترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني
سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني	سنن أبي داود .
السيوطي شرح محمد ناصر الدين الألباني	صحيح الجامع الصغير وزيادته .
مالك بن أنس شرح أحمد عرموش	موطأ مالك .
مجد الدين أبي البركات عبدالسلام ابن تيمية	المنتقى من أخبار المصطفى .
محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي	صحيح ابن خزيمة .
محمد بن إسماعيل البخاري	صحيح البخاري .
محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي	مشكاة المصابيح .
محمد بن عيسى بن سورة	جامع الترمذي .
محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه القزويني	سنن ابن ماجه .

محمد فؤاد عبدالباقي اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

محمد ناصر الدين الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة .

محمد ناصر الدين الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة .

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري صحيح مسلم .

د. مصطفى الخن وإخوانه نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين .

ملا علي القالي تحقيق د. محمد الصباغ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة .

منصور علي ناصف التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ .

٣- اللغة العربية



٣ - اللغة العربية

أ - قواعد اللغة

أحمد قبش	الكامل في النحو والصرف والاعراب .
أحمد الهاشمي	القواعد الأساسية للغة العربية .
د . حسن شاذلي	النحو والصرف .
عباس حسن	النحو الوافي .
عبدالعليم إبراهيم	النحو الوظيفي .
عبدالمنعم مسعد	المنهل في النحو.
د . عبدالهادي الفضلي	مختصر الصرف .
د . عبدالهادي الفضلي	مختصر النحو.
علي الجارم ومصطفى أمين	النحو الواضح (ثلاثة أجزاء) .
علي الجارم	النحو الواضح للمرحلة الثانوية .
فؤاد نعمة	مختصر قواعد اللغة العربية .
محمد الأنطاكي	المنهاج في القواعد والاعراب .
مصطفى الغلاييني	جامع الدروس العربية .

ب - البلاغة

أحمد مصطفى المراغي	علوم البلاغة .
د . بكري شيخ أمين	البلاغة العربية في ثوبها الجديد .
على الجارم ومصطفى أمين	البلاغة الواضحة .
د . فضل حسن عباس	البلاغة فنونها وأفنانها .

جـ - مختارات من الأدب الإسلامي

يمكن للمسلم أن يختار ما يناسبه من القصائد والدواوين الشعرية للشعراء المسلمين الملتزمين وكذلك من القصص والمسرحيات وغيرها. ويمكن الاستعانة من أجل ذلك بالكتب التالية

أحمد الجدع وحسني أدهم جرار
شعراء الدعوة الإسلامية .

أحمد فرح عقيلان
جناية الشعر الحر

د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ثنيان العمران
الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث .

د. عبدالله الحامد
الشعر الإسلامي في صدر الإسلام .

د. سامي مكي العناني
الإسلام والشعر.

د. محمد بن سعد بن حسين
من شعراء الإسلام .

يوسف العظم
الشعر والشعراء في الكتاب والسنة .

د ـ المعاجم

أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق وضبط عبدالسلام هارون
معجم مقاييس اللغة .

أبو الحسن بن إسماعيل بن سيدة
المخصص

أبو الحسن بن إسماعيل بن سيدة
المحكم

إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور العطار
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .

جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
لسان العرب

الطاهر أحمد الزاوي
ترتيب القاموس المحيط .

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي
القاموس المحيط

مجمع اللغة العربية
المعجم الوسيط .

محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي
مختار الصحاح .

محمد مرتضي الزبيدي
تاج العروس من جواهر القاموس .

هـ ـ كتب عامة في الأدب واللغة والنقد

هـ ١ ـ كتب عامة في الأدب :ـ

إبن قتيبة	أدب الكاتب .
أبو تراب الظاهري	كبوات اليراع .
أبو الحسن علي الحسني الندوي	روائع إقبال .
أبو الحسن علي الحسني الندوي	مختارات من أدب العرب .
أبو علي القالي البغدادي	النوادر.
أحمد عبدالغفور عطار	دفاع عن الفصحى .
الجاحظ	البيان والتبين .
سيد قطب	التصوير الفني في القرآن الكريم .
عبدالله بن المقفع	كليلة ودمنة .
فاروق شوشة	لغتنا الجميلة .
محمد الرابع الندوي	منثورات من أدب العرب .
المبرد	الكامل .

هـ ٢ ـ كتب عامة في النقد والدراسات الأدبية :

د. إحسان عباس	تاريخ النقد الأدبي عند العرب .
د. أحمد ضبيب	على مرافيء التراث .
د. بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية .
د. عائض الردادي	التدين والمجون في شعر شوقي .
د. عبدالله الحامد	الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبدالوهاب .
د. عبدالباسط بدر	مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي .
د. عبدالرحمن رأفت الباشا	نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد .
د. عدنان علي رضا النحوي	الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته .

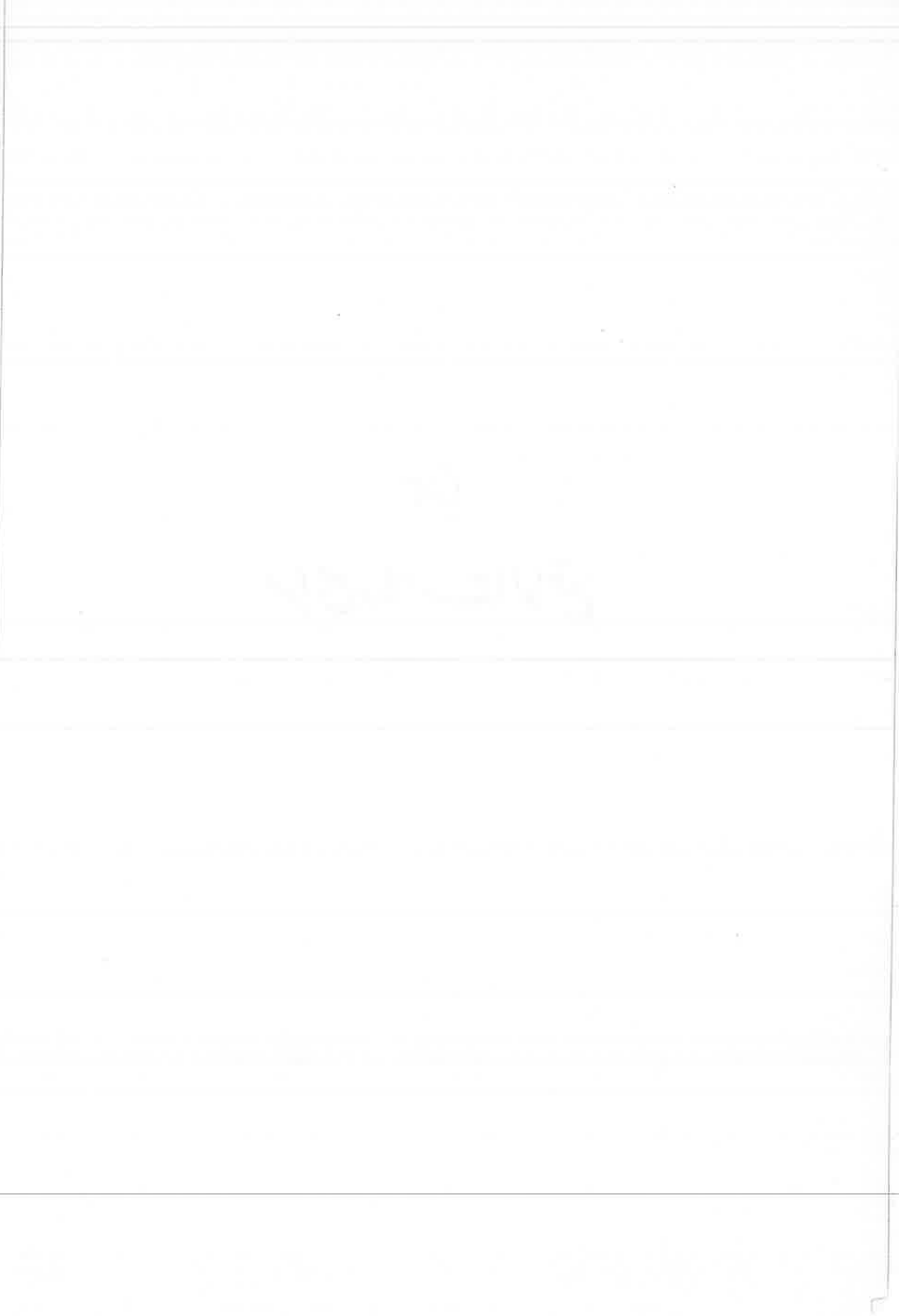
د. عماد الدين خليل — في النقد الإسلامي المعاصر.
سيد قطب — النقد الأدبي أصوله ومناهجه.
محمد قطب — منهج الفنّ الإسلامي.
د. محمد عبدالله الهرفي — أثر القرآن والحديث على شعر أبي العتاهية
د. محمد بن سعد بن حسين — الالتزام الإسلامي في الأدب.
د. محمد محمد حسين — الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.
د. محمد عبده يماني — هل هناك أزمة في الأدب.
د. محمد بن سعد الشويعر — عبدالله بن رواحة رائد شعر الجهاد.
د. محمد مصطفى هدّارة — مقالات في النقد الأدبي.
د. محمد مصطفى هدارة — موقف مرجليوت في الشعر العربي.
د. محمد مصطفى هدارة — اتجاهات الشعر العربي في القرن الثامن الهجري.

هـ ٣ ـ كتب عامة في اللغة:

د. إبراهيم السامرائي — فقه اللغة المقارن.
أحمد عبدالغفور عطار — الفصحى والعامية.
أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري — اللغة العربية بين القاعدة والمثال.
دار الرفاعي للنشر — العربية لغة الإعلام.
د. صبحي الصالح — دراسات في فقه اللغة.
د. علي عبدالواحد وافي — فقه اللغة.
د. نفوسة زكريا — تاريخ الدعوة إلى العامية.
أنور الجندي — المؤامرة على الفصحى لغة القرآن.

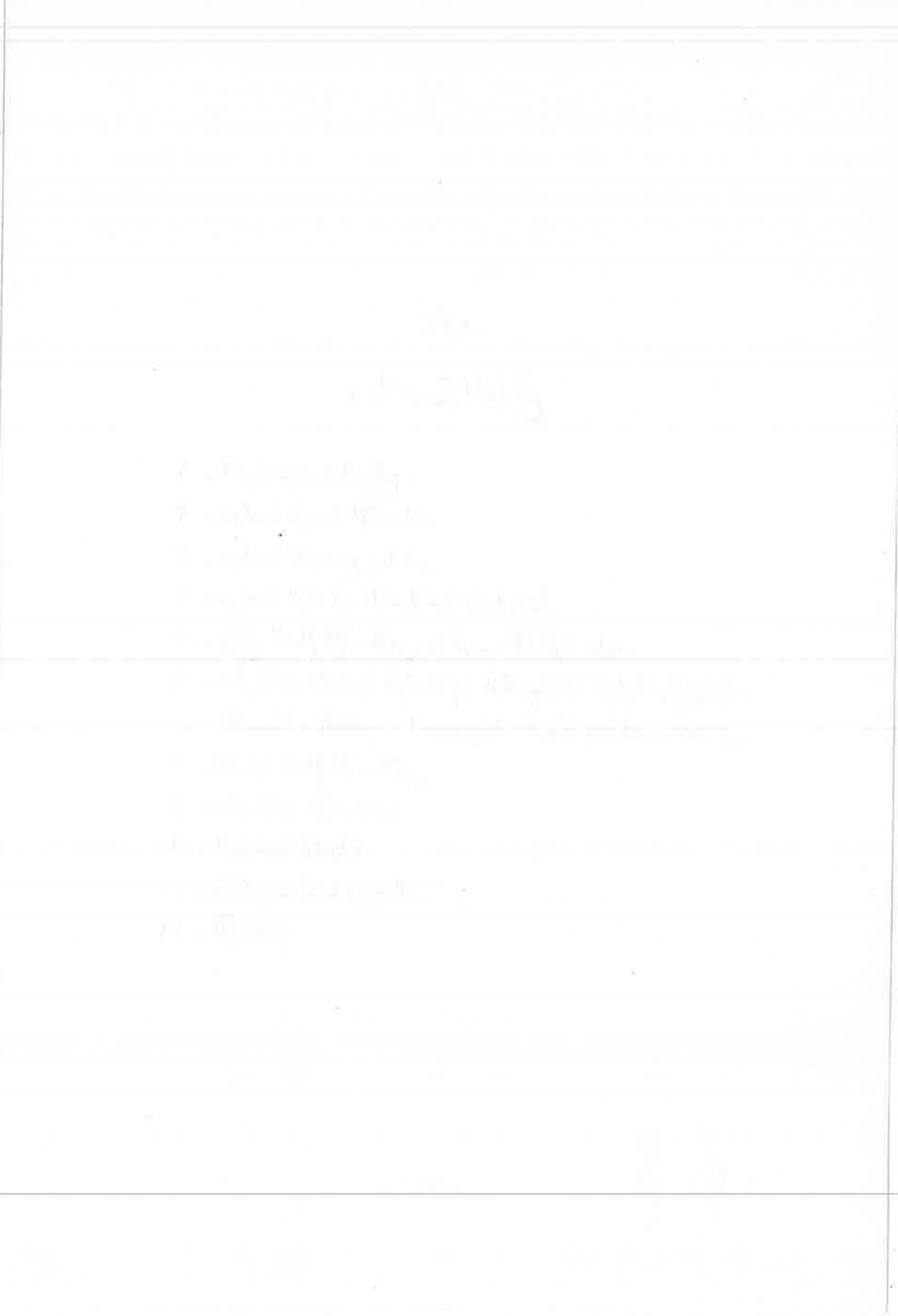
ثانياً

مراجع دراسة الواقع



بنود
دراسة الواقع

١ ـ أهمية دراسة الواقع.
٢ ـ دراسة طبيعة الإنسان.
٣ ـ دراسة المجتمع والناس.
٤ ـ دراسة البلدان الإسلامية بلداً بلداً.
٥ ـ واقع العالم الإسلامي والحرب الدائرة عليه.
٦ ـ الحركات المعادية للإسلام: القاديانية، البابية والبهائية، الماسونية، التبشير، الصهيونية، أديان ومذاهب أخرى.
٧ ـ قضايا العالم الإسلامي.
٨ ـ الحركات الإسلامية.
٩ ـ السياسة الدولية.
١٠ ـ مذكرات قادة ورجال.
١١ ـ الإعلام.



١ ، ٢ ، ٣ أهمية دراسة الواقع والإنسان والمجتمع :

المؤلف	الكتاب
د. أحمد العسال	الإسلام وبناء المجتمع .
د. أحمد نوفل	الحرب النفسية .
جودت سعيد	حتى يغيروا ما بأنفسهم .
د. رمزي نعناعة	تنظيم الإسلام للمجتمع .
سهيلة زين العابدين حماد	بناء الأسرة المسلمة .
سيد قطب	نحو مجتمع إسلامي .
د. عدنان علي رضا النحوي	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية .
د. عدنان علي رضا النحوي	ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية (الباب السادس) .
د. كامل الدقس	منهج سورة النور في إصلاح النفس والمجتمع .
محمد توفيق سبع	نفوس ودروس .
محمد قطب	خطوط متقابلة في النفس البشرية .
د. محمد بن سعد الشويعر	حسن الخلق وأثره في تكوين المجتمع الصالح

٤ ـ دراسة بلد إسلامي :

المؤلف	الكتاب
د. إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر	تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر .
زاهر ماضـي	الإسلام في أثيوبيا .
شريف الدين بن زاده	نشأة باكستان .
عبدالعزيز الرفاعي	خمسة أيام في ماليزيا .
عبدالرحمن النجار	الإسلام في الصومال .
عبدالقادر محمد سيلا	المسلمون في السنغال
علي الطنطاوي	أندونيسيا .

المؤلف	الكتاب
محمد أسد شهاب	صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة .
محمود شاكر	سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية .

٥ ـ واقع العالم الإسلامي والحرب الدائرة عليه

المؤلف	الكتاب
أبو الأعلى المودودي	تحديات العصر الجديد والشباب
أبو الحسن الندوي	ردة ولا أبا بكر لها .
أبو الحسن الندوي	الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .
أبو الحسن الندوي	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
أبو الحسن الندوي	من نهر كابل إلى نهر اليرموك .
إسماعيل كيلاني	فصل الدين عن الدولة .
أ . ل . شاتليه ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي	الغارة على العالم الإسلامي .
أنور الجندي	الصحافة والأقلام المسمومة
جلال العالم	قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله .
د . حسن صالح د . محمد غلاب ، محمود شاكر	البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية .
خديجة عبدالهادي المخيميد	حركة تغريب المرأة الكويتية .
زئيف شيف	الحرب المضللة .
زهدي الفاتح	المسلمون والحرب الرابعة .
شوقي أبو خليل	الإسلام وحركات التحرر العربية .
د . صلاح الدين المنجد	بلشفة الإسلام .
عبدالعزيز محمد بن إبراهيم آل الشيخ	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر .
عبدالعزيز المسند	متى ينتصر المسلمون .

عبدالقادر عودة	الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه
عبدالكريم عبدالله نيازي	الشعوب الإسلامية ومستقبل الأمة
عبدالكريم اليازجي	إليكم ياعلماء الغرب .
عصام العطار	أزمة روحية .
علي أبو جريشة ، محمد الزيبق	أساليب الغزو الفكري .
علي أبو جريشة	عندما يحكم الطغاة .
د . علي المنتصر الكتاني	المسلمون في أوروبا وأمريكا .
فتحي يكن	المسلمون بين المطرقة والسنديان .
د . قيصر أديب	الإسلام في الشرق الأقصى .
مالك بن نبي	الصراع الفكري في البلاد المستعمرة .
مالك بن نبي	المسلم في عالم الاقتصاد .
مالك بن نبي	وجهة العالم الإسلامي .
حسين عبدالله باسلامة	الإسلام في نظر أعلام الغرب
سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي	أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي .
محمد أحمد جمال	مفتريات على الإسلام .
د . محمد البهي	الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .
د . محمد جابر الأنصاري	تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي .
محمد عبدالعزيز منصور	يامسلمون اليهود قادمون .
محمد عطية خميس	الحركة النسائية وصلتها بالاستعمار .
محمد فهمي عبدالوهاب	الحركة النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية
محمد قطب	جاهلية القرن العشرين .

محمد قطب	واقعنا المعاصر
د. محمد محمد حسين	الإسلام والحضارة الغربية
د. محمد محمد حسين	حصوننا مهددة من داخلها
محمد محمود الصواف	المخططات الاستعمارية لمحاربة الإسلام.
محمود شاكر	سكان العالم الإسلامي.
محمود شاكر	المسلمون تحت السيطرة الشيوعية
محمود شاكر	المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية
د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ	التبشير والاستعمار في البلاد العربية.
مصطفى محمود	حذار لا هم تقدميون ولا علميون ولا موضوعيون.
مصطفى مؤمن	قسمات العالم الإسلامي في البلاد العربية.
د. وليد الخالدي	الاستشراق والمستشرقون.
د. يوسف القرضاوي	الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف.
الندوة العالمية للشباب الإسلامي	قضايا الفكر الإسلامي المعاصر.

٦ ـ الحركات المعادية للإسلام

٦ ـ أ ـ القاديانية:

أبو الأعلى المودودي	ما هي القاديانية.
أبو الحسن الندوي، أبو الأعلى المودودي ومحمد الخضر الحسين	القاديانية
إحسان إلهي ظهير	القاديانية
كلرزار أحمد مظاهري، ناصر الدين شاه ومحمد فواز	القاديانية

٦ ـ ب ـ البابية والبهائية :

إحسان إلهي ظهير	البابية .
محب الدين الخطيب	دراسات عن البابية والبهائية .
د. محسن عبدالحميد	حقيقة البابية والبهائية .

٦ ـ جـ ـ الماسونية :

أحمد عبدالغفور عطار	الماسونية .
جواد رفعت	أسرار الماسونية .
حسين عمر حمادة	شهادات ماسونية .
خضر محمد	هذه هي الماسونية .
صابر طعمة	الماسونية ذلك العالم المجهول .
محمد زكي الدين	الماسونية بين الحقيقة والخيال .
د. محمد علي الزعبي	حقيقة الماسونية .
د. محمد علي الزعبي	الماسونية في العراء .
د. محمد علي الزعبي	الماسونية منشئة إسرائيل .

٦ ـ د ـ الشيوعية :

إبراهيم سعدة	الروس قادمون .
أحمد عبدالغفور عطار	الشيوعية والإسلام .
د. صابر طعيمة	الفكر المادي في ميزان الإسلام .
صالح بن سعد اللحيدان	نقد أصول الشيوعية .
عباس محمود العقاد	الشيوعية والإنسانية .
د. عبدالله عزام	السرطان الأحمر
عبدالحليم خفاجي	حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون
د. عبدالحليم محمود	أبو ذر الغفاري والشيوعية .
د. عبدالرحمن عميرة	المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها .

د. مصطفى محمود	الماركسية والإسلام.
د. معروف الدواليبي	نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية.
د. ياسين صادق	سبعة أشهر في الاتحاد السوفياتي.

٦ ـ هـ ـ الصهيونية: مراجعها ترد في ٧ ـ أ ـ قضية فلسطين والصهيونية فيمكن الرجوع إليه.

٦ ـ و ـ التبشير:

د. أحمد شلبي	المسيحية.
عماد شرف	حقائق عن التبشير.
محمد أبو زهرة	محاضرات في النصرانية.
د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ	التبشير والاستعمار في البلاد العربية.

٦ ـ ز ـ أديان ومذاهب أخرى:

د. أحمد شلبي	أديان الهند الكبرى.
شوقي أبو خليل	آراء يهدمها الإسلام.
د. عبدالرحمن عميرة	المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها.
د. عدنان علي رضا النحوي	الشورى لا الديمقراطية.
فتحي يكن	حركات ومذاهب في ميزان الإسلام.
محمد البهي	تهافت الفكر المادي بين النظرية والتطبيق.
د. محمد عمارة	تيارات الفكر الإسلامي.
محمد قطب	مذاهب فكرية معاصرة.
د. نعمان عبدالرزاق السامرائي	التكفير: جذوره، أسبابه، مبرراته.
محمود شاكر	القرامطة.
د. محمد بن لطفي الصباغ (تحقيق)	القرامطة لابن الجوزي.

٧ ـ قضايا العالم الإسلامي

٧ ـ أ ـ قضية فلسطين والصهيونية :

د. أحمد سوسة — العرب واليهود في التاريخ .

أحمد عبدالغفور عطار — مؤامرة الصهيونية على العالم مع ترجمة بروتوكولات صهيون .

أحمد عبد الغفور عطار — اليهودية والصهيونية .

إسماعيل كيلاني — الخلفيّة التوراتية للموقف الأمريكي

أنور الجندي — المخططات التلمودية الصهيونية في غزو الفكر الإسلامي .

د. إبراهيم الشريفي — دور الدول الاشتراكية في تكوين إسرائيل .

إبراهيم نافع — سنوات الخطر .

إحسان هندي — الحل العادل اسئلة وأجوبة عن قضية فلسطين .

أحمد صادق سعيد — فلسطين بمخالب الاستعمار .

أكرم زعيتر — بذور القضية الفلسطينية .

د. أحمد طربين — فلسطين في خطط اليهودية والاستعمار.

باروخ بادل — تحطمت الطائرات عند الفجر .

بسام أبو غزالة — الجذور الإرهابية لحزب حيروت الإسرائيلي .

ت . أ . لورنس — أعمدة الحكمة السبعة .

توفيق الطيب — الحل الإسلامي ما بعد النكبتين .

الحكم دروزة — ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي .

روجيه جارودي ترجمة د. مصطفى كامل فودة — ملف إسرائيل .

روزماري صايغ ترجمة خالد عابد — الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة .

رفيق النتشة — الإسلام وفلسطين .

رفيق النتشة — السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين .

زهدي الفاتح — القضية الفلسطينية في القانون الدولي والوضع الراهن .

زهدي الفاتح — لورنس العرب .

زهير مارديني — ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني

زيد بن عبدالعزيز بن فياض — قضية فلسطين .

سعد جمعة — أبناء الأفاعي .

سيد قطب — معركتنا مع اليهود .

ظفر الإسلام خان — تاريخ فلسطين القديم .

عادل غانم — الحركة الوطنية الفلسطينية .

عبدالله التل — جذور البلاء .

عبدالله التل — الأفعى اليهودية في محافل الإسلام .

عبدالله التل — خطر اليهودية على العالم الإسلامي والمسيحية .

عبدالله رشيد الحلاّق — اليهودية العالمية خطط وأهداف .

عبدالرحمن حبنكة — مكايد اليهود عبر التاريخ .

عبدالعزيز بن باز — موقف الإسلام من اليهود وفضل الجهاد في سبيل الله .

د. عبدالعزيز عوض — مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث .

عجاج نويهض — رجال من فلسطين .

علي محمد علي وإبراهيم الحصاني — إسرائيل قاعدة عدوانية .

عمر صالح البرغوثي — تاريخ فلسطين .

د. فاضل حسين — تاريخ فلسطين السياسي تحت الإدارة البريطانية .

كمال محمد الأسطل — مستقبل إسرائيل بين التدريب والاستئصال

عاتي جولان تعريب حورية محمد — المحاضر السرية لهنري كسنجر في الشرق الأوسط .

محمد أمين الحسيني — حقائق عن قضية فلسطين .

مايكل كلير ترجمة محجوب عمر — اتجاه التدخل الأمريكي في الثمانينات .

محمد حسنين هيكل — الحل والحرب .

محمد عزة دروزة — من تاريخ فلسطين .

محمد خليفة التونسي — الخطر اليهودي (البروتوكولات) .

محمود شيت خطاب — خطط اسرائيل التوسعية في البلاد العربية .

د . محمد عبدالرؤوف سليم — نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين .

د . محمد شديد — الولايات المتحدة والفلسطينيون .

محمد منير جنباز — الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين .

نبيل محمود عبدالغفار — السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربي الإسرائيلي .

هنري كيسنجر ترجمة د . علي مقلد — درب السلام الصعب

الهيئة العربية العليا — الجريمة اليهودية النكراء إحراق المسجد الأقصى المبارك .

الهيئة العربية العليا — المطامع الأجنبية في القدس والخطر الناجم عن تدويلها .

الهيئة العربية العليا — كارثة اغتصاب المياة العربية

الهيئة العربية العليا — مأساة القدس والمسجد الأقصى بين تمادي اليهود وسكوت المسلمين والعرب .

الهيئة العربية العليا — حول الدولة الفلسطينية الديمقراطية .

الهيئة العربية العليا	القضية الفلسطينية في الدورة السابعة عشرة للأمم المتحدة (١٩٦٢).
الهيئة العربية العليا	مجلة فلسطين

٧ ـ ب ـ لبنان وبلاد الشام:

جوناثان رندل	حرب الألف سنة.
د. حلمي القاعود	الحرب الصليبية العاشرة.
خليل السواحري	أحاديث الغزاة وشهادات إسرائيلية.
خليل مصطفى	سقوط الجولان.
كمال جنبلاط	وصيتي.
المركز العربي للمعلومات	الزعامة المارونية.

٧ ـ جـ ـ أفغانستان:

عبدالله رفاعي	أيام مع المجاهدين الأفغان
عيسى يوسف البتكين	قضية تركستان الشرقية
فهمي هويدي	حدث في أفغانستان.
محمود المرداوي	أفغانستان والاجتياح الروسي.

٧ ـ د ـ قضايا أخرى:

أبو الحسن الندوي	المسملون في الهند.
إحسان حقي	مأساة كشمير المسلمة.
بسام عسلي	الجزائر والحملات الصليبية.
زاهر رياض	الإسلام في أثيوبيا.
سامي منصور	نيجيريا عملاق أفريقيا.
صلاح الدين الحديدي	شاهد على حرب اليمن.
ضابط تركي سابق ـ ترجمة عبدالله عبدالرحمن	الرجل الصنم
محمد أحمد مشهور الحداد الحسيني	أفريقيا بين التوحيد والتثليث

محمد جلال كشك — حوار في أنقرة
محمد ضيا شهاب وعبدالله بن نوح — الإسلام في أندونيسيا .
محمود شاكر — سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية .
مصطفى بكري — قصة الثورة في السودان .

٧ ـ هـ ـ الأندلس :

عبدالعزيز المسند — الأندلس تاريخ وعبرة .

٨ ـ الحركات الإسلامية

٨ ـ أ ـ الوهابية :

د. أحمد محمد الضبيب — آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب
أحمد محمد أبو طامي بن علي — الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفيةودعوته الإصلاحية .

سعود الندوي — محمد بن عبدالوهاب .
عبدالله الصالح العثيمين — الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره
جامعة الإمام محمد بن سعود ـ مركز الأبحاث : — بحوث في أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب
محمد بهجت الأثري — داعية التوحيد والتجويد في العصر الحديث

٨ ـ ب ـ المهدية :

د. محمد عمارة — تيارات الفكر الإسلامي .

٨ ـ جـ ـ السنوسية :

د. محمد عمارة : — تيارات الفكر الإسلامي .

٨ ـ د ـ الإخوان المسلمون :

حسن العشماوي — الإخوان المسلمون والثورة .

حسن البنا	مذكرات الدعوة والداعية.
حسن الهضيبي	دعاة لا قضاة.
سعيد حوَّى	المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين.
سيد قطب	لماذا أعدموني.
صلاح شادي	صفحات من التاريخ
عمر التلمساني	ذكريات لا مذكرات
غازي التوبة	الفكر الإسلامي المعاصر
محمود عبدالحليم	الإخوان المسلمون رؤية من الداخل

٨ ـ هـ ـ حزب التحرير الإسلامي:

فتحي يكن (إشراف)	الموسوعة الحركية

٨ ـ و ـ الجماعة الإسلامية في باكستان:

فتحي يكن (إشراف)	الموسوعة الحركية

٨ ـ ز ـ ندوة العلماء في الهند:

مسعود الندوي	تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند
محمد الحسني وسعيد الأعظمي	ندوة العلماء تواجه التحدي الكبير

٨ ـ حـ ـ جماعة التبليغ:

فتحي يكن (إشراف)	الموسوعة الحركية

٨ ـ ط ـ حركات إسلامية أخرى:

جودت سعيد حسن	مذهب إبن آدم الأول (مشكلة العنف في العمل الإسلامي)
حسن خالد	مسار الدعوة الإسلامية في لبنان
عبدالرحمن أبو الخير	حياتي مع جماعة المسلمين
غازي التوبة	في مجال العقيدة
د. علي المنتصر الكتاني	المسلمون في أوروبا وأمريكا

د. عمر عبدالرحمن	كلمة حق
د. محسن عبد الحميد	جمال الدين الأفغاني
د. مصطفى حلمي	الخوارج (الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم).
مصطفى محمد	الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا.

٨ ـ ز ـ الدعوة الإسلامية العامة:

د. خالص جلبي	النقد الذاتي للحركة الإسلامية.
د. عدنان علي رضا النحوي	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية
د. عدنان علي رضا النحوي	لقاء المؤمنين (جزءان).
فتحي يكن	نحو حركة إسلامية عالمية واحدة

٩ ـ السياسة الدولية

د. السيد أمين شلبي	الوفاق الأمريكي السوفياتي.
أندوتوبي ترجمة فؤاد أيوب	حقيقة الجاسوسية الأمريكية.
د. بوديوف ترجمة شوكت يوسف	السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.
جاك ووديز	الجيوش والسياسة.
جان مينو	القوى الخفية التي تحكم العالم.
د. جمال بركات	الدبلوماسية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها.
جيفري ديكورت ترجمة عبدالهادي ناصف	قوة الانتشار السريع.
روبرت أُوتر ترجمة أمين سلامة	كتب غيرت العالم.
سعيد الجزائري	المخابرات والعالم.
سميح عاطف الزين	السياسة والسياسة الدولية.
شيريب سبيردوفيتس	حكومة العالم الخفية.
عباس محمود العقاد	الحرب العالمية الثانية.
د. عماد الدين خليل	لعبة اليمين واليسار.

عيزرا وايزمن — الحرب من أجل السلام .

فيكتور مارسني — الجاسوسية تتحكم في مصائر الشعوب

فيليب روندو ـ ترجمة كمال الخولي — الشرق الأوسط في سعيه للسلام

مايلز كوبلاند — لعبة الأمم

مجموعة كتاب سوفيات تعريب خيري حماد — السياسة الخارجية السوفياتية .

مجموعة من الكتاب — حكومة الولايات المتحدة .

د. محمد الصادق — الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات الأمريكية ـ العربية خلال عشرين عاماً (١٩٤٧ ـ ١٩٨٧م) .

وليم غاري كار — أحجار على رقعة الشطرنج .

١٠ ـ مذكرات قادة الرجال

يختار المسلم ما يناسبه من مذكرات رجال، أعلام وقادة شعوب على حسب طاقته وقدرته .

١١ ـ الإعلام

أنور الجندي — الصحافة والأقلام المسمومة

د. إبراهيم إمام — الإعلام والاتصال بالجماهير.

د. جيهان أحمد رشدي — الأسس العلمية لنظرية الإعلام .

د. عبداللطيف حمزة — الإعلام في صدر الإسلام .

د. محمد فريد محمود عزت — بحوث في الإعلام الإسلامي .

د. محمد حلمي القاعود — الصحافة المهاجرة .

يوسف العظم — رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر.

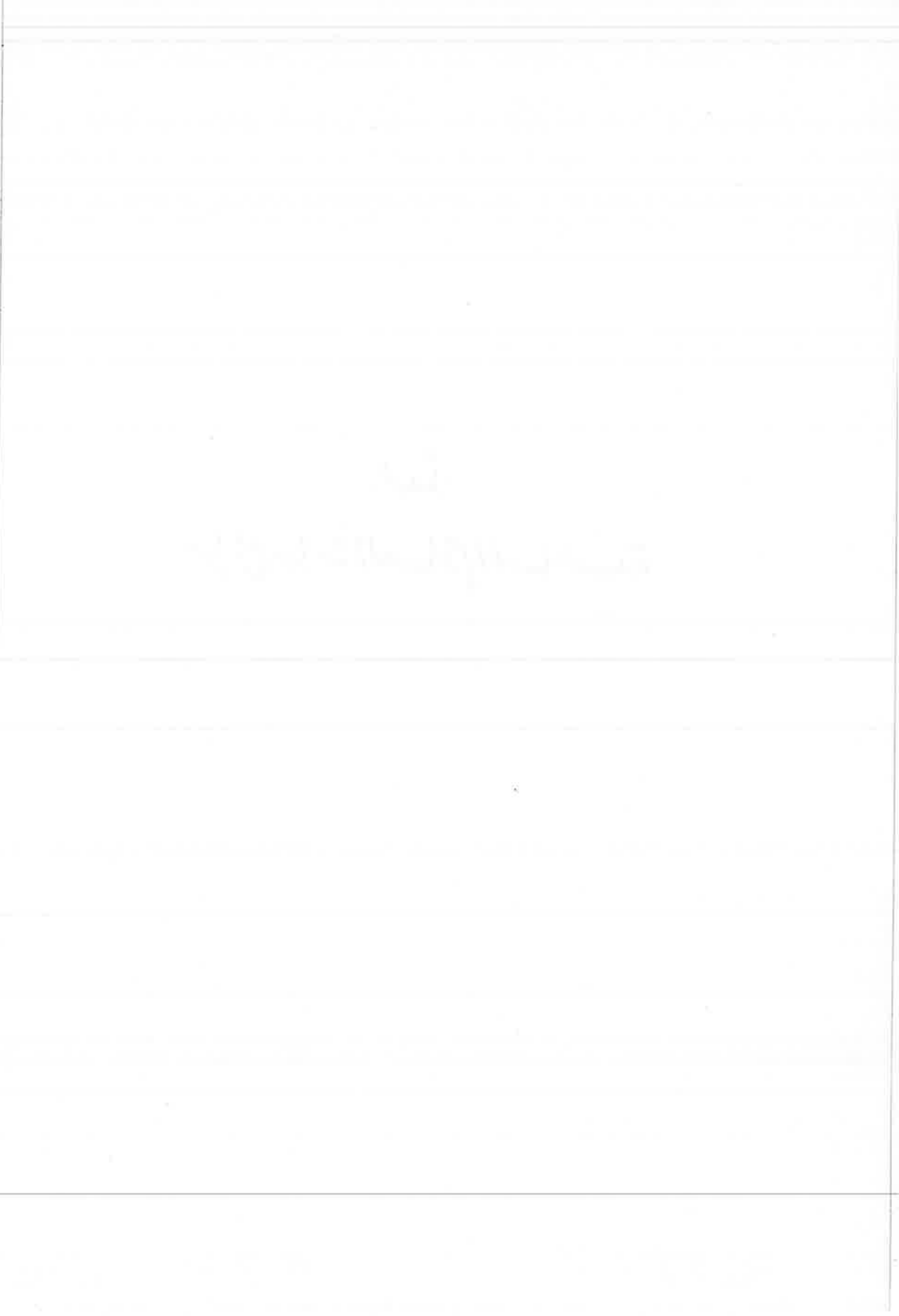
سليم عبدالله حجازي — منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية

محمد منير جنباز — الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين.

د. محمد عبده يماني — حديث في الإعلام .

رابعاً

مراجع دراسة العلوم المساعدة



بنود
دراسة فقه الدعوة

١ ـ فقه أركان الإسلام والشعائر .

٢ ـ مهمة منهاج الله واللغة العربية وقضايا إيمانية أخرى .

٣ ـ القواعد الإيمانية للعمل الصالح وميادين الممارسة الإيمانية .

٤ ـ الدعوة إلى الله ورسوله .

٥ ـ منهج التربية في الإسلام .



١ ـ فقه أركان الإسلام والشعائر :

أحمد بن تيمية — فتاوي ابن تيمية

أبو الأعلى المودودي — الربا .

أبو الأعلى المودودي — الحجاب .

حسن أيوب — الحج في الإسلام .

السيد سابق — فقه السنّة .

صالح بن سعد اللحيدان — مجموعة فتاوي (ثمانية مجلدات) .

عبدالعزيز بن باز — الجواب المفيد في حكم التصوير .

عبدالعزيز بن باز — التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة .

عبدالعزيز بن باز — حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار .

عبدالعزيز بن باز — التحذير من البدع .

عبدالعزيز بن باز — حكم الإسلام .

محمد العيد الخطراوي — الرائد في علم الفرائض .

محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي — بداية المجتهد ونهاية المقتصد

محمد ناصر الدين الألباني — صفة صلاة النبيّ ﷺ

محمد متولي الشعراوي — الفتاوي

د. يوسف القرضاوي — فقه الزكاة

محمد ناصر الدين الألباني — حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة

د. محمد علي البار — مجموعة كتب : الخمر بين الطب والفقه ، العدوى بين الطب وحديث المصطفى

٢ ـ مهمة منهاج الله واللغة العربية :

سيد قطب — خصائص التصور الإسلامي

د. عدنان علي رضا النحوي — دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية

د. عدنان علي رضا النحوي — لقاء المؤمنين (جزءان)

٣ ـ قواعد الإيمان والعقيدة :

ابن تيمية — العبودية .

ابن تيمية — الإيمان .

حسن أيوب — تبسيط العقائد الإسلامية

د. عدنان علي رضا النحوي — لقاء المؤمنين الجزء الأول، والجزء الثاني .

عبدالعزيز بن عبدالرحمن المسند — النهج المحمدي

غازي التوبة — في مجال العقيدة .

محمد بن عبدالوهاب — التوحيد .

محمد بن سعد بن سالم القحطاني — الولاء والبراء في الإسلام .

محمد بن صالح العثيمين — شرح كتاب «لغة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» لموفق الدين عبدالله ابن أحمد بن قدامة .

محمد بن صالح العثيمين — رسائل في العقيدة .

د. محمد علي البار — خلق الإنسان بين الطب والقرآن .

محمد محمود الصواف — القيامة رأي العين .

٤ ـ ميادين الممارسة الإيمانية «العمل الصالح» :

٤ ـ أ ـ الشعائر سبق عرض مراجع دراستها .

٤ ـ ب ـ تربية النساء :

إبراهيم عاصي — همسة في أذن حواء .

أبو الأعلى المودودي — حركة تحديد النسل

أحمد محمد جمال — نساؤنا ونساؤهم .

البهي الخولي — الإسلام والمرأة المعاصرة .

د. سعيد رمضان البوطي — إلى كل فتاة تؤمن بالله .

سميرة بنت الجزيرة العربية — المرأة والإسلام وتحديات العصر .

خديجة عبدالهادي	حركة تغريب المرأة الكويتية
طائفة من الكتاب	كلمات إلى حواء
د. مصطفى السباعي	المرأة بين الفقه والقانون
محمد رشيد رضا	حقوق النساء في الإسلام
محمد عطية خميس	الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار.
وهبي الغاوجي	المرأة المسلمة.
عباس محمود العقاد	المرأة في القرآن.
اعتصام الصراف	المرأة في ركب الإيمان.
د. محمد البهي	الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة
أنور الجندي	المرأة المسلمة في مواجهة التحديات.

٤ ـ جـ ـ تربية الشباب ودور المسلم والجهاد:

عبدالعزيز محمد الربيع	رعاية الشباب في الإسلام.
مالك بن نبي	دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين.
صالح اللحيدان	الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع.
أبو الأعلى المودودي	واجب الشباب المسلم.
نعمت صدقي	الجهاد في سبيل الله.

٤ ـ د ـ الحكم والسياسة:

أبو المعالي الجويني	غياث الأمم في التياث الظلم
أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي	الأحكام السلطانية والولايات الدينية
ابن قيم الجوزية	أعلام الموقعين عن رب العالمين
أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء	الأحكام السلطانية
تقي الدين بن تيمية	السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية
زيد بن عبدالعزيز بن فياض	الوحدة الإسلامية.
عبدالعزيز بن باز	حكم الإسلام.

عبدالقادر عودة	التشريع الجنائي في الإسلام .
د. عبدالكريم زيدان	الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية .
عبدالوهاب خلاف	السياسة الشرعية .
د. عدنان علي رضا النحوي	ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية
د. عدنان علي رضا النحوي	الشورى لا الديمقراطية .
فخر الدين عبدالله بن محمد بن يحيى المنصور	براءة الذمة في نصح الملوك والأئمة
د. محمد سليم العوا	في أصول النظام الجنائي في الإسلام
د. محمد سليم العوا	في النظام السياسي للدولة الإسلامية .
د. محمد عمارة	الإسلام وحقوق الإنسان .
د. محمد عبدالقادر أبو فارس	النظام السياسي في الإسلام .
د. محمود بابلي	الشورى في الإسلام .

٤ ـ هـ ـ في المال والاقتصاد :

د. إبراهيم دسوقي	الاقتصاد الإسلامي .
د. أحمد النجار	بنوك بلا فوائد .
د. شوقي الفنجري	الإسلام والمشكلة الاقتصادية .
د. شوكت عليان	التأمين في الشريعة والقانون .
د. سامي حسن	تطوير الأعمال المصرفية .
محمود أبو السعود	خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي .
د. محمود بابلي	الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية
د. محمود بابلي	المال في الإسلام
مالك بن نبي	المسلم في عالم الاقتصاد

٥ ـ الدعوة إلى الله ورسوله :

أبو الأعلى المودودي	تذكرة دعاة الإسلام .
البهي الخولي	تذكرة الدعاة .
حسني أدهم جرار	الدعوة إلى الله .

حسين محمد يوسف	مقومات الدعوة الإسلامية .
زيد بن عبدالعزيز بن فياض	واجب المسلمين في نشر الإسلام
عبدالعزيز بن باز	الدعوة إلى الله وأخلاق العلماء
عبدالعزيز محمد بن إبراهيم آل الشيخ	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر
د. عدنان علي رضا النحوي	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية .
د. عدنان علي رضا النحوي	لقاء المؤمنين (جزءان) .
د. عبدالكريم زيدان	أصول الدعوة .
عبدالبديع صقر	كيف ندعو الناس .
فتحي يكن	نحو حركة إسلامية واحدة .
فتحي يكن	كيف ندعو إلى الإسلام .
محمود شيت خطاب	دروس في الكتمان من الرسول القائد
محمد الغزالي	مع الله في الدعوة والدعاة .
مناع القطان	الدعوة إلى الإسلام .

٦ - منهج التربية في الإسلام:

أبو الحسن الندوي	سياسة التربية والتعليم السليمة
أبو الحسن الندوي	نحو التربية الإسلامية الحرة .
د. أحمد فؤاد	التربية في الإسلام .
أحمد محمد جمال	نحو تربية إسلامية .
د. إسحق أحمد فرحان	التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
د. إسحق أحمد فرحان وإخوانه	نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية .
حسين محمد يوسف	أهداف الأسرة في الإسلام .
سعيد اسماعيل علي	اصول التربية الإسلامية .
عبدالجواد السيد بكر	فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف .
عبدالفتاح جلال	في اصول التربية الإسلامية .

عبدالغني عبود	في التربية الإسلامية .
عبدالله ناصح علوان	تربية الأولاد في الإسلام .
عبدالله بن إبراهيم الأنصاري	تربية الناشئة في ضوء السيرة .
علي خليل أبو العينين	فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم .
فتحي يكن	الإسلام والجنس
د. فايز عبداللطيف اورفلي	أطفال لا يعرفون البكاء .
محمد قطب	منهج التربية في الإسلام .
د. وجيه زين العابدين	الإسلام والتربية الجنسية .
د. وجيه زين العابدين	الإسلام والطفل .
يوسف العظم	أدعية وآداب للجيل المسلم .
يوسف العظم	براعم الإسلام .
د. لطفي بركات أحمد	تأملات في التربية المعاصرة .
د. محمد أحمد صالح	نظام الأسرة عند ابن تيمية .
د. لطفي بركات أحمد	في الفكر التربوي الإسلامي .
د. يوسف مصطفى القاضي و د. مقداد يالجن	علم النفس التربوي في الإسلام
د. مقداد يالجن	توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي .
محمد عبدالله السمان	التربية في القرآن .

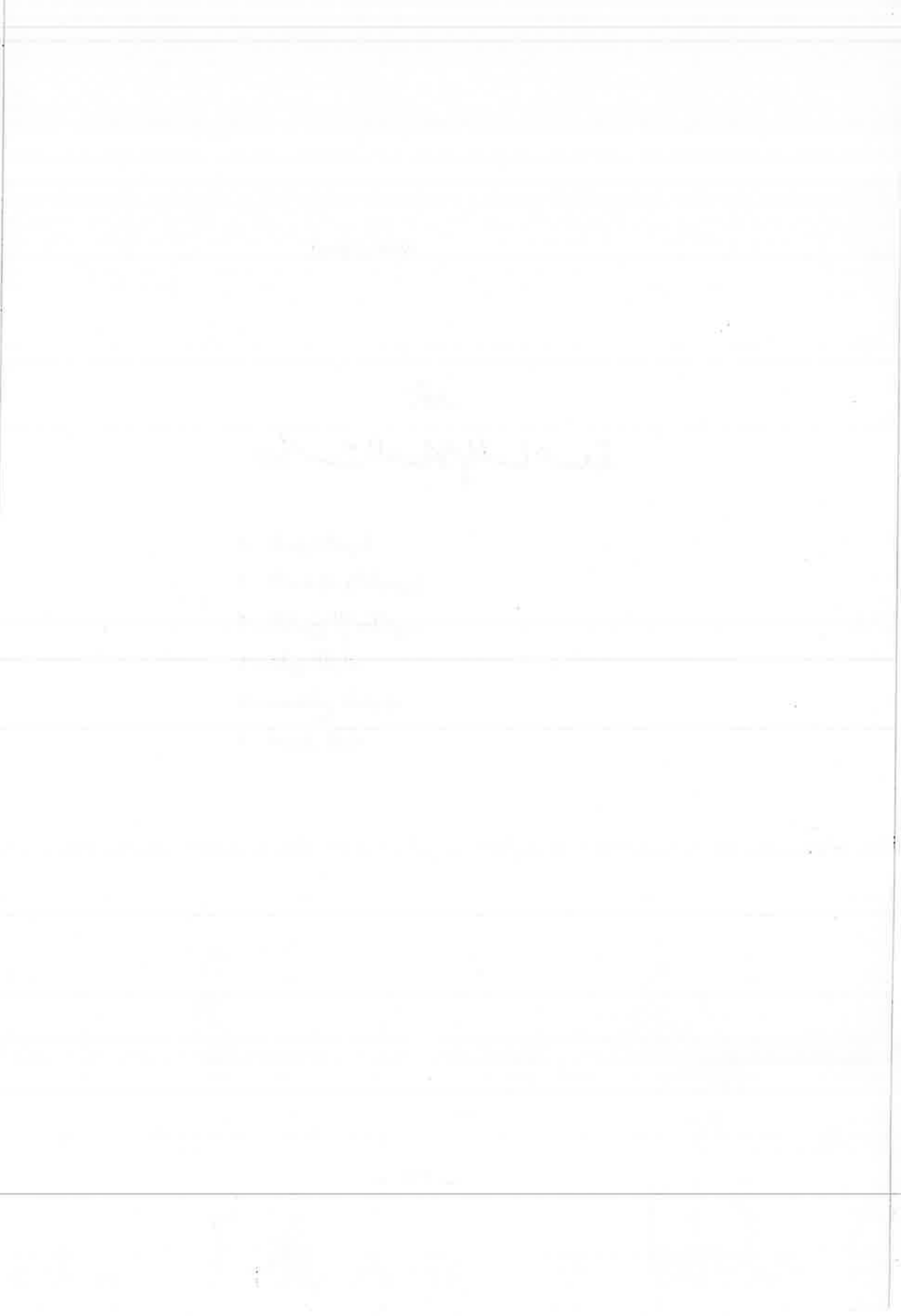
ثالثاً

مراجع دراسة فقه الدعوة



بنود
دراسة العلوم المساعدة

١ ـ السيرة النبوية .
٢ ـ الصحابة والتابعيون .
٣ ـ التاريخ الإسلامي .
٤ ـ علوم القرآن .
٥ ـ مصطلح الحديث .
٦ ـ أصول الفقه .



١ ـ السيرة النبوية

المؤلف	الكتاب
ابن حزم الأندلسي	جوامع السيرة النبوية .
ابن قيم الجوزية (تحقيق مصطفى عبدالواحد)	زاد المعاد في هدي خير العباد .
أبو تراب الظاهري	سرايا الإسلام .
أبو الحسن علي الحسني الندوي	سيرة خاتم النبيين .
أبو الحسن علي الحسني الندوي	السيرة النبوية .
أبو الحسن علي الحسني الندوي	النبي الخاتم .
أحمد محمد عساف	خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر .
أمين دويدار	صور من حياة الرسول ﷺ .
تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي	إمتاع الأسماع
سليمان الندوي	الرسالة المحمدية .
السهيلي	الروض الأنف .
عبدالله عبدالغني الخياط	حكم وأحكام من السيرة النبوية .
عبدالرحمن عزام	بطل الأبطال .
عبدالسلام هارون	تهذيب سيرة ابن هشام .
عبدالقدوس الأنصاري	طريق الهجرة النبوية
عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري	السيرة النبوية (لابن هشام) .
د. عماد الدين خليل	دراسة في السيرة .
محمد أبو زهرة	خاتم النبيين .
محمد بن عبدالوهاب	مختصر سيرة الرسول .
محمد بن يوسف الصالحي الشامي	سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
محمد حسين زيدان	سيرة بطل .
محمد الخضري بيك	نور اليقين في سيرة سيد المرسلين
محمد رضا	محمد رسول الله .
د. محمد سعيد رمضان البوطي	فقه السيرة .

محمد عزة دروزة — سيرة الرسول .
محمد الغزالي — فقه السيرة .
د. محمد مصطفى الأعظمي — مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه .
محمود شيت خطاب — الرسول القائد .
د. مصطفى السباعي — السيرة النبوية دروس وعبر.
عبدالعزيز الرفاعي — الرسول كأنك تراه (حديث أم معبد) .
محمد محمود الصواف — زوجات النبي ﷺ وحكمة تعددهن .

٢ ـ الصحابة والتابعيون

ابن سعد — طبقات ابن سعد .
ابن الأثير — أسد الغابة في معرفة الصحابة .
ابن حجر العسقلاني — الإصابة في تمييز الصحابة .
أحمد التاجي — بنات النبي .
أحمد محمد جمال — كرائم النساء .
الحافظ جلال الدين السيوطي — تاريخ الخلفاء الراشدين .
خالد محمد خالد — خلفاء حول الرسول .
خالد محمد خالد — رجال حول الرسول .
عباس محمود العقاد — العبقريات .
د. عبدالرحمن رأفت الباشا — صورة من حياة الصحابة .
د. عبدالرحمن رأفت الباشا — صور من حياة التابعين .
د. عبدالرحمن عميرة — رجال أنزل الله فيهم قرآنا .
د. عبدالرحمن عميرة — نساء أنزل الله فيهن قرآنا .
علي وناجي الطنطاوي — أخبار عمر.
محمد حسن بريغش — مصعب بن عمير.
محمد حسن بريغش — أبو بصير.
محمد المجذوب — مشاهد من حياة الصديق .

محمد يوسف الكندهلوي	حياة الصحابة .
محمود شاكر	عظماء مجهولون .
محمد حسين زيدان	جهاد قلم .
د . شكري فيصل	حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول
عبدالعزيز الرفاعي	مجموعة كتب : أم عمارة الصحابية الباسلة ، زيد الخير، ضرار بنّ الأزور الشاعر الصحابي ، كعب بن مالك الصحابيّ الأديب .
حسين عبدالله باسلامة	خلافة أبي بكر الصديق .
محمد رضا	أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين .

٣ ـ التاريخ الإسلامي

د . إبراهيم علي شعوط	أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ .
أبو بكر العربي	العواصم من القواصم .
أبو الحسن الندوي	غارة التتار على الإسلام وظهور معجزة الإسلام
د . إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر	تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر.
بسام العسلي	صلاح الدين الأيوبي .
جلال الدين عبدالرحمن السيوطي	تاريخ الخلفاء .
الحافظ بن كثير الدمشقي	البداية والنهاية .
د . حسن إبراهيم حسن	تاريخ الإسلام .
سيد قطب	التاريخ فكرة ومنهاج .
د . عبدالحليم عويس	صور وبطولات من حضارتنا الإسلامية
عبدالرحمن العشماوي	من ذاكرة التاريخ الإسلامي .
عبدالعزيز المسند	الأندلس تاريخ وعبرة .
عز الدين بن الأثير	الكامل في التاريخ .
محمد بن جرير الطبري	تاريخ الأمم والملوك .

د. محمد حميد الله — مجموعة الوثائق السياسية (العهد النبوي).
محمد الخضري — تاريخ الأمم الإسلامية.
محمود شاكر — سلسلة التاريخ الإسلامي.
محمود شاكر — معركة اليرموك.
محمود شيت خطاب — قادة الفتح الإسلامي.
د. محمد مصطفى هدارة — المأمون.
د. مصطفى السباعي — عظماؤنا في التاريخ.
د. مصطفى السباعي — من روائع حضارتنا.
د. عبدالعزيز كامل — المجتمع الإسلامي في مكة.

٤ ـ علوم القرآن

أحمد بن محمد طاحون — مع القرآن الكريم.
جلال الدين السيوطي — الاتقان في علوم القرآن.
د. شعبان محمد إسماعيل — مع القرآن الكريم.
د. صبحي الصالح — مباحث في علوم القرآن.
د. عدنان زرزور — دراسات قرآنية.
د. محمد الصبّاغ — لمحات من علوم القرآن.
د. محمد عبدالله دراز — النبأ العظيم.
مناع القطان — مباحث في علوم القرآن.

٥ ـ مصطلح الحديث

اسماعيل بن كثير — الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث
د. صبحي الصالح — علوم الحديث ومصطلحه.
د. كمال عز الدين — الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية.
لفيف من المستشرقين — المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.
د. محمد أديب الصالح — لمحات في أصول الحديث.

د. محمد بن لطفي الصباغ — الحديث النبوي مصطلحه ـ بلاغته ـ كتبه .

محمد غوامة — أثر الحديث في اختلاف الأئمة والفقهاء .

د. محمد مصطفى الأعظمي — دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه .

محمد محمود الطحان — تيسير مصطلح الحديث .

د. مصطفى السباعي — السنة ومكانتها في التشريع .

محمد طاهر بن علي الهندي — المغني (في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم) .

د. محمد بن لطفي الصباغ — التصوير الفني في الحديث النبوي .

د. عمر حسن فلاته — الوضع في الحديث .

٦ ـ أصول الفقه

د. شعبان محمد إسماعيل — أصول الفقه .

عبدالله بن عبدالمحسن التركي — أسباب اختلاف الفقهاء .

عبدالوهاب خلاف — خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي .

عبدالوهاب خلاف — علم أصول الفقه .

محمد أبو زهرة — أصول الفقه .

محمد الأشقر — الواضح في أصول الفقه للمبتدئين .

د. محمد معروف الدواليبي — المدخل إلى علم أصول الفقه .

عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن علي بن الربيعة — أدلة التشريع المختلف الاحتجاج بها .

محمد بن علي الشوكاني — القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد .

د. مصطفى الزرقاء — المدخل إلى الفقه الإسلامي .

خاتمة

يتساءل الكثيرون من أين نبدأ؟ كيف نبدأ؟ . ويبحث الكثيرون عن الإجابة هنا وهناك، ويضربون في كل اتجاه. والطريق ممدود أمامهم صراطاً مستقيمًا، والله سبحانه وتعالى وضع لهم النهج وعرّف لهم الصراط المستقيم، بداية ودرباً وهدفاً.

مع المنهاج الربّاني: إيماناً وعلمًا وممارسة، ومع دراسة الواقع البشريّ حتى تتضح وسائل الممارسة وأساليبها، مع هذين الزادين تكون البداية والمسيرة، قضية حياة ومهمة عمر لا تتوقف.

وعلى هاتين القاعدتين يقوم النهج والتخطيط، والفكر والتصور، والجهد والعمل، ومنهما يكون المنطلق.

إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل كتابه العزيز ليشقى الناس به، ولا ليكون عقبة، ولا ليوجد حرجاً.

﴿ طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾. (طه: ١ ـ ٤).

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى منهاجه الربانّي رحمة للعالمين، ونوراً وهداية وشفاء. فهو يُسر لا يجد المؤمن معه حرجاً:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾. (القمر: ١٧).

لابدّ من أن تستقرّ هذه الحقيقة في القلوب والصدور، ولابدّ من الإعادة والتكرار من أجل ذلك. فلقد هجر المسلمون كتاب الله وسنة نبيّه هجراناً طويلاً، هجراناً امتد قروناً من النكبات والابتلاء. ولقد كان من أثر هذا الهجران أن أصبحت الأمور البدهية تحتاج إلى شرح وتعليل، وإلى إعادة وتكرار، وإلى دراسة وبحث. وعلى قدر ما كان الهجران طويلاً، سيكون كذلك الجهد للتذكير والإعادة والتعليل.

ولا سبيل أُخرى لمن أراد النجاة! سيحاول الناس تجربة مذاهب شتى تخرج من عصارة جهد بشريّ، حتى لو حملت شعاراً إسلامياً. ولكن هذه المحاولات كلها لن تزيد الناس إلا ابتلاء وبلاء. لا سبيل أُخرى! فالسبيل هو العودة المنهجية إلى كتاب الله وسنة رسوله منهاجاً ربانياً، يبدع الجهد البشريّ في ميدان التدبر والفهم على بصيرة وإيمان، ويبدع الجهد البشريّ في ميدان الممارسة الإيمانيّة والعمل الصالح، حين يقوم هذا كله على: إيمان مشرق، وعلم صادق، وموهبة غنيّة، وخبرة وتجربة.

لذلك حاولنا في هذا الكتاب رسم النهج العمليّ على أساس من منهاج الله، وأساس من الواقع الذي نعيشه.

وإنا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل طاهراً نقيّاً، خالصاً لوجهه الكريم، مقبولاً عنده. فذلك أعلى ما نتمناه، وأغلى ما نسعى إليه.

ونتوب إلى الله سبحانه وتعالى من كل ذنب، ونستغفره من كل زلل، ونسأله العفو والعافية، والنجاة في الدنيا والآخرة. إنه هو المولى، وهو الوليّ الحميد.

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس كتاب منهج المؤمن بين العلم والتطبيق

رقم الصفحة

الباب الرابع
قائمة المراجع العامة للمنهاج الذاتي
للمرحلة الخامسة

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ـ الطبعة السادسة .
- الشورى وممارستها الإيمانية ـ الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية ـ الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين ـ الجزء الأول ـ الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الثالثة .
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ـ الطبعة الثالثة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر ـ الطبعة الثانية .
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر ـ الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية ـ الطبعة الرابعة .
- النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني ـ الطبعة الأُولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع ـ الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام . ـ الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء ـ الطبعة الأُولى .
- منهج لقاء المؤمنين ـ الطبعة الأولى .
- «خطة الداعية The Caller's Plan » ـ الطبعة الأولى .
- لقاء المؤمنين ـ الجزء الأول ـ (مترجم إلى اللغة التركية) . الطبعة الأولى .
- الأدب الإسلامى إنسانيته وعالميته ـ الطبعة الثانية .

- الحداثة في منظور إيماني ـ الطبعة الرابعة .
- تقويم نظرية الحداثة ـ الطبعة الثانية .

- ديوان الأرض المباركة ـ الطبعة السادسة .
- ديوان موكب النور ـ الطبعة الرابعة .
- ديوان جراح على الدرب ـ الطبعة الثالثة .
- ديوان مهرجان القصيد ـ الطبعة الأولى .

- ملحمة الغرباء ـ الطبعة الثالثة .
- ملحمة القسطنطينية (فتحان) ـ الطبعة الثانية .
- ملحمة الجهاد الأفغاني ـ الطبعة الثالثة .
- ملحمة فلسطين ـ الطبعة الخامسة .
- ملحمة الأقصى ـ الطبعة الثانية .
- ملحمة الإسلام في الهند ـ الطبعة الأولى .

- على أبواب القدس ـ الطبعة الثانية ..
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع ـ الطبعة الرابعة .
- الصحوة الإسلامية إلى أين؟ ـ الطبعة الثالثة .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع (مترجم إلى اللغة التركية) . الطبعة الأولى

- دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) ـ الطبعة الأولى .



دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس : ٤٠١٠٢٥٧

ص . ب ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

NAJD COMMERCIAL PRINTING PRESS CO.
Riyadh-Tel.: 4488024 -4488026

شركة مطابع نجد التجارية
الرياض - ت : ٤٤٨٨٠٢٤ - ٤٤٨٨٠٢٦



هذا الكتــاب

إنَّ ما يعانيه العالم الإسلاميُّ اليوم من بلاء وفتن، ليس وليد ساعة ولا هو قضية سنوات محدودة، ولكنها قرون طويلة طرقته بالفواجع ومدَّت فيه المجازر، وطغى الجهل وغلب الهوى واضطرب الميزان.

من ذلك التاريخ نتعلم دروساً كثيرة، من أهمها مسئولية الفرد في الأُمة، حتى يشعر المسلم نفسُه أنه هو مسئول كما أن غيره مسئول. وأن عليه هو أن ينهض لمسئوليته وأمانته التي خُلِقَ لها قبل أن يكثر لوم الآخرين. ودرس آخر هو أن هذه المسئولية والأمانة لايحددها بشر ولا يقررها إنسان. إنها مسئولية وأمانة حددها الله سبحانه وتعالى، خالق الإنسان ورب الإنسان، رب العالمين. حددها الله وفصّلها في منهاجه الربانيِّ ـــ قرآنا وسنة ـــ. فمن هناك، من المنهاج الرباني، تُعرَفُ الأمانةُ وحدودها، والواجباتُ وبنودها، والمسئولية ومداها. ولايتعارض هذا مع ضرورة وضع تفاصيل وإقرار جزئيات على أساس من منهاج الله والواقع الذي يعيشه المسلم، تَنتظم كلها في نهج إيماني واع.

ونتعلم كذلك من التاريخ أن على الأُمة أن تنجو من لجاج الفلسفة التي تميت حقائق الإيمان، وأن تخلص من سكرة الخدر وأحلام الهوى، وأن تفيق على الواقع قبل أن يجرفَها بلاء شديد.

من هذه القضايا وما يتبعها ينطلق تصورنا للخطوة الأولى في نهج إيماني، ودعوة ربانية. إنها الخطوة الأولى على الدرب والوثبة الأولى في الميدان. إنه النهج الإيماني الذي ينفي الارتجال والهوى، ويضع المسلمَ أمام مسئولية محددة وأمانة مبيَّنَة.

لقد فقد المسلمون النهج الإيماني قروناً طويلة عصف بها الهوى والارتجال. ولابد اليوم من عودة كريمة إلى نهج مدروس ودرب محدود، وصراط مستقيم، يتحدد بالنيّة الصادقة والعزيمة الثابتة، والدرب الجليّ، والهدف المشرق.

ردمـــك : ٤ - ٠٧ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠